الفصل الثاني: الدراسات السابقة

٢. ١ تمهيد

يستعرض هذا الفصل الدراسات السابقة، بالإضافة إلى مناقشة الإطار النظري لمفهوم الإعلام الإسلامي المعاصر، ونشأته، وأنماطه. وتحديد مفهوم مقاصد الشريعة الإسلامية، وتاريخها، وأقسامها، وطرق معرفتها. والعلاقة بين الإعلام الإسلامي المعاصر ومقاصد الشريعة الإسلامية. بالإضافة إلى تشخيص الضوابط والمقومات المقاصدية للإعلام الإسلامي. بذلك جاء هذا الفصل ليحقق الهدف الأول والثاني من الدراسة وذلك من خلال "إبراز قناة الرسالة الفضائية وعلاقتها بالمقاصد الشرعية" و "تحليل العلاقة بين الإعلام الإسلامي المعاصر ومقاصد الشريعة الإسلامية". من خلال الإحاطة بهذه الجوانب كلها.

٢. ٢ مفهوم الإعلام الإسلامي المعاصر ونشأته

يناقش هذا المبحث مفهوم الإعلام الإسلامي المعاصر؛ من خلال استقصاء مفهوم الإعلام الإسلامي المعاصر الذي يتضمن التعريف به لغةً واصطلاحاً، وتشخيص ماهيته، ونشأته. يحوي هذا المبحث على المطالب الآتية: مفهوم الإعلام الإسلامي المعاصر. ماهية الإعلام الإسلامي المعاصر. ونشأته.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

٢. ٢. ١ مفهوم الإعلام الإسلامي المعاصر في اللغة والاصطلاح

يناقش هذا المطلب تعريف الإعلام، واشكالية مصطلح الإعلام والاتصال، بالإضافة إلى تعريف مصطلح الإعلام الإسلامي المعاصر في اللغة والاصطلاح، من خلال الإحاطة بهذه الجوانب كلها.

أولاً– تعريف الإعلام في اللغة

الإعلام هو الترجمة العربية لكلمة (information) التي تعني في اللغة الإنكليزية (خبر أو نبأ أو إشعار أو إنباء) ومنها (informer) والتي تعني (مُخبر – مُبَلِّغ – فَتّان – وقّاع)[١٩]. ومنها أيضاً (informed) و (inform) والتي تعني أَعلمَ – يُعلمُ[٢٠]، والإعلام في اللغة العربية اسم مشتقٌ من الفعلِ أعلمَ يُعلمُ إعلاماً، ويأتي بمعنى الأثر، أي الشيء الذي يُعلمُ به المكان فيصبح أثراً يدل عليه كعلم الجيش أو علم الطريق، وسمي الجبل علماً لأنه يعلم به الطريق فـ(العلم الأثر الذي يُعلمُ بهِ الشيء)[٢١]. والإعلام اختص بالإخبار السريع، والتعليم يختص بالتكرار، وعندما يحصل منهُ أثرٌ في نفس المتعلم يسمى أثراً، وتكاد تتفق معظم معاجم اللغة العربية على أن الإعلام يأتي بمعنى الإخبار أو الإشعار وإن الإعلام مصدر للفعل (أعلمَ) وهذا الفعل أصلهُ (علم) ويدلُ على أثر بالشيء يميّزه عن غيره، أي أن به علامة تميزهُ عن غيره[٢٢].

وأعلم أي أخبرَ، لذلك تقول العرب أعلم فلاناً الخبر أي أخبره به واستعلمه الخبر أي استخبره إياه، ومنها علم الشيء وشعر به ودرى، واعتلم الأمر بمعنى علمه، وعَلَّمَ بمعنى التعريف والإخبار للغير،

---

[١٩] Eliasa. Elias & ED. E. Elias. ١٩٧٣. Pocket dictionary. English – Arabic. Bayrot: Aljeel House P.٩٩.

[٢٠] عبد الوهاب نجم. ١٩٨٢. *القاموس الإعلامي (عربي – انكليزي)*. العراق: دار القادسية للطباعة والنشر. ص٣٩.

[٢١] الاصفهاني، الراغب. ١٩٦١. *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق سيد محمّد الكيلاني. مصر: مطبعة البابي الحلبي. ص ٣٤٤.

[٢٢] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن. ١٩٨١. *كتاب العين*. العراق: دار الرشد. ج٢. ص١٥٢.

وعَلَمهُ علماً أي عرفه حق المعرفة وعلمه تعليماً وعلاماً أي صيّرَهُ ذا علمٍ[٢٣]، وبهذا يتبيّن أنَ الإعلام في معناه اللغوي يراد بهِ الإخبار والإشعار والإبلاغ أي عملية نقل المعلومة إلى الآخر فيُعلم الخبر وينتشر. والإعلام في اللغة: مشتقٌ من الفعل الثلاثي (عَلِمَ)، وعلم الشيء يعلمه: أي عرفه[٢٤]، وقد ورد في التنزيل معنى الإعلام لغةً، قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[٢٦]، هذا معنى الإعلام.

ثانياً تعريف الإعلام في الاصطلاح:

يذهب هادي نعمان الهيتي إلى أن مصطلح الإعلام يشير إلى معنيين يشمل الأول جميع أنماط الاتصال، بينما يقتصر الثاني على وظيفةٍ واحدة من وظائف الاتصال ألا وهي وظيفة الإخبار أو الإبلاغ[٢٧]. وقد أشيع اصطلاحاً في الكتب والبحوث العربية تسمية الإعلام بمعنى الاتصال، وبذلك حصلَ خلط بين المفردتين (الاتصال والإعلام) فالأولى هي علم الاتصال، والثانية ليست إلا نمطاً واحداً من أنماطه تعني الإعلام والإخبار والإبلاغ. أي أن الإعلام هو عملية نقل المعلومة إلى الآخر، وهو أيضاً نشاطٌ اتصالي يرادُ بهِ نقل معلومات من طرفٍ إلى آخر.

بينما يتسع مفهوم الاتصال (communication) ليشمل الإعلام، والدعاية أو الدعوة، والعلاقات العامة، والإعلان، والحرب النفسية، أي جميع أنواع الاتصال. ومفهوم الإعلام يدل على معانٍ عدة منها مضمون الرسالة التي قد تكون إعلامية أي أنها تعلم عن شيء ما، كما ويمكن أن يدل الإعلام

---

[٢٣] إبراهيم مصطفى وآخرون. ١٩٨٩م. *المعجم الوسيط*. تركيا: دار الدعوة. ص ٦٤٤.

[٢٤] أحمد رضا. ١٩٦٠. *معجم متن اللغة*. لبنان: مكتبة الحياة. ص ١٩٤.

[٢٥] القرآن. يس ٣٦:٧٩.

[٢٦] القرآن. الأنفال ٨:٦٠.

[٢٧] الهيتي، هادي نعمان. ١٩٩٨. *الاتصال الجماهيري: المنظور الجديد*. العراق: عالم المعرفة. ص ٢٣.

أيضاً على تدفق الرسائل الإعلامية باتجاه واحد من المصدر إلى المستقبل بهدف الإعلام والإخبار في عملية اتصالية يتم فيها تبادل الرسائل[٢٨].

ويؤدي الإعلام وظائف عدة، منها الإخبار والتعليم والتثقيف والدعوة والإرشاد والترفيه والتوجيه، وغير ذلك من أهداف وغايات الإعلام الذي يسعى لبناء الإنسان وترقية المجتمع. أما اصطلاحاً فقد تعددت التعاريف فيه، واختلف المضمون والشمول للإعلام حسب المفهوم المعاصر، وذلك لاختلاف التصورات، وتباين الأفكار وتضاد الأهداف التي أنيطت بهذا العلم ووسائله المعاصرة الحديثة وهي كثيرة جداً. منها القريب ومنها البعيد، ومنها الدقيق وغير الدقيق.

لكن التعريف الذي أخذ به الكثير من الكتّاب المعاصرين، وقالوا بأنه أوضح تعريف هو تعريف العالم الألماني (توجروت) الذي عرّفه بأنه: "التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها، وميولها، واتجاهاتها في نفس الوقت"، أي إن الإعلام لابد أن يكون صادقاً مجرداً عن الميول والأهواء غير متحيز، قائماً على أساس من التجربة الصادقة متماشياً مع الجمهور الذي يوجه إليه[٢٩]. وعرّفه إبراهيم إمام "الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة و المعلومات السليمة و الحقائق الثابتة، التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبّر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير و اتجاهاتهم وميولهم"[٣٠].

---

[٢٨] غوران هدبرو. ١٩٩١. *الاتصال والتغير الاجتماعي في الدول النامية*. ترجمة محمد ناجي الجوهر. العراق: دار الشؤون الثقافية العامة. ص٩.

[٢٩] الوشلي، عبد الله قاسم. ١٤١٤. *الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر*. مصر: دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية. الطبعة الثانية. ص١٠.

[٣٠] سمير بن جميل راضي. ١٤١٧. *الإعلام الإسلامي رسالة وهدف*. دعوة الحق. السعودية: كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي. العدد١٧٢ – السنة الخامسة عشر. ص ٢٧ – ٢٨.

وقيل: الإعلام هو نقل للمعلومات والمعارف والثقافات الفكرية والسلوكية بطريقة معينة من خلال أدوات ووسائل الإعلام والنشر الظاهرة والمعنوية ذات الشخصية الحقيقية أو الاعتبارية بقصد التأثير سواء اعتبر موضوعياً أم لم يعتبر، وسواء أكان التعبير لعقلية الجماهير أم لغرائزه[٣١].

يلاحظ من التعريفات السابقة أنه ما من تعريف محدد لمعنى الإعلام، وإنما أقتصر على مفهوم الإعلام اليوم. ويلاحظ أن إبراهيم إمام عرّفَ الإعلام بما ينبغي أن يكون عليه، أي بالصورة التي ينبغي أن يكون عليها، وإلا فإن الإعلام قد لا يقدم المعلومات السليمة، والحقائق الثابتة، كما هو عليه الحال اليوم في كثير من الأحيان.

من خلال ذكر التعريفات الثلاثة السابقة، التي ذكرت على سبيل المثال لا للحصر، لتجنب إطالة الموضوع؛ عندئذ يمكن تعريف الإعلام باعتماد تعريف إبراهيم إمام: "الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة و المعلومات السليمة و الحقائق الثابتة، التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات"[٣٢]. وهذا ما ينبغي أن يكون عليه مفهوم الإعلام، تزويد الناس بالأخبار الصحيحة أي الغير كاذبة أو ملفقة أو غير موثوق بها. والمعلومات الحقيقية هي ليست الموهمة، والحقائق الواقعية أي ليست الخيالية، وذلك بهدف الوصول إلى الحقيقة من خلال هذه المعلومات، للوصول إلى حلول أو تصور صحيح بناءً على معلومات كهذه.

ثالثاً– تعريف الإعلام الإسلامي

وردت تعريفات عدة للإعلام الإسلامي، حاول الباحثون والمختصون من خلالها رسم صورة حقيقية وصادقة عن ماهية ومفهوم وأهداف الإعلام الإسلامي. "إذ يثير الإعلام الإسلامي اشكاليات

---

[٣١] المرجع السابق. نفس الصفحة.

[٣٢] المرجع السابق. نفس الصفحة.

اصطلاحياً وجدلاً كبيراً وربما يكون في مقدمة أسباب ذلك هو طبيعة الإسلام، والتحديات التي تواجهه، وغياب المرجعية الفكرية التي تأخذ على عاتقها التصدي لكل محاولات تشويه الإسلام"[٣٣].

عرّفه محي الدين عبد الحليم بأنه: تزويد الجماهير بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويترجمها إلى واقع في سلوكه ومعاملاته. وعرّف خالد أحمد مهنا الإعلام الإسلامي بقوله: "الإعلام الإسلامي هو كل ما يجب أن يتولاه الإعلام في المجتمع الإسلامي من وظائف؛ إنه عملية تمثيل جميع أنشطة الإعلام في المجتمعات، ولكنه يلتزم بالإسلام في كل أهدافه ووسائله و فيما يصدر عنها من رسائل ومواد إعلامية، وهو أداة الدعوة لبلوغ أهدافها"[٣٤].

يمكن أن يُستنبط تعريفاً شاملاً للإعلام الإسلامي بأنه: نشاط اتصالي منظم موجه إلى الناس كافة، مصدره الشريعة الإسلامية، يهدف إلى توحيد الله، وإعمار الكون، وإسعاد الأفراد والمجتمعات. إذاً فالإعلام الإسلامي يمثل أنشطة الإسلام كافة، ويوصلها إلى المجتمعات في أنحاء المعمورة، وهو الإعلام المنضبط بالشريعة الإسلامية في كافة توجهاته ونشاطاته.

معنى المعاصر لغة: بمعنى الوقت والحين.

واصطلاحاً: هو العالم أو الزمن الذي نعيش فيه وننتمي إليه الآن. ونقصد بالإعلام الإسلامي المعاصر الوسائل الحديثة التي تدخل في نقل أنشطة الإعلام في عصرنا الراهن من الصحف، والإذاعات،

---

[٣٣] الدليمي، عبد الرزاق مُحَمَّد. ٢٠١٢. *الإعلام الإسلامي*. الأردن: دار ميسرة. ص٩٦.

[٣٤] خالد مهنا. ١٩٩٥. *رؤية إسلامية كبير السحرة في ثوب اعلامي معاصر*. د م: مركز الدراسات المعاصرة. ص٥١.

والفضائيات، والسينما، والمسرح، والإنترنيت، وغيرها من الوسائل الحديثة التي تستخدم في الإعلام ونقل المعلومات.

٢. ٢. ٢ ماهية الإعلام الإسلامي

يناقش هذا المطلب مفهوم الإعلام الإسلامي، وبيان أصوله، ومصادره. والإعلام الإسلامي هو مفهوم يطلع على جميع المضامين والرسائل التي تبثها الوسائل الإعلامية المختلفة، وتكون تلك المضامين والرسائل من التشريع الإسلامي قرآناً وسنةً؛ لتزويد الجماهير بالحقائق والأخبار الصادقة بغرض التبصير والتأثير الايجابي.

علاوة على ذلك ينبه الدكتور رشدي شحاته أبو زيد إلى ماهية الإعلام الإسلامي بأنه: ذلك النوع من الإعلام الذي يتخذ من الفكر الإسلامي ومصادره الأساسية منهجاً للعمل باستخدام وسائل الاتصال لخدمة الإسلام وقضاياه، وأسلوباً للتخاطب مع الأفراد كما تصوره آيات القرآن الكريم[٣٥]. ويزيد خالد مهنا الأمر بياناً وتوضيحاً لماهية الإعلام الإسلامي بقوله: فالإعلام الإسلامي يعني أن ممارسة الإعلام بالوسائل المتقدمة، والأساليب الجذابة الراقية، من خلال المحتويات والمضامين الإسلامية السليمة النافعة. فالإعلام الإسلامي ليس مجرد دروس ومواعظ تلقى من خلال أجهزة الإعلام، ولا تلك المسلسلات عن التاريخ الإسلامي التي تعرض ضمن برامج الإذاعات والتلفزيونات في بعض الدول العربية التي تظهر المسلمين غاضبين في حالة هلع دائم، يرتدون ملابس قبيحة التصميم و بمكياج مبالغ فيه يظهرهم كالمهرجين[٣٦].

فمفهوم الإعلام الإسلامي هو الرسالة الموجهة إلى العالم الإسلامي والغير إسلامي، عبر وسائل

---

[٣٥] شحاته. ١٩٩٩. *مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد*. ص ٢٣.

[٣٦] المرجع السابق. ص ٥١.

الإعلام المختلفة، التي يقوم من خلالها المرسل بنقل أحكام، ومفاهيم، وقيم الدين الإسلامي، والحث على سلوك طريق الخير، وبناء الحياة، وإصلاحها ما استطاع إلى ذلك سبيلا. ويكون إعلاماً منضبطاً بضوابط الشريعة الإسلامية، أي أن الإعلام الإسلامي لا يقتصر على قراءة القرآن، والمواعظ، وشيخ يلقي الفتاوى على الجماهير؛ ولكن الإعلام الإسلامي أكبر من ذلك، فهو إعلام منفتح، واسع، متنوع، يقدم مضامينا علمية، وثقافية، ومجتمعية، وترفيهية، وإخبارية، إضافة إلى المضامين الدينية، لكنه في العموم منضبط وملتزم بالشريعة الإسلامية.

فالإعلام الإسلامي لا يجوز أن يكذب، والإعلام الإسلامي لا يخدع، ولا يشيع الفاحشة، فهو أمين لا يخون. وهكذا معنى الإعلام أن يكون منضبطا بضوابط الشريعة الإسلامية، أي تجري عليه أحكام الشريعة ونواهيها. والإعلام الإسلامي له وظائف وأهداف يرمي إليها لتكوين المفاهيم الصحيحة لدى جماهير المستقبلين له في كل مكان من أنحاء العالم، لغرس القيم والمبادئ الصحيحة السليمة التي تفيد الناس في دنياهم، وتنظم شؤونهم وأحوالهم المعيشية، وتنظم علاقة البشر بعضهم ببعض، كما تنظم أيضاً علاقة البشر بخالقهم سبحانه وتعالى، وترشدهم إلى الغذاء الروحي بما يؤدي إلى الاستقرار النفسي في الدنيا وإلى السعادة الأبدية الخالدة في الحياة الآخرة[٣٧].

لذلك يكتسب الإعلام الإسلامي مشروعيته وعمله من الشريعة الإسلامية التي تنسجم مع الفطرة الإنسانية، ليقوم بمهمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في أسلوب حسن وعبر كلمة طيبة. قال تعالى مادحاً الكلمة الطيبة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي

[٣٧] الدليمي. ٢٠١٢. *الإعلام الإسلامي*. ص٩٧.

السَّمَاءِ﴾[٣٨]. وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه البخاري: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم"[٣٩].

ولا شك أن الكلمة هي اللبنة الأولى في درب الإعلام الإسلامي من خلال الأخبار، والدعوة لدين الله، والحوار، والموعظة، والإرشاد، والتعليم، والتثقيف، والتوجيه، وهذه المهمّة هي مهمّة الأنبياء والمرسلين ومنهم نبينا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام. فحين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٤٠]، انطلق النبي ﷺ يعلم الناس الخير والصلاح والإصلاح، ويدعو الناس إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، واستمر كذلك إلى أن لقي ربه عز وجل.

إن القائم بالاتصال هو أساس العملية الإعلامية، فهو الذي منه يصدر الإعلام وفيه سماته التي تفيض بروح الإعلام الإسلامي، إسلامي الروح، وإسلامي الوجد، وإسلامي الفاعلية في حياة الناس، وإسلامي أخلاقيات العمل الإعلامي. هكذا يكون المصدر؛ إسلامي الطموح، إسلامي الانتماء، إسلامي التوثيق، إسلامي التعمق، إسلامي الامتداد، إسلامي الأشواق والأذواق، إسلامي التوحد والتوقد. مصدر ينبغي أن تشع منه بتلقائية خصائص الإعلام الإسلامي الصادق الأمين.

يصبح الإعلام إسلامياً عندما "يعالج مختلف قضايا الحياة واحداثها من منظور إسلامي استناداً إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وما ارتضته الأمة من مصادر تشريعية، وتقديم هذه القضايا والأحداث

---

[٣٨] القرآن. إبراهيم ١٤:٢٤.

[٣٩] البخاري، مُحَمَّد بن اسماعيل. ١٩٨٧. *صحيح البخاري*. تحقيق مصطفى البغا. لبنان: دار بن كثير، اليمامة. كتاب الرقائق. باب حفظ اللسان. ج٥. ص٢٣٧٧. #٦١١٣.

[٤٠] القرآن. الشعراء ٢٦:٢١٤.

للجماهير بلغة مناسبة واستخدام الفنون الإعلامية الملائمة والإفادة من كل وسائل التكنولوجيا الحديثة"[٤١]. وهذا ما ينبغي على الإعلامي المسلم أن يقدمه للناس؛ الإعلام الإسلامي إعلام شمولي يقوم بالوظائف التي يؤديها الإعلام الغير الإسلامي؛ مثل الأخبار، والدعوة، والتعليم، والإرشاد، والتوجيه، والتسلية، وممارسة الحرب النفسية والرد على الأعداء، لكنه إعلام محافظ يلتزم بضوابط الشريعة الإسلامية.

يقول الدليمي عن هذا الإعلام: إن إعلاماً يتصف بهذه الصفات، وله هذه الميزات، لهو إعلام راقٍ حقاً، يحترم العقول ويرتقي بها بالمفهوم والسلوكيات، ولا يهيج الغرائز، وهو إعلام صادق عفيف. فالحاجة ماسة لإعلام إسلامي يعبر عن حقيقة معتقدنا، ومنهج حياتنا[٤٢].

٢. ٢. ٣ نشأة الإعلام الإسلامي

يناقش هذا المطلب نشأة الإعلام الإسلامي، وكيف بدأت مهمّة الإعلام في الإسلام، وأن الدين الإسلامي دين إعلامي بطبيعته؛ الذي يجعل الدعوة هي مسؤولية جميع القادرين على تبليغها. ويناقش هذا المطلب؛ بداية نشأة الإعلام الإسلامي. وعالمية الإعلام الإسلامي.

أولاً– بداية نشأة الإعلام الإسلامي

كانت بداية الإعلام الإسلامي مع بعثة النبي عليه الصلاة والسلام، ومع تنزّل القرآن الكريم، فالإسلام دين إعلامي يقوم على الدعوة، والتبليغ، والبيان لجميع العالمين. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ

---

[٤١] هيبة، محمّد منصور. ١٩٩٠. *الصحافة الإسلامية في مصر*. مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. ص ٢٠.

[٤٢] الدليمي. ٢٠١٢. *الإعلام الإسلامي*. ص٩٦.

الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤٤].

فقد ذهب مُحَمَّد رمضان لاوند إلى أن القرآن هو (كتاب إعلامي) بمعنى أنه يحتوي على اساليب ووسائل إعلامية، معللاً ذلك بقوله: "نزل بالحق لتحقيق غرض معين هو الدعوة إلى الله وتحقيق عقيدة الوحدانية ووضع التشريعات التي تنظم بها شؤون الدنيا والآخرة"[٤٥]، سالكاً في ذلك جملة من الأساليب الإعلامية منها: الحوار المنطقي، والقصة، والموعظة الحسنة، ومناقشة القضايا التي تعرض للناس. لذلك كان هناك إعداد للنبي ﷺ للقيام بهذه المهمّة العظيمة، ولان هذه الرسالة شأنها وقدرها عظيم، وإبلاغها يتطلب جهداً غير عادي، فقد أعدّ الله عز وجل رسوله لتحمّل المسؤولية في التحمّل والأداء، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[٤٦].

فلا أحد ينكر الصفات التي أتصف بها سيدنا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام من الصدق، والأمانة، ورجاحة العقل، والشجاعة، والإقدام، وأنه اختاره من أعرق البيوت وأشرفها نسباً. فهو لم يشرب الخمر، ولم يسجد لصنم. كل هذه الصفات كانت أساسية لتمثل القدوة الحسنة للناس كافّة، وهذه الصفات أساسية لمقومات الشخصية الإعلامية الإسلامية. بعد ذلك بدأ عليه الصلاة والسلام بالجهر والإعلان للدعوة، بعد ما تيقن أنه المأمور بتبليغ هذا الدين لجميع العالمين إلى يوم القيامة. "ثم أن الله عز وجل أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه. وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه، ثم قال الله تعالى له:

---

[٤٣] القرآن. النحل ١٦:٤٤.

[٤٤] القرآن. النحل ١٦:٦٤.

[٤٥] لاوند، مُحَمَّد رمضان. ١٩٧٦. *السياسة الإعلامية في القرآن بين التاريخ والمعاصرة*. السعودية: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. ص٦٥.

[٤٦] القرآن. المزمل ٧٣:٥.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[٤٧]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٤٨]، وقال الله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[٤٩]"[٥٠].

فكانت هناك الدعوة سرية تقوم على دعوة القريبين، حتى يكونوا بمنزلة الأعوان والأنصار لتحمّل المسؤولية في أداء هذه المهمّة العظيمة. واستمرت الدعوة قرابة الثلاث سنوات، كما ذكر أنفاً، إلى حين جاء أمر الله تعالى بالجهر بالدعوة والانتقال من مرحلة السرية إلى المرحلة العلنية. انطلق رسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يخبر الناس بدعوته ويعلمهم دين ربه، ويرشدهم إلى محاسن الإسلام وسمو مقاصده، فقام يدعو بكل طاقته في داخل مكة وخارجها؛ يلتقي بالأفراد، ثم يذهب إلى التجمعات التي تأتي إلى الحج، وفي الأسواق، والطرق، والأزقة.

كانت الرسائل الإعلامية التي يرسلها الرسول ﷺ إلى المستقبلين رسائل موجزة، ومركزة، ومعبرة عن المعنى المقصود منها. فكان يقول لهم عليه الصلاة والسلام: "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"[٥١]، وظل يدعو عليه الصلاة والسلام بهذه المنهجية، والحماسة، والتفاني في خدمة دين الله حتى توفاه الله سبحانه وتعالى.

ثانياً– عالمية الإعلام الإسلامي

إن رسولنا الكريم محمّد ﷺ هو الإعلامي الأمثل الذي اصطفاه الله تعالى ليكون شاهداً ومبشراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. كذلك كانت مهمّة الرسل جميعاً، الذين أرسلوا لهداية الناس

---

[٤٧] القرآن. ال حجر١٥:٩٤.

[٤٨] القرآن. الشعراء ٢٦:٢١٤.

[٤٩] القرآن. الحجر ١٥:٨٩.

[٥٠] الانصاري، ابن هشام. ١٤١١. *السيرة النبوية لابن هشام*. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. لبنان: دار الجيل. ج١. ص٢٦٢.

[٥١] ابن حنبل، أحمد. دت. *مسند أحمد بن حنبل*. مصر: مؤسسة قرطبة. ج٣. ص٤٩٢. تعليق شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.

إلى الإيمان بالله وحده وإفراده بالعبودية دون غيره[٥٢]. وبعد أن اتسعت رقعة الإسلام، وأصبح للإسلام دولة، وفتحت مكة، ودخل الناس بدين الله أفواجاً، نهج الإعلام الإسلامي بعداً آخر، وأصبح للإعلام أفراد كثيرون يقومون بمهمّة التبليغ والدعوة لدين الله، ليس كما في السابق حين قامت الدعوة على شخص النبي ﷺ، وبعض اصحابه القلائل رضوان الله عليهم أجمعين.

بهذا تحول كل أفراد المجتمع إلى رجال دعوة وإعلام. يقومون بواجب الدعوة من ناحية، ومن ناحية أخرى بالتواصي على الخير، والتناهي عن الشر. أي تحت مراقبة الله، ونيتهم، ومراعاة الضمير الذي تربى تحت سماحة الشريعة، وهو الأمر الذي ساعد على انتقال الأخبار داخل المجتمع الإسلامي وانتشار المعرفة.

بل جعلت الدعوة إلى هذا الدين مسؤولية شرعية تقع على عاتق كل مسلم كل بحسب علمه وقدرته. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: "بَلغوا عني وَلَو آية"[٥٣]. وهذا يدل على أن مهمة التبليغ لهذا الدين مناطة بالجميع حسب العلم والقدرة. وقال تعالى مخاطباً الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[٥٤].

فالله عندما مدح هذه الأمة بصفة الخيرية؛ عللها لكونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، ومتى انسلخت الأمة عن هذه الوظيفة العظيمة زالت عنها هذه الخيرية. هكذا أصبح الإعلام الإسلامي مرتبط بالدين الإسلامي منذ بداياته وحتى يرث الله الارض ومن عليها.

---

[٥٢] السلامة، محمّد بن عبد الله. ٢٠٠٣. *الإعلام الإسلامي ومتغيرات العصر*. السعودية: مكتبة التوبة. ص٢٦.

[٥٣] العثيمين، محمّد بن صالح. ١٤٢٦. *شرح رياض الصالحين*. السعودية: دار الوطن. ج٢. ص٣٤٨.

[٥٤] القرآن. ال عمران ٣:١١٠.

ويكون التبليغ والبيان والدعوة مهمّة المسلمين كافة، لكن هناك جماعة متخصصة لهذا الشأن، معنية بتفاصيل الدعوة ومهمّة التبليغ. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥٥]. "فالمقصود بهذه الآية أن تكون فرْقَة من الأمَّة متصدية لهذا الشأن، وإنْ كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه"[٥٦].

أي أن مهمّة التبليغ والدعوة تقع على عاتق الجميع، لكن هناك جماعة متخصصة ومتصدية لهذه المهمّة العظيمة وعليها توضيح تفاصيل هذا الدين ودقائق الشريعة لجميع العالمين. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٥٧].

وبهذا يتحقق الكمال لهذه الشريعة. فهذا متخصص بالجهاد، وهذا متخصص بالتجارة، وآخر متخصص بالعلم والتعليم، وآخر متخصص بالدعوة والتبليغ، وبهذا يتكامل المجتمع الإسلامي. ولو تتبعنا المجتمع الإسلامي في عهد النبي عليه الصلاة والسلام؛ نرى هذا الأمر جلياً، فكان سيدنا خالد بن الوليد والقعقاع وغيرهم متخصصين بالقتال، ويُلاحظ ابن عمر وأبو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص رضوان الله عليهم اجمعين متخصصين بالعلم والحديث، ونرى ابن عباس رضي الله عنهما متخصص بالتفسير والقرآن، وزيد بن ثابت بالفرائض، ومصعب بن عمير بالدعوة والتبليغ. وهكذا كان المجتمع الإسلامي متخصصاً. لكن هذا لا يمنع أن الكل كان يجاهد إذا لزم الأمر، والكل يدعوا إلى الله تعالى حسب علمه ومقدرته، والكل يعلّم من يدخل في الإسلام حديثاً أو لديه جهل ببعض أحكام الشرعية.

---

[٥٥] القرآن. ال عمران ١٠٤:٣.

[٥٦] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع. ج٢. ص٩١.

[٥٧] القرآن. التوبة ١٢٢:٩.

وهكذا كان المجتمع الإسلامي في عهد النبي ﷺ، ولنا أسوة بهكذا مجتمع بأن نحذوا حذوه في مسألة التخصص وفي مسألة المسؤولية التي تقع على عاتق الجميع. وبهذا يكون الإعلام الإسلامي ومهمّة الدعوة هي وظيفة جميع المسلمين كل بحسب علمه، وقدرته، واستطاعته؛ لتبليغ الدعوة والذب عن الإسلام، ونصرة القضايا الإسلامية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٢. ٢. ٤ قناة الرسالة الفضائية

يناقش هذا المطلب التعريف بقناة الرسالة الفضائية الذي يتضمن نشأتها، ومؤسسها، وتاريخ بثها. بالإضافة إلى أبرز أهداف القناة التي تكون البرامج المرسلة ضمن هذه الأهداف. وكذلك تحديد السياسات والقيم العامة للقناة لتكون المحددات الرئيسية للبرامج التي تنطلق منها إلى الجمهور. بالإضافة إلى بيان مفهوم برامج قناة الرسالة وطبيعة هذه البرامج.

أولاً: التعريف بقناة الرسالة الفضائية

بدأت قناة الرسالة الفضائية البث لأول مرة في مارس سنة ٢٠٠٦م. ورئيس مجلس إدارة القناة هو الوليد بن طلال. والشعار اللفظي لها: "الرسالة إبداع وأصالة"، وتبث على مدار ٢٤ ساعة، ومقرها جدة في السعودية. حازت القناة بفترة وجيزة على نسب كبيرة بين الفضائيات الإعلام الإسلامي في الدول العربية في استقطاب المشاهدين، وهي أول قناة عربية تحصل على شهادة الجودة "الأيزو" بين القنوات العربية، وتعتبر من أفضل عشرين قناة المفضلة لدى الشعب السعودي[٥٨].

لغة القناة اللغة العربية، وتستهدف المواطن العربي العادي متوسط المفهوم والثقافة، فهي ليست موجهة للمفكرين والمثقفين وإن كانوا سيجدون اهتماماتهم فيها. تخاطب القناة كلا الجنسين مع التركيز

[٥٨] موقع قناة الرسالة الفضائية: http://www.alresalah.net/#!/about.jsp.

على فئة الشباب، كما أن هناك خطاب موجه للمرأة للنهوض بها دينياً وفكرياً. وهي تخاطب عموم الأمة وليست لمنطقة بذاتها[٥٩].

ثانياً: أهداف قناة الرسالة الفضائية[٦٠]

تهدف قناة الرسالة الفضائية إلى العديد من الأهداف ومنها:

أ- تغيير المبادئ الخاطئة: وتشمل تغيير الأفكار بحيث تتوجه القناة إلى ترسيخ الفكر الوسطي الإسلامي الصحيح والمعتدل، بالإضافة إلى زرع التصورات الصحيحة وتغيير التصورات الخاطئة.

ب- ترشيد الاهتمام: وذلك باستغلال أوقات الفراغ لدى الجماهير وتوظيفاها بما يعود عليهم بالنفع في أمورهم.

ج- تنمية المهارات: وذلك بمساعدة الإنسان على زيادة الإتقان بالعمل، وزيادة المهارات لدى الإنسان، فكلما زادت مهارات الإنسان زاد عطاؤه ونفعه وأثره. فالقناة تهدف إلى زيادة هذه المهارات وتطويرها مثل حسن التخطيط، والإدارة، واتخاذ القرار، والتنظيم، والتسويق، ومهارات التقنية، ومهارات التواصل، وفن بناء العلاقات الإنسانية، ومهارات الذكاء الاجتماعي، وغيرها.

د- تطوير العلاقات: فالقناة تساعد في تطوير العلاقات الإنسانية وبنائها بشكل سليم، فالإنسان يؤثر ويتأثر بالعلاقات من حوله، فالقناة تساهم في بناء العلاقات الاجتماعية مثل العلاقات الأسرية، والصداقات، وفن العلاقات العامة، والتواصل بين البشر.

هـ- التعريف بالقدوات: تعمل القناة على إبراز القدوات الإيجابية وتعريف المشاهدين بها، وتوجههم للاقتداء بهم. ومن هذه القدوات: الرموز التاريخية على مدى العصور مثل الانبياء والصحابة، وعلماء

---

[٥٩] المصدر السابق.

[٦٠] المصدر السابق.

الأمة، وكذلك علماء الطبيعة، والناجحون، ومن لديهم تجارب إيجابية في خدمة المجتمعات، والمبدعون، وغيرهم.

ثالثاً: السياسات والقيم العامة[٦١]

هناك العديد من الضوابط والمحددات العامة التي تلتزم بها القناة كنوع من السياسات والقيم التي تحتكم إليها في عملها الإعلامي ومن هذه القيم والسياسات:

أ- عدم المخالفة للعقيدة الإسلامية، مع السماح بالحوار العقائدي العلمي الذي يراعي أدب الحوار والمناظرة، مما يساهم في إيصال الحق إلى الجمهور، مع احترام والأدب لكل الأديان.

ب- عدم مخالفة الأخلاق الإسلامية، والعادات الاجتماعية السائدة في منطقة العالم العربي.

ج- احترام المرأة، وعدم تبذلها، واشتراط الحشمة والذوق والأدب العام.

د- السماح بالفن الهادف الذي يحمل القيم الدينية والأخلاقية والوطنية، والذي يساهم في ترسيخ منظومة القيم والأخلاق في العالم العربي.

هـ- الابتعاد عن كافة الخلافات السياسية وصراعاتها، عدا قضية فلسطين، وعدم تجريح الدول أو الأشخاص أو المنظمات أو الهيئات أو الأحزاب أو الجماعات وما في حكمها.

و- عدم النيل من الطوائف والمذاهب الإسلامية مع السماح بالحوار المؤدب الراقي الذي يصل إلى الحقيقة والتفاهم. بالإضافة إلى تشجيع العمل الخيري والتكافلي المنضبط بالقوانين والأنظمة.

ز- قبول كافة مصادر الإيرادات الحكومية بشرط على ألا تؤثر على استقلالية القناة، وعدم التوسع بالبرامج الغير هادفة كبرامج الضحك والتسلية، وعدم التعصب لمذهب معين على حساب آخر.

---

[٦١] المصدر السابق.

رابعاً: برامج القناة[٦٢]

تتميز البرامج في قناة الرسالة بتنوعها، ورسالتها، والقيم التي تحملها، بالإضافة إلى اللمسة التقنية والمعاصرة التي تصاحب تلك البرامج. برامج القناة تنقسم إلى قسمين: الأول يكون دورة عرضه مستمر لا يتحدد بزمان مثل برامج الفتاوى، والتفسير، والفقه وغيره. أما القسم الثاني فيتحدد في دورة برامجية تحددها القناة، وذلك لمواكبة التجديد والتغير الذي يهدف إلى كسب تأييد الجمهور. أما برامج قناة الرسالة فمتنوعة وشاملة: تشمل البرامج العلمية، والبرامج الحوارية التي تهدف إلى الارتقاء بالإنسان، وبرامج متخصصة بالنساء تهدف إلى النهضة بواقع المرأة، وهناك برامج التسجيلية والوثائقية، وهناك البرامج الاقتصادية، بالإضافة إلى البرامج الدينية من الإفتاء ونقل الصلوات والمواعظ والتفسير والسيرة وغيرها، وهناك التقارير الميدانية التي تهتم بواقع الأمة الإسلامية، ولا تنسى القناة برامج التسلية والترفيه مثل برامج المسابقات الهادفة، وغير ذلك من البرامج النافعة. ولذا فأنها تعتمد في أساليبها على التنوع في طرح البرامج بعيداً عن القولبة التي تبعث على الملل لدى المشاهد، بالإضافة إلى مراعاة الجانب الفني والتكنلوجي وذلك للوصول إلى استهداف أكبر شريحة من الجماهير. فهي تقدم ثروة فكرية مرئية من البرامج التربوية الهادفة والمتنوعة، التي تحتاجها الأسرة المسلمة في واقع العالم العربي في أسلوب هادف وعلمي متزن، لا يعمل على التحريض والتجريح، ويلتزم بالمبادئ المهنية في إطار عمل إعلامي مؤسسي متناغم متكامل.

٣. ٢. مفهوم مقاصد الشريعة الإسلامية

يناقش هذا المبحث مفهوم مقاصد الشريعة الإسلامية؛ من خلال استقصاء مفهوم مقاصد الشريعة الإسلامية؛ الذي يتضمن التعريف بها لغةً واصطلاحاً، وتاريخها، وطرق معرفتها، واقسامها.

---

[٦٢] المصدر السابق.

يتضمن هذا المبحث المطالب الآتية: التعريف بمقاصد الشريعة الإسلامية. تاريخ علم المقاصد. طرق معرفة المقاصد. أقسام مقاصد الشريعة الإسلامية.

٢. ٣. ١ تعريف مقاصد الشريعة الإسلامية في اللغة والاصطلاح

يناقش هذا المطلب تعريف مقاصد الشريعة الإسلامية في اللغة والاصطلاح. وقبل الشروع بتعريف مقاصد الشريعة الإسلامية؛ لابد أن نعرّف هذا المصطلح كمركب إضافي من (مقاصد) و(الشريعة) ومنسوبة إلى (الإسلامية)، فنقف على تعريف كل مصطلح في اللغة والاصطلاح، ثم نعرّف المركب الإضافي في الاصطلاح.

تعريف المقاصد لغةً: جمع مقصد؛ والمقصد مأخوذ من الفعل قصد. يقال قصد يقصد ومقصداً[٦٣]. ذكر علماء اللغة أن القصد يأتي في اللغة لمعان[٦٤] هي:

المعنى الأول: الاعتماد، الأَم، وإتيان الشيء، والتوجه. تقول قصده، وقصد له وقصد إليه، إذا أمّه. ومنه أيضاً أقصده السهم إذا أصابه فقتل مكانه. قال ابن فارس[٦٥] "وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه"[٦٦]، من هذا المعنى ما في صحيح مسلم[٦٧] "فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله"[٦٨]. وهذا المعنى يعني القصد، وإرادة الشي، والتوجه إليه.

المعنى الثاني: استقامة الطريق، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ

---

[٦٣] ابن فارس. ١٩٧٩. *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق عبد السلام محمد هارون. مصر: دار الفكر. ج٥. ٩٥.

[٦٤] بن دريد، محمد بن الحسن. ١٣٤٤. *جمهرة اللغة*. الهند: مطبعة دائرة المعارف العثمانية. الطبعة الأولى. ج٢. ص٢٧٤.

[٦٥] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد. اللغوي. القزويني له تصانيف كثيرة منها مجمل اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، توفي سنة٣٩٥. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف. ١٩٨٢. *انباه الرواة*. ج١. ص١٢٧.

[٦٦] ابن فارس. ١٩٧٩. *معجم مقاييس اللغة*. ج٥. ٩٥.

[٦٧] هو مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري الامام الحافظ. الحجة، صاحب الصحيح، توفي٢٦١هـ. الذهبي. دت. *تذكرة الحفاظ*. ج٢. ص٥٨٨.

[٦٨] القشيري، مسلم بن الحجاج. دت. *صحيح مسلم*. لبنان: دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة. كتاب الايمان. باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله. ج١. ص٩٧. #١٦٠.

أَجْمَعِينَ﴾[٦٩]، قال ابن جرير رحمه الله[٧٠] "والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه"[٧١]. يقال طريق قاصد: أي سهل مستقيم، وسفر قاصد: أي سهل قريب قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾[٧٢]، وهذا المعنى يأتي على الطريق المستقيم، أو الطريق السهل المستقيم.

المعنى الثالث: العدل، والتوسط، وعدم الإفراط. كقول الشاعر:[٧٣]

على الحكم المأتي يوماً إذا قضى قضيته أن لا يجور ويقصد.

ويأتي أيضاً بمعنى التوسط وعدم الإفراط قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[٧٤].

المعنى الرابع: الكسر؛ تقول قصدت العود قصداً كسرته، وقيل هو الكسر بالنصف، قصدته اقصده فأنقصد وتقصد والقصدة الكسرة منه، والجمع قصد. هذه المعاني التي تدور حولها كلمة (القصد) في اللغة. وقد بين ابن جني[٧٥] أصل مادة (ق ص د) في اللغة فقال: "هي الاعتزام، والتوجه، والنهود"[٧٦]، أي قريب من المعنى الأول وهو التوجه والقصد، "والنهوض نحو الشيء على اعتدال هذا أصله في الحقيقة"[٧٧].

---

[٦٩] القرآن. النحل ١٦:٩.

[٧٠] أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري. الامام. المفسر. الحافظ. توفي٣١٠هـ. الذهبي. دت. *تذكرة الحفاظ*. ج٢. ص٧١٤.

[٧١] الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير. ١٤٢٠. *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق أحمد محمد شاكر. لبنان: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ج٨. ص٨٣.

[٧٢] القرآن. التوبة ٩:٤٢.

[٧٣] اللحام التغلبي ويروي لعبد الرحمن بن الحكم. ابن منظور. ١٩٦٨. *لسان العرب*. ج٣. ص٣٥٣.

[٧٤] القرآن. لقمان ٣١:١٩.

[٧٥] ابن جني، أبو الفتح الموصلي عثمان. النحوي. اللغوي. توفي ٣٩٢هـ. القفطي. ١٩٨٢. *انباه الرواة*. ج٢. ص٣٣٥.

[٧٦] النهود في معنى النهوض او المضي على كل حال. ابن فارس. ١٤٦٠. *مجمل اللغة*. تحقيق زهير عبد المحسن سلطان. لبنان: مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية. ج٢. ص٨٤٥.

[٧٧] ابن سيدة، علي بن اسماعيل. ١٣٩٢. *المحكم المحيط الأعظم في اللغة*. تحقيق الدكتور مراد كامل. مصر: مطبعة المصطفى البابي الحلبي وأولاده الطبعة الأولى. ج٦. ص١١٦.

بعد أن عرضنا هذه المعاني اللغوية، يتبين لنا أن المعنى الأول هو الذي يتناسب مع المعنى الاصطلاحي إذ فيه الأم، والاعتماد، وإتيان الشيء، والتوجه. وكلها تدور حول إرادة الشيء والعزم عليه. مع أن المعنيين الثاني والثالث ليسَ خارجين عن هذا المعنى، فمقاصد الشريعة يلاحظ فيها الاستقامة، والطريق القويم، والعدل والتوسط، "والذي يستبعد هو المعنى الرابع قطعاً"[٧٨].

ثانياً– تعريف مقاصد الشريعة الإسلامية اصطلاحاً: إن العلماء الذين كتبوا في علم المقاصد في كتب التراث، لم يعرفوا المقاصد تعريفاً اصطلاحياً واضحاً، فكان بعضهم يتعرض للكلام عن المقاصد تبعاً لموضوع آخر في الأُصول مثل العلل أو المصالح أو غير ذلك. أو وضوح معنى المقاصد عندهم، جعل أولئك الأوائل لم يتطرقوا في تعريفها، ولأنه يُعبر عنها بأكثر من لفظ، لكنها تعطي مفهوم المقاصد نفسه.

أما المحدثون الذين كتبوا في علم المقاصد، فقد عرّفوها وتنوعوا في تعريفاتها. من هذه التعريفات تعريف ابن عاشور[٧٩] الذي عرفها بقوله: "مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"[٨٠].

وهذا التعريف يختص بالمقاصد العامة للشريعة، وكما هو واضح؛ يكون هذا التعريف غير صالح للمقاصد الخاصة. لذا عرّف ابن عاشور المقاصد الخاصة بقوله: "هي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة كي لا يعود سعيهم في مصالحهم

---

[٧٨] اليوبي، مُحَمَّد سعد بن أحمد. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية*. المملكة العربية السعودية: دار الهجرة للنشر والتوزيع. ص ٣٩.

[٧٩] هو مُحَمَّد الطاهر بن عاشور. رئيس المفتيين المالكيين بتونس. وشيخ جامع الزيتون وفروعه. توفي ١٣٩٣هـ. الزركلي. دت. *الأعلام*. ج٦. ص١٧٤.

[٨٠] ابن عاشور، مُحَمَّد بن طاهر. ١٩٧٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية*. تونس: مصنع الكتاب للشركة التونسية. الطبعة الأولى. ص٥١.

الخاصة بإبطال ما أسس لهم من تحصيل مصالحهم العامة إبطالاً عن غفلة أو استزلال هوى وباطل وشهوة"[٨١].

وتعريف ابن عاشور رحمه الله واضح، يعطي معنى المقاصد المعاني والحكم، يعني الغاية والحكمة من التشريع وقرنها بالملحوظة أي المعتبرة البينة الواضحة التي يعرِّفها العلماء والعارفون بها. وهذه الغايات والحكم هي مقصودة في غالب أبواب الشريعة أو جميعها. وعرَّفها علاّل الفاسي[٨٢] "بأن المقاصد هي الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[٨٣]، وهذا التعريف لم يبرّز أن الشريعة إنما وضعت لمصالح العباد عاجلاً وآجلاً، وإنما أبرز غايات وأسرار، ولم يحدد ما المقصود بها ومن الذين تعود عليهم. وجاء لفظ الأسرار موهم لمعان مما يساعد أهل البدع من الذين يقولون إن للقران ظاهراً وباطناً أو أسرار لا يعلمها إلا أفراد معينون[٨٤].

وعرفها عالم آخر بقوله "إن المقاصد هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"[٨٥]، وقد أبرز هذا التعريف مصالح العباد وأتى بها بصيغة عامة، مما يجعل هذا التعريف أشمل من التعاريف السابقة.

لكن هناك تعريف حاول جمع هذه التعاريف السابقة ولخصها فعرفت: "هي المعاني والحكم ونحوها

---

[٨١] المصدر السابق. ص١٤٦.

[٨٢] هو علاّل أو محمّد علاّل بن عبد الواحد بن عبد السلام الفاسي الفهري. ولد بفاس. توفي ١٣٩٤هـ. الزركلي. د.ت. *الأعلام*. ج٤. ص٢٤٦.

[٨٣] الفاسي، علاّل بن عبد الواحد. ١٩٧٩. *مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها*. المغرب: مطبعة الرسالة. الطبعة الثانية. ص٣.

[٨٤] حبيب، محمّد بكر اسماعيل. ١٤٢٧. *مقاصد الشريعة تأصيلا وتفعيلا*. السعودية: اصدار رابطة العالم الإسلامي. السنة الثانية والعشرون. العدد ٢١٣. ص١٧.

[٨٥] الريسوني، أحمد. ١٩٩٢. *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*. السعودية: دار العالمية للكتاب الإسلامي. ص٧.

التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من أجل تحقيق مصالح العباد"[٨٦]. ويرى الباحث أن هذا التعريف هو شامل للمقاصد، فهي المعاني والحكم، وهي التي راعاها الشارع، أي قصدها وأرادها الشارع في غالب تشريعه. فالشارع راعى هذه الأمور في عموم الشريعة، وكذلك في خصوصها وجزئياتها. والغاية من هذا كله لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، أي في الدنيا والآخرة. وهذه هي الغاية الحقيقية من مقاصد الشريعة الإسلامية.

شرح التعريف:

المعاني: المقصود بها العلل، وهذا اصطلاح معروف عند العلماء، والعلة في اصطلاح الأصوليين تطلق على:

أ- المعنى المناسب لشرع الحكم وهذا المعنى هو المراد هنا[٨٧].

ب- الوصف الظاهر المنضبط الذي يحصل من ترتيب الحُكم عليه مصلحة[٨٨].

فتطلق على الوصف الظاهر المنضبط، الذي يحصل من ترتيب الحُكم عليه مصلحة. ومثاله: الإسكار، فهو وصف ظاهر منضبط ترتب عليه حكم التحريم لمصلحة حفظ العقل والمال. فعلة تحريم الخمر هي الإسكار. وهذا معنى قولنا: يحصل من ترتيب الحكم عليه مصلحة، وهي مصلحة حفظ المال والعقل[٨٩]. وكذلك السفر وصف منضبط ترتب عليه أحكام رُخص السفر مثل الفطر في الصوم، وقصر الصلاة وغير ذلك من الأمور المتعلقة بفقه السفر.

---

[٨٦] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية*. ص٣٧.

[٨٧] المصدر السابق. نفس الصفحة.

[٨٨] عمر بن عبد العزيز. ١٤٠٨. *المعدول به عن القياس*. السعودية: الناشر مكتبة الدار. ص١٣.

[٨٩] الخادمي، نور الدين بن مختار. ١٤٢١. *علم المقاصد*. السعودية: مكتبة العبيكان. الطبعة: الأولى. ج١. ص١٩.

الحكم: جمع حكمة وهي التي لأجلها صار الوصف علة[٩٠]. وتأتي بمعنى الغاية والهدف والثمرة والمقصد من الأحكام الشرعية. أما قول "التي راعاها الشارع في التشريع"، أي التي عناها وقصدها وأرادها في التشريع، فمعنى ذلك، أن هناك مقاصد وأهداف وغايات للأحكام الشرعية. والتعبير بلفظ "عموماً وخصوصاً" يتناول المقاصد العامة والخاصة، وهذا ما سيفصَّل في أقسام المقاصد إن شاء الله. أما عبارة "من أجل تحقيق مصالح العباد"، فهي توضيح أكثر؛ لأن المعاني التي راعاها الشارع، هي من أجل تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة. ومن يقرأ آيات القرآن الكريم، ويطلع على السنة النبوية بتمعّن، يجد أن الشريعة الإسلامية إنما شرِّعت لتحقيق مصالح العباد العاجلة والآجلة.

ثالثاً– تعريف الشريعة في اللغة والاصطلاح

تعريف الشريعة لغةً: تطلق الشريعة في اللغة على أمور عدة هي: الدين، الملة، المنهاج، الطريقة، السنة،[٩١] وأصلها في لغة العرب تطلق على "مورد الشاربة"، الشريعة والشرع والمشرعة، المواضع التي ينحدر الماء منها، والشرعة والشريعة في كلام العرب شرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منه ويستقون"[٩٢].

ثانياً. تعريف الشريعة في الاصطلاح: اسم الشريعة والشرع والشرعة ينتظم كل ماشرّعه الله من العقائد والأعمال[٩٣]، فتكون الشريعة عنوانا لكل ما شرَّعه الله من الأعمال والأقوال والعقائد. فالشريعة والشرعة ما سنَّ الله من الدين وأمر به.

---

[٩٠] القرافي، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن ادريس. ١٣٩٣. *شرح تنقيح الفصول*. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. مصر: الناشر مكتبة الكليات الازهرية. الطبعة الأولى. ص٤٠٦.

[٩١] ابن فارس. ١٤٠٦. *مجمل اللغة*. ج٢. ص٥٢٦.

[٩٢] ابن منظور. ١٤١٤. *لسان العرب*. ج٨. ص١٧٤.

[٩٣] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. ٢٠٠٤. *مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية*. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ج١٩. ص٣٠٦.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٩٤]. أي على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا (فاتَّبِعْها). يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك (وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ). يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحقّ من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به[٩٥]. وبذلك تكون الشريعة هي الطريقة التي سنّها واختارها الله لنبيه ولعباده المؤمنين.

رابعاً– تعريف الإسلام في اللغة والاصطلاح

الإسلام لغةً: الانقياد[٩٦]. واصطلاحاً: هو النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة، ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها مُحَمَّد ﷺ من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على اتباعها أو مخالفتها من ثواب أو عقاب، وهي بمجموعها تعني دين الإسلام الذي جاء به مُحَمَّد ﷺ من رب العالمين[٩٧].

والإسلام هو ماشرعه الله لعباده من الأحكام عن طريق النبي مُحَمَّد ﷺ، وجعل رسالته هي الخاتمة لجميع الرسالات. قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلام﴾[٩٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٩٩]. وهذه الآية واضحة بأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه رب العزة للبشرية، ومن يدين بغير هذا الدين فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين البائسين.

---

٩٤ القرآن. الجاثية ١٨:٤٥.

[٩٥] الطبري. ١٤٢٠. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج٢٢. ص٧٠.

[٩٦] ابن منظور. ١٤١٤. *لسان العرب*. ج١٩. ص٢٩٣.

[٩٧] عبد الكريم زيدان. ٢٠٠٢. *اصول الدعوة*. لبنان: مؤسسة الرسالة. الطبعة التاسعة. ج١. ص٤.

[٩٨] القرآن. ال عمران ١٩:٣.

[٩٩] القرآن. ال عمران ٨٥:٣.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

٢. ٣. ٢ تاريخ علم مقاصد الشريعة الإسلامية

إنّ لكلِّ علمٍ تاريخٌ يتميَّز برجاله والمؤلفات التي أُلِّفتْ فيه، وهذا مهم في أي علم؛ حتى نقف على بدايته وأين انتهى ومن هم الذين أسهموا في إبراز هذا العلم، وأسهموا فيه إسهاماً بالغاً. فعلم مقاصد الشريعة الإسلامية كغيره من العلوم، له بدايات ورجال أسهموا في إثراء هذا العلم ونشره وإخراج دره للناس أجمعين. لقد ولدت مقاصد الشريعة من النصوص الشرعية ممايعني؛ أن تاريخها كان مع الأحكام الشرعية، فهي موجودة ومقررة في الرسالات السماوية. فالله سبحانه وتعالى أنزل الشرائع وأرسل الرسل لغايات ومقاصد، تعود بالنفع على البشرية في العاجل والآجل. وهذا ما سيتم توضيحه في المواضيع الآتية.

أولاً: المقاصد والنصوص الشرعية

أما مقاصد الشريعة الإسلامية، فجاءت مع نزول الوحي على رسول الله ﷺ. فكانت موجودة في آيات الله وسنّة رسوله الكريم، متضمنة في الأحكام الشرعية، مصرح فيها في آيات كثيرات، منها قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٠٠].

وهكذا فمقصد الصيام هو تحقيق التقوى كما قررته الآية الكريمة. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[١٠١]، هو مقصد عام من شرع الدين، وهو أن الله أنزل هذا الدين للتيسير والتخفيف، ولإقامة مصالح الناس وهذا ما قررته الكثير من النصوص الشرعية. وكذلك ايضاً في سنّة النبي ﷺ وردت الكثير من المفاهيم المقاصدية في أحاديث كثيرة ومتنوعة في المقاصد الكلية والمقاصد الجزئية.

---

[١٠٠] القرآن. البقرة ٢:١٨٣.

[١٠١] القرآن. البقرة ٢:١٨٥.

ففي المقاصد الجزئية؛ مثل مقصد الاستئذان قوله ﷺ "إِنَّمَا جُعِلَ الإِذْنُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ"[١٠٢]، فبين عليه الصلاة والسلام المقصد من طلب الإذن، وهو أن لا يطلع الشخص بنظره على عورات غيره. أو في المقاصد الكلية، كحديث ذلك الأعرابي، الذي قام فبال في المسجد. فتناوله الناس، فقال لهم النبي صلى الله عليه و سلم: "دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء؛ فإنما بعثتم ميسّرين ولم تبعثوا معسّرين"[١٠٣]، فبيّن ﷺ المقصد من بعثته هي التيسير لا التعسير.

كذلك في الحديث الذي أصبح قاعدة في المعاملات؛ فعن عبادة بن الصامت، أن رسول الله قضى أن: "لا ضرر ولا ضرار"[١٠٤]، هذا الحديث يعتبر مقصداً من مقاصد الدين في المقاصد الكلية. وكذلك لما قال سيدنا عمر رضي الله عنه للنبي بأن يقتل راس المنافقين الذي يكيد للإسلام، ويتعاون مع اعدائه، فَقَالَ عليه الصلاة والسلام: "دعهُ لاَ يتحدَّثُ الناس أَنَّ محمدًا يَقْتلُ أَصحابه"[١٠٥].

فسمعة الإسلام والمسلمين مقصد عظيم، مقدم على قتل المنافقين. فإذا كان قتل المنافق يسيء للنبي وللدين فدرء المفسدة مقدَّم على جلب المصلحة. وهذا الأمر مراعى في الشريعة الإسلامية في الكثير من افعال النبي عليه الصلاة والسلام، وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين. وكذلك لما تكلم عليه الصلاة والسلام على بعض مقاصد النكاح بقوله: "من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[١٠٦]، فبين عليه الصلاة والسلام بعضا من مقاصد النكاح، وهو حفظ البصر والفرج. والأحاديث كثيرة في السنة المطهرة التي تدل على مقاصد الشريعة في سنّة النبي عليه الصلاة والسلام.

---

[١٠٢] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب الأداب. باب تحريم النظر إلى بيت غيره. ج٦. ص١٨٠. #٥٧٦٤.

[١٠٣] البخاري. ١٩٨٧. *صحيح البخاري*. كتاب الوضوء. باب صب الماء على البول في المسجد. ج١. ص٨٩. #٢١٧.

[١٠٤] الألباني، محمّد ناصر الدين. د ت. *صحيح وضعيف سنن ابن ماجة*. مصر: مركز نور الإسلام. صحيح. ج٥. ص٣٤٠. #٢٣٤٠.

[١٠٥] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب البر والصلة والآداب. باب نصر الاخ ظالماً أو مظلوماً. ج٨. ص١٩. #٦٧٤٨.

[١٠٦] البخاري. ١٩٨٧م. *صحيح البخاري*. كتاب الصوم. باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة. ج٢٦. ص١٩٠٥. #٣.

ثانياً: المقاصد عند الصحابة الكرام

أما المقاصد عند الصحابة الكرام، فنراها جلّية في كثير من المواقف التي طرأت عليهم بعد وفاة الرسول مُحَمَّد ﷺ؛ مثل: جمع القرآن الكريم بعد وفاة الرسول خوفاً عليه من الضياع، وهذا فيه مراعاة لمقصد حفظ الدين، وهو الأصل الأول في الإسلام. فعن زيد بن ثابت الأنصاري[١٠٧] ﷺ وكان ممن يكتب الوحي قال: أرسل إلي أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة[١٠٨]، وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر أتاني، فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرّاء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن[١٠٩].

وظلت هذه المراجعات إلى أن جُمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ. ومن هنا يتبين الفهم المقاصدي لدى الصحابة الكرام؛ فالقرآن لم يجمعه النبي وقت حياته، ولا أمر بجمعه من بعده، لكن فهم الصحابة الكرام المقصد وهو حفظ الدين. وإذا ذهب القرآن أو بعضه، ذهب كثير من أحكام الدين، فجمعوا القرآن بناءً على مقصد حفظ الدين.

ولما سئل ابن عباس[١١٠] رضي الله عنهما، عن جمع النبي للصلاة في غزوة تبوك فقال: "أراد أن لا يحرجَ أُمَّتَه"[١١١]، وهذا ما يدلّ على الفهم المقاصدي لدى الصحابة الكرام، فرفع الحرجّ من مقاصد هذا

---

[١٠٧] زيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري الخزرجي أحد كتاب الوحي واعلم الناس بالفرائض بشهادة رسول الله توفي سنة ٤٥هـ. العسقلاني، ابن حجر. ١٤١٥. *الإصابة في تمييز الصحابة*. لبنان: دار الكتب العلمية. ج٢. ص٥٩٢.

[١٠٨] هي معركة حدثت بين المسلمين وبنو حنيفة الذين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، سارت الجيوش إلى بني حنيفة في اليمامة، وقد تنبأ فيهم مسيلمة الكذاب، نشب قتال ضاري. وانتصر المسلمون أخيراً. وقتل مسيلمة، وتاب القوم وعادوا إلى الإسلام، وقد استشهد في المعركة عدد كبير من الصحابة، ومن حملة القرآن. وهذا ما حمل أبو بكر ﷺ فيما بعد إلى التفكير في جمع القرآن بين دفتي مصحف. العسيري، أحمد معمور. ١٩٩٦. *موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر*. د م. ص ١٠١.

[١٠٩] البخاري. ١٩٨٧. *صحيح البخاري*. كتاب تفسير القرآن. باب تفسير سورة براءة التوبة. ج٤. ص١٧٢٠. #٤٤٠٢.

[١١٠] الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، دعا له النبي بالتفقه في الدين ولقب بحبر هذه الأمة توفي سنة ٦٨هـ. العسقلاني، ابن حجر. ١٤١٥. *الإصابة في تمييز الصحابة*. ج٢. ص٣٢٢.

[١١١] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب الجمع بين الصلاتين في الحضر. ج٢. ص١٥١. #١٦٦٤.

الدين، وهذا ما فهمه الصحابة الكرام وتقرر جلياً في أعمالهم. وكذلك قتال مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ، وإيقاف حد السرقة أيام المجاعة في عهد سيدنا عمر ﷺ، وكذلك في تضمين الصنّاع لما فيه من المحافظة على مقصد حفظ المال. قال الشاطبي: "إنّ الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصنّاع، فقال علي ﷺ: لا يصلح الناس إلا ذاك"[١١٢].

وفي الرسالة التي وجهها سيدنا عمر ﷺ إلى أبي موسى الأشعري؛ تدل على الفهم الدقيق لمقاصد الشريعة عند الصحابة. فقد جاء في مضمون الرسالة، بعد وصايا كثيرة، قوله: "ثم الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ليس في كتاب ولا سنة. ثم قايس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها وأشبهها بالحق"[١١٣]. وهذا يدل على الفهم الكبير لدى الصحابة الكرام في مقاصد الدين، كيف لا وهم أعلم الناس بهذا الدين، لأنهم عايشوا التنزيل وعاصروا النبي، وفهموا من هذا الدين ما خفي على من جاء بعدهم وكما يقول الشاطبي: "هم القدوة في فهم الشريعة والجري على مقاصدها"[١١٤].

ثالثاً: المقاصد عند أصحاب المذاهب ﷺ أجمعين

إنّ المتتبع للمذاهب الفقهية وآرائهم وكتبهم، يرى المعاني المقاصدية متجلّية فيهم. حين جمعوا بين الأثر والفهم، والنص والاجتهاد. فالفهم المقاصدي واضح من خلال فتاويهم واجتهاداتهم وآرائهم الفقهية. لذلك "نرى الكثير من الباحثين انتهوا إلى أنّ الفقه المالكي أكثر عناية بالمقاصد"[١١٥].

فالمذهب المالكي يعتبر المقصود، ولايكتفي بالنظر إلى ظاهر التصرف والعقود ليقول بصحّتها

---

[١١٢] الشاطبي، ابراهيم بن موسى بن مُحَمَّد. ١٩٩٢. *الاعتصام*. تحقيق سليم بن عيد الهلالي. السعودية: دار بن عفان. ج٢. ص١١٩.

[١١٣] ابن القيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر. ١٩٧٣. *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. لبنان: دار الجيل. ج١. ص٨٥. وعز الدين، مُحَمَّد بن إسماعيل بن صلاح. دت. *سبل السلام*. دم. دار الحديث. ج٤. ص١١٩.

[١١٤] الشاطبي، إبراهيم بن موسى. ١٩٩٧. *الموافقات*. تحقيق مشهور بن حسن ال سلمان. السعودية: دار ابن عفان. ج٤. ص١٣٠.

[١١٥] الريسوني. ١٩٩٢. *نظرية المقاصد عند الشاطبي*. ص ٥٠.

وبُطلانها، بل ينظر إلى القصد والباعث والغرض المستتر وراء إنشاء التصرف والعقد، وهذا واضح من الأحكام المقررة في الفقه المالكي[١١٦]. بهذا يُلاحظ الفهم المقاصدي للنصوص الشرعية في الفقه المالكي.

ويتفق العلماء على أنّ الإمام الشافعي هو أول من صنف في أصول الفقه من خلال كتابه (الرسالة)، التي نقل فيها الأصول من الفكر والنظر وعلم العقول إلى القانون والقواعد والسطور. وقد أراد الشافعي ﷺ "نزع الطابع الشخصي المحض عن مجال تقنين الأحكام وإصدار الفتاوى والأوامر مع إضفاء الشمولية عليها قدر الإمكان، ثم بالتالي عدم الاحتكام في عملية التقنين والضبط لغير ما هو مشترك ومجمع عليه بين المختلفين، مما يعتبر مصدراً أصلياً في التشريع"[١١٧]. ولهذا نرى أن الإمام الشافعي رحمه الله أنكر بعض القواعد المصلحية غير المنضبطة. والمتتبّع للفقه الشافعي يرى أن هناك انضباط بالنص واجتهاد وفق مراد النص ومراميه.

وكذلك فقه الإمام أحمد، وهو المتتبع للنص في فتاويه. لكن لا تخلو بعض فتاويه في النظر إلى المصلحة والمقصد من النص. بل وينسب إلى الإمام أحمد المرتبة الثانية بعد الإمام مالك في الأخذ بالمقاصد. يقول الفقيه ابن دقيق العيد رحمه الله[١١٨]: "الذي لاشك فيه أن لمالك ترجيحاً على غيره من الفقهاء في هذا النوع، ويليه الإمام أحمد، ولايكاد يخلو غيرهما من اعتباره في الجملة"[١١٩]. لهذا نرى بعض من فتاوى الإمام أحمد، ليست مبنية على النص، إنما مبنية على المصلحة. مثل نفي أهل الفساد والدعارة

---

[١١٦] عبد الكريم زيدان. ١٩٨٦. *بحوث فقهية*. لبنان: مؤسسة الرسالة. ص٢٥٨.

[١١٧] الصغير، عبد المجيد. ١٩٩٤. *الفكر الاصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام*. لبنان: دار المنتخب. ص١٦٤.

[١١٨] هو مُحَمَّد بن علي بن وهب بن ابي الطاعة القشيري، الملقب بابن دقيق العيد، فقيه ومحدث، له عدة مصنفات منها الإلمام في الحديث وشرح العمدة، توفي سنة ٧٠٢هـ. الزهري، مُحَمَّد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري. ١٩٦٨. *الطبقات الكبرى*. لبنان: دار صادر. ج٦. ص٢.

[١١٩] الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله. ١٩٩٩. *إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول*. تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية. لبنان: دار الكتاب العربي. ص٢١٢.

إلى مكان يُؤمن فيه شرهم، وليس هناك نص يدل على ذلك، لكن المصلحة جوزت فعله[١٢٠]. والأمثلة في هذا الباب كثيرة. وهناك بعض الفتاوى للإمام أحمد وأتباعه، لا يجد الباحث لها سنداً في النص المعين، الذي يأخذ حكم الواقعة من لفظه أو من معقوله بطريق القياس، لكنها فتاوى تحقق مصالح جزئية في بعض النوازل التي لا نص فيها[١٢١]. بذلك نصل إلى نتيجة مؤداها أن الاجتهاد المقاصدي موجود ومعتمد لدى الإمام أحمد وأصحابه من أتباع المذهب.

أما الاجتهاد المقاصدي لدى الحنفية؛ فهو مقرر لديهم، خاصة عند إمامهم أبو حنيفة رحمه الله، صاحب المذهب. فكان منهجه بالاجتهاد بعد القرآن والسنة. وقول الصحابي كما وصفه أحد معاصريه: "بأنه أخذ بالثقة وفرار من القبح والنظر في معاملات الناس وما استقاموا عليه وما صلحت عليه امورهم"[١٢٢].

يتضح من خلال هذا السرد أبعاد المنهج المقاصدي في مذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله. ومن الأمثلة على ذلك؛ فتوى الإمام أبو حنيفة في عدم جواز كسر الملاهي والمعازف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروط "بشرط السلامة من غير أن يتلف مالاً"[١٢٣].

بذلك يتضح من خلال هذه الفتوى، مدى الاجتهاد المقاصدي عند الإمام أبو حنيفة رحمة الله تعالى. لقد اعتنى أئمة المذهب الحنفي بكل من القياس والاستحسان، وحاولوا تحديد ضابط الترجيح

---

[١٢٠] ابن القيم الجوزية. ١٩٧٣. *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. لبنان: دار الجيل. ج٤. ص٣٧٧.

[١٢١] حسين حامد. ١٩٨١. *نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي*. مصر: مكتبة المتنبي. ص٤٧٨.

[١٢٢] المكي، الموفق بن أحمد. ١٩٨١. *مناقب أبو حنيفة*. لبنان: دار الكتاب العربي. ج١. ص٧٥.

[١٢٣] الدبوسي، أبو زيد. ١٩٩٤. *تأسيس النظر*. مصر: مكتبة الخناجي. ص١٨.

بينهما في مسائل الاجتهاد، سواء القدماء منهم أو المتأخرين. ما يدلّ على مدى عنايتهم بالأصول المقاصدية، هذه العناية التي يمكن من خلالها الوقوف على حدود الأداء التشريعي للمقصد في الفكر الأصولي الحنفي[١٢٤].

في تلك المراحل لم تكتب للمقاصد مؤلفات وكتب خاصة، وإنما كانت متضمنة في أفهام الصحابة الكرام وأئمة وأتباع المذاهب. ثم بعد ذلك اخذت المقاصد بعداً جديداً، هو تخصيصها بمباحث ضمن كتب، وبعد ذلك بكتب متخصصة في المقاصد، وهذا ما سنأتي على تفصيله إن شاء الله.

رابعاً: المقاصد في عهد التدوين والتأليف

أ– المقاصد عند الإمام الجُويني رحمه الله[١٢٥]

في هذه المرحلة بدأ العلماء بالكتابة عن علم المقاصد في كتبهم. ومن الأوائل الذين كتبوا في المقاصد إمام الحرمين الجويني رحمه الله، من خلال كتابه (البرهان). فقد نبّه إلى المقاصد في مواضع مختلفة من الكتاب المذكور، حيث ذكر في البرهان قوله: "من لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة"[١٢٦]، فهو رحمه الله ينفي البصيرة والفهم لكل من لم يفهم غايات ومقاصد الشريعة الغرّاء.

وللإمام تصنيفات وتأصيلات خاصة في المقاصد؛ "وهو الذي نبه على تقسيم المقاصد إلى ضرورية

---

[١٢٤] عبد القادر حرز الله. ٢٠٠٥. *المدخل إلى علم مقاصد الشريعة*. السعودية: مكتبة الرشدن. ص٤٢.

[١٢٥] هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الملقب بإمام الحرمين الفقيه الاصولي المتكلم. ولد سنة ٤١٩هـ. وتوفي سنة ٤٧٨هـ. من كتبه البرهان، والتلخيص مختصر التقريب، والورقات، والشامل في اصول الدين. السبكي. ١٤١٣. *طبقات الشافعية الكبرى*. ج٣. ص٢٤٨. الأسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي. ٢٠٠٢. *طبقات الشافعية*. تحقيق كمال يوسف حوت. لبنان: دار الكتب العلمية. ج١. ص١٦٥.

[١٢٦] الجويني. عبد الملك بن عبد الله بن يوسف. ١٩٩٧. *البرهان في اصول الفقه*. لبنان: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. ج١. ص١٠١.

وحاجية وتحسينية"[١٢٧]، فقد صنف مقاصد الشريعة في كتابه إلى عدة اقسام، فعلى سبيل المثال، قال: "الصنف الأول ما يعقل معناه وهو أصل، ويؤول المعنى منه إلى أمر ضروري"[١٢٨].

فقد اشار في هذا النص إلى معقول المعنى، أي معروف المقصد والغاية. فمثلاً شرعّ حد الزنا وإباحة الزواج لحفظ أمر ضروري هو استمرار الحياة وحفظ النسل. فحد الزنا وإباحة الزواج معقول ومفهوم المعنى وهو لحفظ النسل. وقال يؤول المعنى على أمر ضروري أي يرجع هذا المقصد إلى أمر هام فيه ضرورة الحياة، والنسل، فما فيه استمرار الحياة يعتبر من الضرورة.

ثم قال رحمه الله: "والصنف الثاني ما يتعلق بالحاجة العامة، ولاينتهي إلى حد الضرورة"[١٢٩]، فنبه رحمه الله إلى القسم الثاني، وهو أقل في المرتبة، بحيث لا يصل إلى الضرورة، وإنما هو من الحاجة. ومثَّل لها رحمه الله تعالى بمثل حل الإجارة في التشريع الإسلامي، وحاجة الناس إليها، ولكن لاتنزّل منزلة الضرورة كالصنف الأول. ثم ذكر رحمه الله تعالى بقوله: "والصنف الثالث ما لا يتعلق بضرورة خاصة، ولاحاجة عامة"[١٣٠].

فهذا الصنف أقل مرتبة، وهو لا يتعلق بالضرورات ولا الحاجيات، وهو ما اصطُلِح عليه بعده بالكماليات أو التحسينيات. وقد مثّل له الإمام الجويني رحمه الله بالطهارة من الحدث والنجس وغيرها. ثم أكمل رحمه الله بصنفين آخرين، فالصنف الرابع يقع في ضمن القسم الثالث، أي التحسيني. أما الصنف الخامس فقد قال فيه: "ما لا يلوح للمستنبط معنى أصلاً ولا مقتضى من ضرورة أو حاجة، أو استحثاث على مكرمة"[١٣١].

---

[١٢٧] الريسوني. ١٩٩٢. *نظرية المقاصد عند الشاطبي*. ص ٣٤.

[١٢٨] الجويني. ١٩٩٧. *البرهان*. ج٢. ص٧٩.

[١٢٩] المصدر السابق. ج٢. ص٧٩.

[١٣٠] المصدر السابق. نفس الصفحة.

[١٣١] المصدر السابق. نفس الصفحة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

يفهم من هذا الصنف؛ أنه قد يكون من أقسام الشريعة لا تعرف الغايات والمقاصد منها، ومثّل لها رحمه الله بقوله: مثل "العبادات البدنية المحضة، فانه لا يتعلق بها أغراض دفعية ولا نفعية محضة، ولكن لا يبعد أن يقال: تواصل الوظائف يديم مرونة العباد على حكم الانقياد، وتجديد العهد بذكر الله، وينهي عن الفحشاء والمنكر وهذا يقع على الجملة"[١٣٢]. ويعتبر هذا التصنيف للمقاصد الذي صنفه الإمام الجويني هو الأصل الذي استقر عليه العلماء من بعده (الضرورات، الحاجيات، التحسينيات)، لكن أدخلت تصانيف وتقسيمات أخرى، وهذا ما سيتم تفصيله بإذن الله تعالى.

ب– المقاصد عند الإمام الغزالي رحمه الله[١٣٣]

جاء بعد الإمام الجويني تلميذه الإمام الغزالي، والإمام الغزالي أهتم بعلم المقاصد وتناوله في أكثر من كتاب من كتبه[١٣٤]. فتكلم عن المقاصد وعرّفها، وتناول المصلحة وجعل المصلحة في المحافظة على مقصود الشارع. قال الغزالي: "أما المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة، فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم. لكننا نعني بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع. ومقصود الشرع من الخلق خمسة؛ وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم"[١٣٥].

فنلاحظ من كلام الإمام الغزالي؛ أنه جعل المصلحة في المحافظة على مقصود الشارع، وجعل الضروريات الخمسة وهي حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وجعل هذه الضروريات هي

---

[١٣٢] المصدر السابق. نفس الصفحة.

[١٣٣] هو مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: ولد سنة ٤٥٠هـ، له نحو مئتي مصنف. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزَالة (من قرى طوس) من مؤلفاته إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال، توفي٥٠٥هـ. الزركلي. دت. *الأعلام*. ج٧. ص٢٢.

[١٣٤] *المنخول من تعليقات الأصول. شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل. المستصفى في علم أصول الفقه.*

[١٣٥] الغزالي، أبو حامد مُحَمَّد. ١٤١٣. *المستصفى في علم الأصول*. تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام عبد الشافي. لبنان: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. ج٢. ص٤٨١.

مقصود الشارع وغاياته. وفي ذكر المسالك التي تعرف بها المقاصد، قال الإمام الغزالي: ومقاصد الشرع تعرف بالكتاب والسنة والإجماع وكل مصلحة رجعت إلى حفظ مقصود شرعي علم كونه مقصوداً بالكتاب والسنة والإجماع، فليس خارجاً من هذه الأصول[١٣٦].

فحصر الإمام الغزالي طرق معرفة المقاصد بالكتاب والسنة والإجماع، بذلك يكون قد ألغى المصلحة التي لا تستند إلى الكتاب والسنّة والإجماع، التي اصطلح عليها العلماء فيما بعد بالمصلحة الملغاة. وقد ذكر رحمه الله، بعض القواعد المقاصدية:

أ- أن حفظ الأصول الخمسة واقع في رتبة الضروريات فهو أقوى مراتب المصالح[١٣٧].

ب- أن كل ما يتضمن حفظ الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت فهو مفسدة ودفعها مصلحة[١٣٨].

ج- إذا تعارض شرّان أو ضرران قصد الشارع دفع أشد الضررين وأعظم الشرين[١٣٩].

بهذا يكون الإمام الغزالي رحمه الله من العلماء الأوائل الذين تكلموا في علم مقاصد الشريعة، وأسهموا فيه إسهاماً كبيراً، من خلال التعريف والتأصيل وبيان بعض القواعد المتعلقة بعلم المقاصد. جاء بعد الإمام الغزالي، الإمام الرازي[١٤٠] الذي تكلم عن المقاصد من خلال كتابه (المحصول في أصول الفقه) حين سار على طريقة الغزالي في التقسيم، إلا أنه قسّم التحسينيات إلى قسمين: ما يقع في معارضة

---

[١٣٦] المصدر السابق. ص٢٥٨.

[١٣٧] الغزالي. ١٤١٣. *المستصفى*. ص٢٥١.

[١٣٨] المصدر السابق. نفس الصفحة.

[١٣٩] المصدر السابق. نفس الصفحة.

[١٤٠] مُحَمَّد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي المعروف (بابن الخطيب) ولد بالري سنة٥٤٤هـ. له تصانيف كثيرة منها مفاتيح الغيب المعروف ب (التفسير الكبير) والمحصول في الأصول توفي سنة٦٠٦هـ. السبكي. تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. ١٤١٣. *طبقات الشافعية الكبرى*. مصر: هجر للطباعة والنشر. ج٥. ص٣٣. ابن قاضي شهبة، ابو بكر بن مُحَمَّد بن أحمد. ١٤٠٧. *طبقات الشافعية*. تحقيق الحافظ عبد الحليم خان. لبنان: عالم الكتب. ج٢. ص٦٥.

قاعدة معتبرة، وما لا يقع ضمن قاعدة معتبرة. كذلك الإمام الآمدي[١٤١] من خلال كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) الذي نهج فيه طريقة الإمام الغزالي إلى حدٍ ما، لكنه وسَّع الكلام أكثر في باب الضروريات[١٤٢].

ج- المقاصد عند الإمام العّز بن عبد السلام[١٤٣]

يعتبر الإمام العّز بن عبد السلام، أحد العلماء الذين لهم اهتمام بالغ بعلم مقاصد الشريعة الإسلامية. فقد أسهم الإمام إسهاماً بالغاً برفد هذا العلم من خلال كتبه القيمة في علم المقاصد، مثل: كتابه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) الذي شرح فيه المصلحة، وضوابطها، وقواعدها الكلية، وثوابتها، ومتغيراتها. ثم اختصره إلى (الفوائد في اختصار المقاصد). ولديه اهتمام بالمقاصد الخاصة مثل كتاب (مقاصد الصلاة) وكتاب آخر عن (مقاصد الصوم). وقد بين رحمه الله من خلاله كتابه (مقاصد الأحكام في مصالح الأنام) حقيقة المصالح والمفاسد، وتقسيم المصالح والمفاسد، ورتَّب المصالح والمفاسد، والترجيح بين المصالح نفسها، وبين المصالح والمفاسد، إلى غير ذلك من الأحكام المتعلقة بالمصالح، التي لا توجد مجتمعةً في كتاب غيره من كتب العلماء ممن تقدمه"[١٤٤].

من أقواله في مقاصد الشريعة:

أ- معظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها[١٤٥].

---

[١٤١] علي بن أبي علي مُحَّد بن سالم الثعلبي الفقيه الاصولي له تصانيف كثيرة منها الإحكام في أصول الأحكام، ومنتهى السول، توفي سنة٦٣١هـ. السبكي. ١٤١٣. *طبقات الشافعية الكبرى*. ج٥. ص١٢٩. وشهبة، ابن قاضي. ١٤٠٧. *طبقات الشافعية*. ج٢. ص٧٩.

[١٤٢] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية*. ص٥٤_٥٥.

[١٤٣] عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الملقي ب (سلطان العلماء) الفقه الأصولي ولد سنة ٥٧٧هـ. له مواقف ضد السلاطين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. له مؤلفات كثيرة منها: قواعد الأحكام في مصالح الأنام. واختصار المقاصد، وتفسير القرآن. توفي سنة ٦٦٠هـ. السبكي. ١٤١٣. *طبقات الشافعية الكبرى*. ج٥. ص٨٠.

[١٤٤] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية*. ص٥٦.

[١٤٥] عبد السلام، العز. ١٩٩١. *قواعد الأحكام في مصالح الأنام*. تحقيق طه عبد الرؤوف. مصر: مكتبة الكليات الأزهرية. ج١. ص٧.

ب- والشريعة كلها مصالح؛ إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح[١٤٦].

ج- ولو تتبعنا المقاصد في الكتاب والسنة، لعلمنا أن الله أمر بكل خير دقه وجله، وزجر عن كل شر دقه وجله، فإن الخير يعبّر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد، والشر يعبّر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح[١٤٧].

وتطرّق في كتبه عن الضرورات والحاجيات والتتمات، حين تناول بعض المقاصد الجزئية، مثل كتاب (مقاصد الصلاة)، وكتاب (مقاصد الصوم)، وقد بيّن مقصد الإيمان والحج وغيرها من المقاصد الجزئية. وتكلم أيضاً عن وسائل المقاصد، وعن أحكام المقاصد، "وبهذا يكون العز بن عبد السلام قد أحدث تحولاً كبيراً في دراسة مقاصد الشريعة بما أضافه إليها من أبحاث نفيسة"[١٤٨].

جاء بعد الإمام العز بن عبد السلام، تلميذه الإمام القرافي[١٤٩] الذي اهتم أيضاً بالمقاصد، من خلال كتبه (الفروق) و (شرح تنقيح الفصول على المحصول) و (النفائس). وقد بيّن في هذه الكتب بعض القواعد المقاصدية المستفادة من شيخه الإمام العز بن عبد السلام.

وقد وضّح القرافي في موضوع المقاصد الشرعية منهجه في التعرض لقاعدة الوسائل، وأن قاعدة الوسائل تعود أحكامها إلى أحكام مقاصدها، والتعرض إلى بعض الوسائل التي لا تسقط رغم سقوط المقصد[١٥٠]. ومن أقواله في المقاصد:

---

[١٤٦] المصدر السابق. ج١. ص٩.

[١٤٧] المصدر السابق. ج١. ص١٦٠.

[١٤٨] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة* الشرعية. ص٥٩.

[١٤٩] القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي الصنهاجي المالكي. الفقيه الأصولي. من مصنفاته: الأصول شرح المحصول. الفروق. تنقيح الفصول. توفي سنة ٦٨٤هـ. الزركلي. دت. *الأعلام*. ج١. ص٩٥.

[١٥٠] القرافي، أحمد. دت. *الفروق*. لبنان: عالم الكتب. ص٣٢. القرافي، أحمد. ١٩٩٣. شرح تنقيح الفصول. مصر: دار عطوة. ٤٤٨.

أ- كل مكان (أي في الشريعة) لا نعلم فيه مصلحة، قلنا: فيه مصلحة لم نطلع عليها[١٥١].

ب- الشرع يحيط بجزئيات من المصالح، لا يحيط بها العقل كما في أنواع العبادات[١٥٢]. ومعنى كلامه أن الشريعة فيها من المصالح قد تخفى على العقول ولا تدركها العقول، وأن العقول ليست حاكمة على الشريعة من ناحية المصلحة والمفسدة، وأن الشريعة كلها مصالح وهذا ما يسلم به.

د- المقاصد عند ابن تيمية[١٥٣] وتلميذه ابن القيم الجوزية[١٥٤]

يعتبر ابن تيمية من روّاد علم المقاصد والناهلين من ينبوعه الصافي، فالذي يتتبّع فتاوى هذا العالم الكبير، يرى مدى البعد المقاصدي المهيمن على فكر ابن تيمية. فمن كلامه: "أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما"[١٥٥]. وهذا يدل على الفهم المقاصدي ومعرفة المصالح في الأحكام الشرعية لدى هذا العالم الكبير.

ومن اسهامات ابن تيمية رحمه الله في المقاصد؛ أنه استدرك بعض المسائل التي لم يذكرها الذين سبقوه، مثل المقاصد الخمسة[١٥٦]، فتناول مسألة الحيل، وسد الذرائع، وتعليل الأحكام. وذكر بعض مقاصد الأحكام، وجعل المعرفة بمقاصد الشريعة من خاصة التفقه في الدين، إلى غير ذلك من

---

[١٥١] القرافي، أحمد بن إدريس. ١٩٩٥. *نفائس الأصول في شرح المحصول*. تحقيق عادل أحمد، علي مُحَمَّد معوض. السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز. ج١. ص٣٢٤.

[١٥٢] المصدر السابق. ج١. ص٤٠٢.

[١٥٣] أبو العباس أحمد بن شهاب الدين بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي. ولد سنة ٦٦١هـ. من مؤلفاته: الفتاوى. التحفة العراقية. الصارم المسلول على شاتم الرسول. التدمرية وغيرها. توفي سنة هـ٧٢٨. الذهبي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن قايماز. ١٩٩٨. *تذكرة الحفاظ*. لبنان: دار الكتب العلمية. ج٤. ص٤٩٦.

[١٥٤] ابن القيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، المشهور بابن القيم الجوزية. الفقيه الأصولي. من مؤلفاته: زاد المعاد في هدي خير العباد. إعلام الموقعين عن رب العالمين. مفتاح دار السعادة. شفاء العليل وغيرها. توفي سنة ٧٥١هـ. ابن رجب. ٢٠٠٥. *الذيل على طبقات الحنابلة*. السعودية: مكتبة العبيكان. ج٢. ص٤٤٧.

[١٥٥] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. ٢٠٠٤. *مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية*. ج٢٠. ٤٨.

[١٥٦] المصدر السابق. ج٣٢. ص٢٣٤.

الإسهامات المهمة التي عالجها الإمام ابن تيمية، وهناك رسالة دكتوراه في مقاصد ابن تيمية[١٥٧].

بعد ذلك جاء الإمام ابن القيم الجوزية تلميذه، الذي كان له اهتمام كبير بعلم المقاصد على طريقة شيخه، من خلال "اثبات مقاصد الشريعة، وتعليل الأحكام، وبيان الطرق التي يستفاد منها التعليل وبيان الحكم"[١٥٨]. يظهر اهتمام ابن القيم في المقاصد من خلال كتبه (شفاء العليل) و (مفتاح دار السعادة) وغيرها من كتبه التي تضمنت القول في علم المقاصد. يقول رحمه الله عن الشريعة: "ثم تأمل أبواب الشريعة، ووسائلها، وغاياتها، كيف تجدها مشحونة بالحكم المقصودة، والغايات الحميدة التي شرّعت لأجلها، التي لولاها لكان الناس كالبهائم بل أسوأ حالاً"[١٥٩]. بهذا الكلام يقرر ابن القيم رحمه الله أن الشريعة وأبوابها ووسائلها مليئة بالحكم والغايات والمقاصد، وهي شرّعت لهذه الأمور والغايات العظيمة.

وهكذا سار التلميذ ابن القيم على منوال شيخه وأبدع في كثير من الجوانب في مقاصد الشريعة الإسلامية، وأضاف فيها إضافات مبدعة ودقيقة، وأنكر القول على من قال بأن احكام الله غير معللة أو مقصودة، حتى قال عنهم: "وهل هذا إلا من أساء الظن بالرب تعالى؟ وكيف يستجيز أن يظن بربه أنه أمر، ونهى، وأباح، وحرّم، وأحبّ، وكره، وشرّع الشرائع، وأمر بالحدود لا لحكمة ولا مصلحة يقصدها؟"[١٦٠].

---

[١٥٧] رسالة دكتوراه للباحث: البدوي، يوسف أحمد. ١٩٩٩. بعنوان مقاصد الشريعة عند ابن تيمية. نوقشت في كلية الشريعة في الجامعة الاردنية واجيزت بتاريخ ١٩٩٩م. وطبعت في الأردن: دار النفائس.

[١٥٨] ابن القيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر. دت. *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*. مصر: دار التراث. ص٤٠٠.

[١٥٩] المصدر السابق. ص٤٨٣.

[١٦٠] المصدر السابق. ص٤٣١.

هـ- مقاصد الشريعة عند الإمام الشاطبي[١٦١]

عندما يُذكر الإمام الشاطبي تذكر مقاصد الشريعة الإسلامية، وعندما تُذكر مقاصد الشريعة يُذكر الإمام الشاطبي رحمه الله. فقد أسهم الإمام الشاطبي إسهاماً كبيراً في إبراز هذا العلم وأفرد له جزءً كبيراً من كتابه (الموافقات) بعد أن كان علم المقاصد يشار إليه بين ثنايا الكتب عند السابقين. فأظهره، وبين قواعده وأقسامه وأحكامه "فلما أظهره الشاطبي وأبرزه بتلك الصورة، عرفه الأصوليون وغيرهم، حتى ظنّ بعض الناس أن الشاطبي قد ابتدع هذا العلم وجاء به من تلقاء نفسه"[١٦٢].

إن الذي يميز كتاب (الموافقات) عن غيره من الكتب السابقة التي تناولت المقاصد، تكمن في نواحي: التأسيس، والتوسع، والتأصيل، والتقسيم، والتوضيح للمقاصد في هذا الكتاب "وهي لجدتها نجحت في فرض رهبتها على الحركة العلمية لقرون، ونكاد نجزم أن سطوتها لم تغادر عقول مختلف الأجيال المتعاقبة إلى اليوم"[١٦٣]. ونذكر بعض اسهامات الإمام الشاطبي رحمه الله في علم مقاصد الشريعة:

أ- تقسيم المقاصد إلى قسمين: قسم يرجع إلى قصد الشارع، وقسم يرجع إلى قصد المكلف[١٦٤]، وتحت كل قسم من هذه الأقسام؛ تقسيمات وتفريعات أخرى، مما جعل علم المقاصد يأخذ تفريعات وتقسيمات جديدة مختلفة عن السابق.

ب- إضافة بعض المباحث المهمة مثل: قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام، وربط مقاصد الشريعة بأفعال المكلف[١٦٥].

---

[١٦١] إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه: الموافقات في أصول الفقه. الاعتصام وغيرها. توفي سنة ٩٧٠هـ. الزركلي. دت. *الأعلام*. ج١. ص٧٥.

[١٦٢] العبيدي، حمادي. ١٩٩٢. *الشاطبي ومقاصد الشريعة*. لبنان: دار قتيبة. الطبعة الأولى. ص١٣١.

[١٦٣] حسن مُحَمَّد جابر. دت. *المقاصد الكلية والاجتهاد المعاصر*. لبنان: دار الحوار. ص١٢.

[١٦٤] الشاطبي. ١٩٩٧. *الموافقات*. ج٢. ص٥.

[١٦٥] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية*. ص٧٠.

ج- ربط الشاطبي المقاصد بكثير من المسائل الأصولية، فنلحظ أنه مع تخصيص الجزء الثاني للمقاصد، إلا أن الأجزاء الأخرى تجد فيها كلاماً عن المقاصد[١٦٦]. وهناك بعض المؤلفات التي كتبت عن الإمام الشاطبي ودوره في مقاصد الشريعة الإسلامية[١٦٧]. بقي أن نشير أن الإمام الشاطبي أبدع غاية الإبداع في إبراز علم المقاصد وتأصيله، وبيان أحكامه، وأقسامه، وتوضيح متشابهه، وتفصيل محكمه من خلال كتابه (الموافقات).

و- المقاصد بعد الإمام الشاطبي

اختلفَتْ أنوار الكتابة في علم مقاصد الشريعة بعد الإمام الشاطبي، إلى أنْ جاءَ الطاهر بن عاشور[١٦٨]، حين رأت الكتابةُ النور من جديد، من خلال كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) الذي جعله في ثلاثة أقسام:

الأول: في إثبات المقاصد وأهميتها للفقيه وطرق إثباتها.

والثاني: مقاصد التشريع العامة، وأضاف مقصدي السماحة والمساواة. والثالث: مقاصد التشريع الخاصة بالمعاملات[١٦٩].

والكتاب غني عن التعريف؛ فهو مليء بالفوائد والنكت، وفيه الكثيرُ من الأمور المبتكرة، وقد نهجَ ابن عاشور في كتابه منْهجَ الشاطبي، وقد أشار إلى ذلك رحمه الله فقال: "فأنا أقتفي آثاره —يعني الشاطبي-

---

[١٦٦] المصدر السابق. ص٧٠.

[١٦٧] من هذه المؤلفات: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي للدكتور أحمد الريسوني، الشاطبي ومقاصد الشريعة للدكتور حمادي العبيدي، قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي لعبد الرحمن زيد الكيلاني، وغيرها من المؤلفات التي تناولت المقاصد عند الإمام الشاطبي رحمه الله.

[١٦٨] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور. رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة. من مؤلفاته: التحرير والتنوير في تفسير القرآن. ومقاصد الشريعة الإسلامية. توفي ١٣٩٣هـ. الزركلي. دت. *الأعلام*. ج٦. ص١٧٤.

[١٦٩] ابن عاشور. ١٩٧٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية*. تونس: مصنع الكتاب للشركة التونسية.

ولا أهملُ مهمّاته، ولكن لا أقصد نقله واختصاره"[١٧٠]. ثم جاء بعده الكثير من الباحثين، ممن ألَّف في مقاصد الشريعة، ونذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر:

١. علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها (ت ١٣٩٣هـ).

٢. طاهر الجزائري، مقاصد الشرع (ت ١٣٣٨هـ).

٣. يوسف العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية.

٤. مُحَمَّد اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلّة الشرعية.

٥. حمادي العبيدي، الشاطبي ومقاصد الشريعة.

٦. حسن مُحَمَّد جابر، المقاصد الكلية والاجتهاد المعاصر.

٧. يوسف أحمد البدوي، مقاصد الشريعة عند ابن تيمية.

٨. نور الدين الخادمي، الاجتهاد المقاصدي.

٩. أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي.

وهناك الكثير من المؤلفات التي تناولت مقاصد الشريعة الإسلامية، والاهتمام بها من جديد. نخلص إلى أهمية هذا المطلب التي تتمثل في: معرفة تطور هذا العلم من بدايته حتى وصوله إلى هذا الحد، تشخيص أبرز الأعلام الذين ساهموا في إبراز هذا العلم وتأصيله وتبين قواعده، بالإضافة إلى توضيح الطرق والقواعد التي ينطلق منها الباحثون بناءً على المنهج الذي رسمه السابقون في هذا العلم.

[١٧٠] المصدر السابق. ص٨.

٢. ٣. ٣ طرق معرفة المقاصد

يناقش هذا المطلب طرق الكشف عن المقاصد، التي تعد إحدى أركان هذا العلم، وركيزة من ركائزه. التي بها يتم التعرف على المقاصد، وتتحدد فيه ماهية هذا العلم، وسيتم تفصيل الكلام فيه إن شاء الله.

أولاً: الاستقراء

يعتبر الاستقراء أحد أهم الطرق للكشف عن مقاصد الشريعة الإسلامية. والاستقراء لغةً: التَّتبع، جاء في المصباح المنير "استقرأت الأشياء: تتبعت أفرادها لمعرفة أحوالها وخواصها"[١٧١]. وفي الاصطلاح: تعني تصفح الجزئيات لإثبات حكم كلي[١٧٢].

والاستقراء على نوعين:

الأول استقراء تام: وهو تتبع جميع الجزئيات للوصول إلى حكم كلي.

الثاني استقراء ناقص: وهو تتبع أغلب الجزئيات للوصول إلى حكم كلي.

وهذا التقسيم عند المناطقة أساساً، استعمله الاصوليون، وصار المراد هو الثاني (أي الاستقراء الناقص) غالباً[١٧٣]، نظراً لما يتّسمُ به من مراعاة للجانب العملي. والمراد أن استقراء نصوص الشريعة وتتبع علل الأحكام؛ يحصل من تتبع النصوص لكي نستخلص منها حكماً من تلك النصوص، فتكونُ هي مُراد الشارع وقصدهِ، وبذلك يسهلُ التعرف إلى مقاصد الشريعة من خلال استقراء النصوص الشرعية.

---

[١٧١] الحموي، أحمد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي. دت. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. لبنان: دار الكتب العلمية. ج٢. ص٥٠٢.

[١٧٢] الجرجاني، علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف. ١٩٨٣. *التعريفات*. لبنان: دار الكتب العلمية. ص٣٧.

[١٧٣] الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد. ١٤١٣. *البحر المحيط في اصول الفقه*. الكويت: دار الصفوة للطباعة والنشر. ج٦. ص١٠.

ومن الذين اهتموا بهذا المسلك؛ الإمام الشاطبي رحمه الله حين ذكر في اثبات (الضروريات والحاجيات والتحسينيات): "إن هذه القواعد الثلاثة لا يرتاب في ثبوتها شرعاً أحدٌ ممنْ ينتمي إلى الاجتهاد من أهل الشرع، وإنْ أُعتبرَ مقصودُها شرعاً، ودليل ذلك استقراء الشريعة، والنظر في أدلتها الكلية والجزئية، وما انطوتْ عليه من هذه الأمور العامة على حد الاستقراء المعنوي الذي لا يثبت بدليل خاص بل بأدلة مضاف بعضُها إلى بعض، مختلفة الأغراض بحيث ينتظم من مجموعها أمرٌ واحدٌ تجتمعُ عليه تلك الادلة"[١٧٤].

مثال ذلك: أنّ رفع الحرج مقصدٌ من مقاصد الدين، جاء من خلال تتبع الكثير من النصوص الشرعية؛ مثلاً جاء التيمُّم لرفع الحرج عن استعمال الماء أو فقْدِهِ. إباحة جمع الصلاة وقصرها عند السفر والمرض جاء لرفع الحرج. الفطر للمريض والمسافر جاء لرفع الحرج. إباحة أكل الميتة عندما يوشك على الهلاك جاء لرفع الحرج، صلاة المريض تتم بحسب الاستطاعة جاء لرفع الحرج. عندئذٍ يتبين من خلال استقراء أغلب النصوص والأحكام الشرعية، أن رفع الحرج مقصدٌ من مقاصد هذا الدين الحنيف.

يقول الشاطبي رحمه الله "فكلُ أصلٍ تكرّر تقريره، وتأكَّد أمرُه، وفهم ذلك من مجاري الكلام، فهو مأخوذٌ على عمومِه، وأكثرُ الأصولِ تكراراً الأصول المكية كالأمر بالعدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، والنهي عن الفحشاء، والمنكر، والبغي، وأشباهُ ذلك"[١٧٥]. وبهذا يتقرر أنّ الاستقراء هو أحدُ المسالك المهمّة للكشف عن مقاصد الشريعة الإسلامية.

ثانياً: النصوص القرآنية والسنة النبوية الصريحة

تعتبر النصوص القرآنية والسنة النبوية إحدى أركان الكشف عن المقاصد. وتتميز عن الاستقراء

---

[١٧٤] الشاطبي. ١٩٩٧. *الموافقات*. ج٢. ٥١.

[١٧٥] المصدر السابق. ج٣. ص٣٠٧.

في أنّ الاستقراء يتم معرفته من خلال الحاذقين الراسخين في العلم الذين يستخرجون المقاصد من خلال النصوص والأحكام الشرعية ومن خلال الاستقصاء والتتبع. أما هذا الركن فيوضح المقصد الشرعي من دون تتبع، وهو المقصود بالنص في مسالك العلة وهو "ما كانت دلالته على العلية ظاهرة سواء كانت قطعية أو محتملة"[١٧٦]. والنصوص القرآنية كثيرةٌ في هذه المجال، مثال ذلك:

أ– الألفاظ التي يُفهم منها المعنى المقاصدي

عندما نتأمل لفظ (من أجل)[١٧٧]، في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[١٧٨]، هنا تعني (من أجل) أي بسبب ذلك.

وفي قول النبي عليه الصلاة والسلام: "إنما جُعل الإذن من أجل البصر"[١٧٩]، هنا بيّنتْ (من أجل) المقصد من الاستئذان. وكقول النبي عليه الصلاة والسلام، عندما نهى أهل المدينة أن يدَّخروا لحومَ الأضاحي قال: "إنما نهيتكم عنها من أجل الدافة (أي الشدة) التي دفت إلى المدينة فكلوا وادَّخِروا وتصَدَّقوا"[١٨٠].

وكذلك لفظ (كي)[١٨١] في قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ﴾[١٨٢]. ولفظ

---

[١٧٦] الرازي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن حسين. ١٤٠١. *المحصول في علم الأصول*. تحقيق طه جابر. السعودية: مطابع الفرزدق. ج٢. ص١٩٣.

[١٧٧] الغزالي، أبو حامد. ١٣٩٠. *شفاء العليل في بيان الشبه والمخيل* . تحقيق الدكتور حمد الكبيسي. العراق: مطبعة الإرشاد. ص٤١٠.

[١٧٨] القرآن. المائدة ٥:٣٢.

[١٧٩] مسلم. دت. *صحيح البخاري*. كتاب الآداب. باب تحريم النظر إلى بيت غيره. ج٦. ص١٨٠. #٥٧٦٤.

[١٨٠] مسلم. دت. *صحيح البخاري*. كتاب الأضاحي. باب بيان ما كان من النهي عن لحوم الأضاحي. ج٣. ص١٥٦١. #٢٨.

[١٨١] الجويني. ١٩٩٧. *البرهان*. ج٢. ص٨٠٦. والغزالي. ١٣٩٠. *شفاء العليل*. ص٢٤. والزركشي. ١٤١٣. *البحر المحيط*. ج٥. ص١٨٨.

[١٨٢] القرآن. الحشر٥٩:٧.

(إذن)[١٨٣] في قوله ﷺ لأبي بن كعب، وقد قال له: "قلت أجعل لك صلاتي كلها قال إذن تكفى همّك ويغفر لك ذنبك"[١٨٤]. وأيضاً لفظ (إنّ)[١٨٥] كما في قوله ﷺ في الهرة "إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات"[١٨٦].

وكذلك لفظ (الباء)[١٨٧] كما في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا﴾[١٨٨]، و(اللام)[١٨٩] كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[١٩٠]. فجميع الألفاظ الواردة آنفاً تبين المقصود من الأحكام، فتكون هذه الألفاظ إحدى طرق تشخيص المقاصد في الشريعة الإسلامية.

ب– التعبير بالإرادة الشرعية

يُعدّ التعبير بالإرادة الشرعية من أهم طرق معرفة مقاصد الشريعة، وهو نص في معرفة مقصود الشارع، لأنّ إرادة الله عز وجل في لفظة (يريد) شرعاً إنما هو مقصود له قطعاً، وذلك لما بين الإرادة والقصد من الترادف في المعنى[١٩١]. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ

---

[١٨٣] الزركشي. ١٤١٣. *البحر المحيط*. ج٥. ص١٨٨.

[١٨٤] الترمذي، أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سورة. دت. *جامع الترمذي*. تحقيق أحمد شاكر. مصر: مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده. كتاب صفة القيامة. ج٤. ص٦٣٦. #٢٤٥٧. قال الترمذي حديث حسن صحيح.

[١٨٥] الآمدي، سيف الدين علي بن أبي علي بن مُحَمَّد ١٤٠٢. *الإحكام في أصول الأحكام*. لبنان: بيروت. الطبعة الثانية. ج٣. ص٢٥٢.

[١٨٦] أبو داؤود، سليمان بن الأشعث السجستاني. دت. *سنن أبي داؤود*. السعودية: مكتبة الرياض الحديثة. كتاب الطهارة. باب سؤر الهرة. ج١. ص١٩. #٧٥.

[١٨٧] الرازي. ١٤٠١. *المحصول*. ج٢. ص١٩٣.

[١٨٨] القرآن. النساء ٤:١٦٠.

[١٨٩] الرازي. ١٤٠١. *المحصول*. ج٢. ص١٩٣.

[١٩٠] القرآن. البقرة ٢:١٤٣.

[١٩١] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة*. ص١٦٨.

الْعُسْرَ﴾[١٩٢]. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[١٩٣]. وأيضاً قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٩٤].

ج- التعبير بلفظ الخير والشر

ومن طرق معرفة المقاصد أيضاً؛ التعبير بلفظ الخير والشر والنفع والضر. قال العز بن عبد السلام: "ويُعبَّرُ عن المصالح والمفاسد بالخير والشر، والنفع والضر، والحسنات والسيئات؛ لأنّ المصالح كلها خيور نافعات حسنات، والمفاسد بأسرها شرور مضرات سيئات، وقد غلبَ في القرآن استعمال الحسنات في المصالح، والسيئات في المفاسد"[١٩٥]. مثاله قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١٩٦].

وكقوله تعالى: ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١٩٧]. وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[١٩٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١٩٩]، وهناك الكثير من النصوص في القرآن الكريم والسنة المطهرة التي تشير إلى المقاصد بصورة ظاهرة أو غير ظاهرة. وقد ذكر العلماءُ السابقين بعضَ

---

[١٩٢] القرآن. البقرة ٢:١٨٥.

[١٩٣] القرآن. النساء ٤:٢٦.

[١٩٤] القرآن. المائدة ٥:٦.

[١٩٥] ابن عبد السلام، العز. ١٩٩١. *قواعد الأحكام*. ج١. ص٣ـ٤.

[١٩٦] القرآن. البقرة ٢:٢١٦.

[١٩٧] القرآن. النساء ٤:١٩.

[١٩٨] القرآن. البقرة ٢:٢١٩.

[١٩٩] القرآن. البقرة ٢:١٨٤.

الطرق الأخرى للكشف عن المقاصد، أغلبُها انضوى تحت هذين الطريقين، والبعض قد أختُلِف فيها. لكن الباحث تطرّقَ لهذين الطريقين لأنّ معظم العلماء اتفقوا عليهما، ولأنَّ الطرقَ الأخرى تندرجُ تحتهما.

٢. ٣. ٤ أقسام مقاصد الشريعة الإسلامية

يناقش هذا المطلب أقسام مقاصد الشريعة الإسلامية. التي تنقسم إلى تقسيمات واعتبارات متنوعة، بحسب من ألف فيها وكتب في مقاصد الشريعة الإسلامية.

أولاً– باعتبار محل صدورها ونشأتها[٢٠٠]

وهذا التقسيم بعبارة خالق ومخلوق وحاكم ومحكوم وهو قسمان:

أ– مقاصد الشارع: وهي المقاصد والغايات والأهداف التي قصدتها الشريعة، من جلب المصالح ودرء المفاسد.

ب– مقاصد المكلف: وهي المقاصد التي يقصدها المكلف من أقواله وأفعاله وتصرفاته وجميع أعماله، وهي التي تميز بين العادة والعبادة، وبين النية الصحيحة والنية الفاسدة، وبين ماهو خالص لله تعالى، وبين ما هو فاسد أو رياء، أو وجاهة أو جهل. وخلاصته: أنّ قصد المكلف في العمل يجب أن يكون موافقاً لقصد الشارع وإلا كان باطلاً.

أما مقاصد الشارع، فيقسمها الإمام الشاطبي إلى أربعة أقسام، هي:

أ– قصد الشارع من وضع الشريعة ابتداءً، وقد وضح ذلك بقوله: "إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح

---

[٢٠٠] الخادمي. ١٤١٩. *الاجتهاد المقاصدي*. ج١. ص٥٣. الشاطبي. ١٩٩٧. الموافقات. ج٢. ص٥.

العباد في العاجل والآجل معا"[٢٠١]، أي أن الشريعة في الإبتداء وفي القصد الأول، إنما وضعتْ لمصالح العباد في العاجل والآجل.

ب-"قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام"[٢٠٢]، ومعنى ذلك أن تكون الشريعة واضحة ومفهومة للمكلفين.

ج-"قصد الشارع في وضع الشريعة للتكليف بمقتضاها"[٢٠٣]، ومعناه أن يكون المكلف قادراً على تطبيق هذه الشريعة، فالله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

د-"قصد الشارع في وضع الشريعة لدخول المكلف تحتها (أي الامتثال لها)، ويفسر الأمام الشاطبي هذا القسم بقوله؛ لابدَّ أنْ يلتزمَ المكلفُ أحكام الشارع، فيكون عبداً للهِ اختياراً كما هو عبداً لله اضطراراً"[٢٠٤]. وهذه التقسيمات تعود على مقاصد الشارع، بحسب تقسيم الشاطبي رحمه الله.

ثانياً: تقسيم المقاصد باعتبار المصالح التي جاءت لحفظها[٢٠٥]وبحسب الحاجة إليها

أ- الضروريات: وهي المصالح التي تتضمن حفظ مقصود من المقاصد الخمس وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل[٢٠٦]. هذه الضروريات تتوقف عليها مصالح الناس، ولو ضاعتْ لهلك الناس، وترتب على ضياعها فساد كبير، وإحلال الفوضى في الدنيا والخسارة في الآخرة.

وقد جاءت الشريعة للمحافظة على هذه الضروريات الخمسة. يقول الشاطبي؛ قد اتفقت الأمة

---

[٢٠١] الشاطبي. ١٩٩٧. *الموافقات*. ج٢. ص٥_٨.

[٢٠٢] المصدر السابق. ج ٢. ص٦٤_١٠٧.

[٢٠٣] المصدر السابق. ج ٢. ص١٠٧_١٦٨.

[٢٠٤] المصدر السابق. ج ٢. ص١٦٨_٢٢٣.

[٢٠٥] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية*. ص١٧٩.

[٢٠٦] الغزالي. ١٤١٣. *المستصفى*. ص٢٥١. الرازي. ١٤٠١. *المحصول*. ج ٢. ص٢٢٠.

بل سائر الملل على أنّ الشريعةَ وضعتْ للمحافظةِ على الضروريات الخمسة وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري. ولم يثبتْ لنا ذلك بدليل معين، ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها اليه، بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموعة أدلة لا تنحصر في باب واحد[٢٠٧].

ولهذا تكفَّلَ الله بحفظ الدين قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢٠٨]، لهذا أمرنا الله بامتثال أوامر الدين وتبليغ هذا الدين، بل والتضحية من أجله. وهذا يصب في مقصود حفظ الدين، وشرّع القصاص لحفظ النفس، وشرّع حد الزنا والقذف لحفظ النسل أو النسب، وشرّع حد السرقة وتحريم الربا والبيوع التي تؤدي إلى إتلاف المال (كالغرر والجهالة وغيره) لمقصود حفظ المال، وحرّم الخمر والمسكرات والمفترات لحفظ العقل. وهكذا فالشريعة جاءتْ لحفظ هذه الضروريات الخمسة.

ب– الحاجيات: هي ما كان مفتقراً إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب[٢٠٩]. ويعني هذا أنه إذا لم تراعَ هذه المقاصد أصاب الناس حرج ومشقة، لكن لا يصل إلى حد الهلاك والفساد مثل الضروريات.

يقول الشاطبي عنها بل لو فقدت؛ للحِقَ الناس عنتٌ ومشقةٌ وحرجٌ يشوشُ عليهم عباداتهم، ويُعَّكر عليهم صفوَ حياتهم، وربما أدى ذلك إلى الإخلالِ بالضروريات بوجه ما[٢١٠]. ومثالها في العبادات؛ الرخص في السفر والمرض، وفي العادات أباح الله لنا الطيبات والمساكن وسخر لنا المخلوقات لرفع الحرج على الإنسان، وفي المعاملات أمثال بيع السلم والإجارة والمضاربة والمساقاة وغيرها.

فالمقاصد الحاجية جاءت للتخفيف عن المكلف، ولحماية الضروريات وخدمتها. يقول الشاطبي

---

[٢٠٧] الشاطبي. ١٩٩٧. *الموافقات*. ج١. ص٣٨.

[٢٠٨] القرآن. الحجر ٩:١٥.

[٢٠٩] الشاطبي. ١٩٩٧. *الموافقات*. ج٢. ص١١.

[٢١٠] المصدر السابق. ج٢. ص١٦.

"فالأمور الحاجية إنما هي حائمةٌ حول هذه الحِمى، إذ هي تتردَّدُ على الضروريات تُكملها، بحيث ترتفع في القيام بها واكتسابها المشقات وتميل بهم فيها إلى التوسط والاعتدال في الأمور، حتى تكون جارية على وجه لا يميل إلى إفراطٍ ولا إلى تفريط"[٢١١].

ج- التحسينيات: هي ما لا يرجع إلى ضرورة ولا إلى حاجة. لكنه يقع موقع التحسين والتزيين، والتيسير للمزايا والمزائد ورعاية أحسن المناهج[٢١٢]. وهذه عبَّر عنها الشاطبي بقوله؛ هي "الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق"[٢١٣]. فمن المعلوم أنّ الشريعة جاءت لترتقي بالإنسان إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وهذا مقررٌ بحديث النبي عليه الصلاة والسلام: "إنما بعثت لأتَمِّمَ صالح الأخلاق"[٢١٤]، فجاءت هذه الشريعة لتراعي الضروريات مروراً بالحاجيات وانتهاءاً بالتحسينيات.

وهذا يدل على كمال الشريعة، وسموّ مقاصِدها، وأنها صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان. مثال ذلكَ الطهارة والتنزه من النجاسة، وجعل الطهارة شرطاً في صحة الصلاة، التي تتضمَّن طهارة البدن والثوب والمكان. كذلك أخذ الزينة، وستر العورة، وأكل الطيبات، وتحريم الخبائث.

وكذلك مايقع ضمن العادات مثل أداب الطعام والشراب كالتسمية في أوله، والأكل باليمين، والأكل مما يليه. وآداب النكاح والجماع، وحسن الجوار، وصلة الأرحام، وغيرها من التحسينات التي جاءت بها الشريعةُ، من أجل الارتقاء بالمكلفين.

---

[٢١١] المصدر السابق ج٢. ص١٧.

[٢١٢] الغزالي. ١٤١٣. *المستصفى*. ص٢٥٢.

[٢١٣] الشاطبي. ١٩٩٧. *الموافقات*. ج٢. ص١١.

[٢١٤] ابن حنبل، أحمد. ١٩٩٩. *مسند الإمام أحمد*. تحقيق شعيب الأرناؤوط واخرون. لبنان: مؤسسة الرسالة. ج٢. ص٣٨١. وصححه الألباني. *صحيح الجامع*. ١. ص٤٦٤.

يقول ابن عاشور؛ والمصالح التحسينية عندي، ما كان به كمال الأمة في نظامها حتى تعيشَ أمةً آمنة مطمئنة، ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم، حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوباً في الاندماج فيها، أو في التقرب منها. فإن لمحاسن العادات مدخلاً في ذلك، سواء أكانت عادات عامة كستر العورة، أم خاصة ببعض الأمم كخصال الفطرة وإعفاء اللحية. والحاصلُ أنها مما تُراعى فيها المدارك الراقية[٢١٥].

ثالثاً: تقسيم المقاصد باعتبار تعلُّقها بعموم الأمة وخصوصها[٢١٦]

أ– المقاصد العامة: وهي التي تتناول جميع أو أغلب أبواب الشريعة ومجالاتها، فلا تَخْتَصُّ بجانب أو باب معين على غيره. وهي الغايات والمقاصد التي جاءت الشريعة بحفظها من عبادات ومعاملات وعادات. يقول اليوبي: "ومن المقاصد العامة المراعاة دائماً وأبداً ما تقدم من الضروريات الخمس، وعلى رأسها الدين، فإنه مراعى بإطلاق. لذا يعتبر حفظ الدين من المقاصد العامة المهمّة"[٢١٧].

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر؛ قاعدة (التيسير ورفع الحرج) للتخفيف عن المكلف وإزالة ما يؤدي إلى الضيق والشدة على المكلفين. ولو تتبعنا أبواب الشريعة ومجالاتها لوجدنا أن الشريعة راعت هذه القاعدة في جميع جوانب الشرع. والأدلة على هذه القاعدة كثيرة، منها في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢١٨]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[٢١٩]، وقوله ﷺ:

---

[٢١٥] ابن عاشور. ١٩٧٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية*. ص٨٢.

[٢١٦] الخادمي. ١٤١٩. *الاجتهاد المقاصدي*. ج١. ص٥٤.

[٢١٧] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة*. ص٣٨٨.

[٢١٨] القرآن. الحج ٢٢:٧٨.

[٢١٩] القرآن. المائدة ٥:٦.

الله عليه وسلم: "إن الله وضع الحرج"[٢٢٠]. وقد وردت النصوص القرآنية في التيسير وأنه مقصودٌ في شريعة الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٢٢١]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[٢٢٢]. وقوله ﷺ: "إن هذا دين يُسْرٌ"[٢٢٣]. وهكذا يتبينُ أن هذا المقصد خاص بهذه الشريعة المباركة، فهي شريعة متميزة برفع الحرج عن أهلها في أحكامها. فأحكام الشرع ابتداءً سهلة مقدور عليها ليس فيها عنْت ولا مشقَّة، فرفع الحرج وصف للشريعة كلها نابعٌ من طبيعتها وسهولة أحكامها[٢٢٤]. وهكذا فالمقاصد العامة تتناول أغلب أبواب الشريعة أو كلِّها، وتوجد هناك الكثير من هذه القواعد، لكنَّ الباحثَ انفردَ بهذه القاعدة على سبيل المثال لا الحصر.

ب- المقاصد الخاصة: هي المقاصد والغايات التي تتعلق باب من أبواب الشريعة ولاتتعلق بغالبها أو جميعها. مثل باب العبادات، أو باب المعاملات، أو باب الجنايات وهكذا، وهي أخص من العامة. ففي باب العبادات مثلاً؛ فالأصل أنَّ العبادت لا تُعلَّل، فلا يقلْ قائلٌ مالحكمة أو المقصد من الصلاة أو الصوم. فالأصل التعبد وعدم التعليل، لكن لا يمنع من وجود مصلحة أو منفعة من هذه العبادة أو غيرها. يقول الجويني رحمه الله ومثال هذا القسم العبادات البدنية المحضة، فإنه لا يتعلق بها أغراض دفعية ولا نفعية، ولكن لا يبعد أن يقال تواصل الوظائف يديم مرون العِباد على حكم الانقياد، وتجديد العهد بذكر الله تعالى ينهي عن الفحشاء والمنكر[٢٢٥].

---

[٢٢٠] الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين. د ت. *صحيح وضعيف سنن ابن ماجة*. كتاب الطب، باب ما انزل الله من داء إلا أنزل له شفاء. ج٦. ص٤٤٧. #٨٢٠٦.

[٢٢١] القرآن. البقرة ٢:١٨٥.

[٢٢٢] القرآن. النساء ٤:٢٨.

[٢٢٣] البخاري. ١٩٨٧. *صحيح البخاري*. كتاب الإيمان. باب الدين يسر. ج١. ص٩٣. #٣٩.

[٢٢٤] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة*. ص٤٠٤.

[٢٢٥] الجويني. ١٩٩٧. *البرهان*. ج٢. ص٢٩٦.

ولذا التمسَ العلماءُ مقصداً عاماً في العبادات وهو: الخضوع لله والانقياد له[٢٢٦]. كذلك المقاصد الخاصة في المعاملات التي "لها مقصدٌ كلّي تشتركُ فيه وهو إنها موضوعةٌ لمصالح العباد"[٢٢٧]. لهذا لو تتبعنا أنماط المعاملات، لوجدْنا أنها تقومُ على تبادل المنافع والمصالح بين العباد.

فعلى سبيل المثال نرى شخصا يملكُ الطعام لكنّه لا يملك الملبسَ، والأخر يملك الملبس لكنه لا يملك الطعام، وآخر يملك حرفة بناء المساكن ولا يملك الطعام. وهكذا فالناس محتاجة لتبادل المنافع والمصالح فيما بينهما، لتستمرَّ عجلة الحياة. ولو تتَّبعنا كلَّ بابٍ من أبواب الشريعة، وقُمنا باستقراء نصوص وأحكام ذلك الباب، لوجدنا فيه مقصداً أو مقاصد خاصة يتميز بها ذلك الباب عن غيره من أبواب الشريعة الإسلامية.

ج– المقاصد الجُزئية: هي التي تتعلق بالعبادة الخاصة، مثل مقصد الصوم، أو مقصد الصلاة، أو مقصد الوضوء. وهي أخصُّ وأدقُّ من المقاصد الخاصة. فنرى في المقاصد العامة ما يتعلق بعموم الشريعة أو أغلبها، وفي المقاصد الخاصة ما يتعلق ببابٍ من أبواب الشريعة، وفي الجزئية ما يتعلق بجزئية بابٍ من أبواب الشريعة لا بعمومها. فالمقاصد الجُزئية أهتم بها العلماءُ أشدَّ اهتمام وبعضُهم من ألف فيه كالإمام العز بن عبد السلام الذي ألف في مقاصد الصوم ومقاصد الصلاة، وكذلك ابن تيمية، وابن القيم، والطاهر بن عاشور وغيرهم.

رابعاً: تقسيم المقاصد باعتبار القطع والظَّن[٢٢٨]: يشتمل هذا التقسيم على ثلاثة أنواع هي: المقاصد القطعية، والمقاصد الظنية، والمقاصد الوهمية، وكما مبين في الفقرات الآتية:

أ– المقاصد القطعية: هي التي تواترت على اثباتها كثير من الأدلة والنصوص الشرعية، وذلك من خلال

---

[٢٢٦] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة*. ص٤١١.

[٢٢٧] الشاطبي. ١٩٩٧. *الموافقات*. ج٢. ص٣٠٠.

[٢٢٨] الخادمي. ١٤١٩. *الاجتهاد المقاصدي*. ج١. ص٥٥.

الأدلة الواضحة أو من خلال استقراء النصوص الشرعية. كالتيسير ورفع الحرج، وحفظ الدين، والأموال، والأعراض، وبسط العدالة في الأرض. فعلى سبيل المثال: الأدلة التي وردت في التيسير والتخفيف ورفع الحرج تصل إلى حد القطع بأنها مقاصد للشريعة.

ب– المقاصد الظنّيّة: هي التي تقع دون مرتبة القطع واليقين، والتي اختلفت حيالها الأنظار والأراء. ومِثالها مقصد سد ذريعة إفساد العقل الذي نأخذ منه تحريم القليل من الخمر، وتحريم النبيذ الذي لا يغلب إفضاؤه إلى الإسكار. فتكون تلك الدلالة ظنّيّة خفيّة، كذلك مصلحة تطليق الزوجة من زوجها المفقود. ومصلحة ضرب المتهم بالسرقة للاستنطاق[٢٢٩].

ج– المقاصد الوهمية: هي التي يُتوهَّم بأنها مصلحة ومنفعة وخير، لكنها غير ذلك. أو تكون مخالفة للنصوص الشرعية. وهذا النوع مردودٌ وباطلٌ، ومثاله كالذي يرى مصلحةً من الرِبا، أو يرى هناك منفعةً ومصلحةً من الخمر، أو القائلون بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، وهذا لاشكّ أنه مردود وباطل ويوصف بالمصلحة الملغاة.

خامساً: تقسيم المقاصد باعتبار الشمول للرسالات السماوية

وهذا التقسيم يتناول المقاصد في الرسلات السماوية وما اصطلح عليه عند بعض العلماء بالمقاصد العالية والمفاهيم التأسيسية[٢٣٠]، وهي أعلى أنواع المقاصد وأشملها، وهي أن إرسال الرسل، وإنزال الكتب جاء لمقاصد عالية وهي: (التوحيد، والتزكية، والعمران) وهي أن دعوة الرسل واحدة .

أ– التوحيد: وهي الدعوة التي جاءت في جميع الرسالات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ

---

[٢٢٩] المصدر السابق. نفس الصفحة.

[٢٣٠] عطية. ٢٠٠١. *نحو تفعيل مقاصد الشريعة*. سورية: دار الفكر. ص١١١. العلواني، طه جابر. ٢٠٠١. *مقاصد الشريعة الإسلامية*. لبنان: دار الهادي. ص١٣٤.

اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[٢٣١]. وخلاصته أن غاية الرسل واحدة، وجاءت الرسل جميعهم بهذه الدعوة، وهي عبادة الله وتوحيده.

ب– التزكية: تعد التزكية والارتقاء بالإنسان من سفاسف الأمور إلى معاليها، من الصدق، والأمانة، وصلة الأرحام، وحقوق الجار، وبر الوالدين، والإحسان إلى المخلوقات وغيرها. من دعوة الأنبياء والمرسلين وقرنت التزكية بالعمل الصالح في آيات ومواضع كثيرة. قال تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢٣٢]. فجاءت الرسالات السماوية للارتقاء بالإنسان نحو الأعمال الصالحة، ومكارم الأخلاق. فالعدل، والرحمة، والمساوة، والأخلاق السامية، ومكارم الأخلاق، جاءت مقررة في كل الشرائع والرسالات السماوية. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[٢٣٣]. وهذه القيم موجودة ومقررة في كافة الرسالات السماوية.

ج– العمران والاستخلاف في الأرض: كذلك من الغايات من بعثة الرسل وإنزال الشرائع، هي عمارة الأرض وفق منهج الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢٣٤]. وقال تعالى على لسان نبي الله هود: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [٢٣٥]. يقول جمال عطية: وتتمثل المقاصد العالية للشريعة: في تحقيق عبادة الله، والخلافة عنه، وعمارة الأرض، من خلال الإيمان ومقتضياته: من العمل الصالح المحقق للسعادة في الدنيا والآخرة،

---

[٢٣١] القرآن. النحل ١٦:٣٦.

[٢٣٢] القرآن. البقرة ٢:٦٢.

[٢٣٣] القرآن. النحل ١٦:٩٠.

[٢٣٤] القرآن. البقرة ٢:٣٠.

[٢٣٥] القرآن. هود ١١:٦١.

والذي يوازن بين مصالح الفرد والمجتمع، وبين مصلحة الجيل الحاضر ومصلحة الأجيال المستقبلة، كل ذلك بالنسبة للإنسان والأسرة والأمة والإنسانية جمعاء[٢٣٦]. وبهذا يتقرر أن المقاصد العالية هي موجودة ومقررة في الرسالات السابقة كما قررته النصوص القرآنية.

وهناك تقسيمات أخرى للمقاصد منها المقاصد الأصلية، والمقاصد التابعة:

أ– المقاصد الأصلية: هي المقصودة بالقصد الأول كمقصد الزواج، الغرض منه أصالة هو تكثير النسل.

ب– المقاصد التابعة: في حصول مقاصد ثانوية تبعاً للأصلية، فمثلاً هناك مقاصد تابعة من النكاح هي المال والجمال والنسب والوجاهة وخدمة الزوج وغيرها من المقاصد التابعة للمقصد الأصلي من مقصد النكاح[٢٣٧].

وهناك تقسيمات للمقاصد باعتبار عموم الأمة وأفرادها:[٢٣٨]

أ– المقاصد الكلية: هي المقاصد التي تتناول عموم الأمة أو أغلبها، مثل حفظ الدين، وحفظ الأمن، وتنظيم المعاملات، والمحافظة على القيم والأخلاق في المجتمع. وهي تشمل عموم الأمة، وغالبها.

ب– المقاصد البعضية: التي تعودُ بالنفعِ على أفرادِ الأمَّةِ لا على عمُومِها، مثالها البيعُ والشراءُ، والنِكاح وغيرها. وهذه تختص بأفراد الأمة، وتعود على آحاد الأمة لا على عمومها. وبهذا يكون هذا المطلب قد شمل أغلب تقسيمات المقاصد كما ذكرها العلماء قديماً وحديثاً. وبهذا حاول الباحث ذكر التقسيمات المتفق على أغلبها عند العلماء والتي تنضوي تحت أدلة شرعية معتبرة.

---

[٢٣٦] عطية. ٢٠٠١. *نحو تفعيل مقاصد الشريعة*. ص١٢٢.

[٢٣٧] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة*. ٣٥٣_٣٨٣.

[٢٣٨] الخادمي. ١٤١٩. الاجتهاد المقاصدي. ج١. ص٥٦.

٢. ٤ توظيف مقاصد الشريعة في الإعلام الإسلامي المعاصر

يناقش هذا المبحث تحليل العلاقة بين الإعلام الإسلامي المعاصر ومقاصد الشريعة الإسلامية من خلال مناقشة مشروعية، وأهمية، وخصائص، وأهداف الإعلام الإسلامي وفق المنظور المقاصدي.

٢. ٤. ١ العلاقة بين الإعلام الإسلامي ومقاصد الشريعة

يناقش هذا المبحث تحليل العلاقة بين الإعلام الإسلامي المعاصر ومقاصد الشريعة الإسلامية؛ من خلال استقصاء؛ مشروعية، وأهمية، وخصائص، وأهداف الإعلام الإسلامي المعاصر وفق المنظور المقاصدي. ويتضمن هذا المبحث المطالب الآتية: مشروعية الإعلام المقاصدي. أهمية مقاصد الشريعة في الإعلام الإسلامي. خصائص الإعلام الإسلامي من منظور مقاصدي. أهداف الإعلام الإسلامي وفق المنظور المقاصدي. من خلال الإحاطة بهذه الجوانب كلها.

أولاً: مشروعية الإعلام المقاصدي

يناقش هذا المطلب مشروعية المقاصد في الإعلام الإسلامي، والإعلام الإسلامي يحتاج إلى وسائل وأساليب لتحقيق مقاصده، والإعلام وسيلة من الوسائل المهمّة التي يجب أن توظف لخدمة الإسلام ونصرة قضاياه، وهذه الوسيلة يجب أن تنطلق من مقاصد وغايات هذا الدين، وهذا ما يعنيه الباحث من "مشروعية الإعلام المقاصدي" وسيعالج هذا الموضوع من خلال المواضيع الآتية: تعريف الوسائل في اللغة والاصطلاح. علاقة الوسائل بالمقاصد. الإعلام المعاصر وسيلة لتحقيق مقاصد. ومنتهياً بحكم الوسائل.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أ– تعريف الوسائل في اللغة والاصطلاح

١– تعريف الوسائل لغةً: الوسائل جمع وسيلة على وزن فعيلة، وتأتي بمعنى "الرَّغْبة والطَّلَب. يقال وَسَلَ، إذا رَغِب. والواسِل: الراغب إلى الله عزَّ وجل، وهو في قول لبيد:*بلى كلُّ ذي دينٍ إلى اللهِ وَاسِلُ*"[٢٣٩]. والوسيلة: "التوصل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الوصيلة؛ لتضمنها لمعنى الرغبة. وهي كالقربة، والواسل: الراغب إلى الله تعالى"[٢٤٠]، قال المناوي[٢٤١] "الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير"[٢٤٢]، وتأتي أيضاً بمعنى الدرجة والمنزلة كما في حديث النبي عليه الصلاة والسلام "ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة"[٢٤٣]، والخلاصة أن الوسيلة في اللغة تأتي بمعنى الرغبة، والطلب، والدرجة، والمنزلة، والوسيلة ما يتوصل بها إلى غيرها.

٢– تعريف الوسائل في الاصطلاح: أما تعريف الوسائل اصطلاحاً كما عرفها ابن القيم رحمه الله "ما كان وسيلةً وطريقاً إلى الشيء"[٢٤٤]، وهذا التعريف قريب من المعنى اللغوي. والوسائل هي ما يتوصل بها إلى المقاصد سواء كانت مصلحة أم مفسدة. والمراد من هذا المفهوم أن أي شيء موصل إلى مقصد فهو وسيلة، فالجهاد وسيلة لتحقيق مقاصد وهو حفظ بيضة الدين، وإعلاء كلمة التوحيد، ورد المظالم إلى اهلها، وردع الظالمين عن ظلمهم قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ

---

[٢٣٩] ابن فارس. ١٩٧٩. *معجم مقاييس اللغة*. ج٦. ص١٠٠.

[٢٤٠] الأصبهاني، الراغب. دت. *مفردات الفاظ القرآن*. سورية: دار القلم. ج٢. ص٥١٦.

[٢٤١] هو زين الدين مُحَمَّد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي، فقيه شافعي، ومحدث ولغوي، له مؤلفات منها: شرح القاموس المحيط، فيض القدير، شرح الشمائل، ولد عام ٩٥٢هـ وتوفي عام ١٠٣١. الزركلي. دت. *الأعلام*. ج٦. ص٢٠٤.

[٢٤٢] المناوي، مُحَمَّد. ١٤١٠. *التوقيف على مهمّات التعريف*. مصر: دار الفكر. ص٧٢٦.

[٢٤٣] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب الصلاة. باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه. ج١. ص٢٨٨. # ٣٨٤.

[٢٤٤] ابن القيم الجوزية. ١٩٧٣. *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. ج٣. ص١٣٥.

فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٢٤٥].

والزنا وسيلة تؤدي إلى مفسدة من اختلاط الأنساب وضياع الاعراض، والقصاص وسيلة يؤدي إلى حفظ الأمن والاقتصاص من المتعدي، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢٤٦].

وبناءً على هذا المفهوم العام تدخل جميع أفعال العباد في مصطلح الوسائل، لأنها يتوصل بها إلى الآخروية؛ كالثواب ودخول الجنة، ومن هذا الباب أطلق القرآن لفظ الوسيلة على ما يتقرب به إلى الله تعالى من فعل المأمورات وترك المنهيات[٢٤٧]، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[٢٤٨]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾[٢٤٩].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والوسيلة التي أمرنا الله أن نبتغيها إليه هي التقرب إلى الله بطاعته"[٢٥٠]، وقال ابن عاشور رحمه الله: "فالوسيلة أريد بها ما يبلغ به إلى الله، وقد علم المسلمون أن البلوغ إلى الله ليس بلوغ مسافة، ولكنه بلوغ زلفى ورضى، فالتعريف في الوسيلة تعريف جنس، أي كل ما تعلمون أنه يقربكم إلى الله. فالوسيلة ما يقرب العبد من الله بالعمل بأوامره ونواهيه"[٢٥١].

---

[٢٤٥] القرآن. البقرة ١٩٣:٢.

[٢٤٦] القرآن. البقرة ١٧٩:٢.

[٢٤٧] مخدوم، مصطفى كرامة الله. ١٩٩٩. *قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية*. ص٤٩.

[٢٤٨] القرآن. الإسراء ٥٧:١٧.

[٢٤٩] القرآن. المائدة ٣٥:٥.

[٢٥٠] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. ٢٠٠٤. *مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية*. ج١. ص٢٤٧.

[٢٥١] الطاهر، ابن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر. ج٦. ص١٨٧.

واحياناً تكون الوسيلة موصلة إلى مقصد، وقد تكون مقصداً في ذاتها، كالوضوء هو مقصد في ذاته من الطهارة والتنظف والعبادة، ويكون وسيلة إلى الصلاة، فمن شرائط صحة الصلاة؛ الوضوء، فكان وسيلة في جانب ومقصد في جانب آخر. يقول الإمام القرافي رحمه الله: المنوي في العبادة ضربان، أحدهما: مقصود في نفسه كالصلاة، والثاني: مقصود لغيره، وهو قسمان: أحدهما: مع كونه مقصوداً للغير، فهو أيضاً مقصود في نفسه، كالوضوء فإنه نظافة مشتملة على المصلحة، وهو مطلوب للصلاة، مكمل لحسن هيئاتها، والثاني: مقصود لغيره فقط كالتيمم[٢٥٢].

فالإعلام اليوم، ووسائل الاتصال الجماهيري؛ تأخذ حكم الوسائل بهذا المفهوم من الناحية الشرعية، فهي ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي موصلة إلى أهداف، وغايات، ومقاصد متنوعة حسب المرسل. فقد تستخدم للإعلام والإخبار، أو التعليم، أو الدعوة والإرشاد، أو الحرب النفسية، أو غير ذلك من المقاصد التي تسعى وسائل الاتصال لتحقيقها. وبهذا يعتبر الإعلام وسيلة لتحقيق مقاصد، ويصنف من الناحية الشرعية أنه من الوسائل يوظف لتحقيق مقاصد.

ثانياً: علاقة الوسائل بالمقاصد

إن من سنن الله الفطرية؛ أن المقاصد لا تتحصل إلا بوسائل، والغايات لا تتحقق إلا بأسباب توصل إليها، سنة الله في خلقة ولن تجد لسنة الله تبديلا. ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بالأخذ بالأسباب والوسائل التي توصل إلى المقاصد. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[٢٥٤]، وقال

---

[٢٥٢] القرافي، أبو العباس. ١٤٠٤. *الأمنية في أحكام النية*. لبنان: دار الكتب العلمية. ص٤٤.

[٢٥٣] القرآن. الأنفال ٨:٦٠.

[٢٥٤] القرآن. الملك ٦٧:١٥.

تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[٢٥٥]. والمتتبع لسنة النبي عليه الصلاة والسلام يرى مدى أخذ النبي بالأسباب وهو المؤيد من عند ربه عز وجل. والأمثلة في هذا المجال كثيرة ومتوافرة.

وبناءً على هذا قام العلماء بتقعيد القواعد في هذا المجال، ومن أبرز من ناقش الوسائل وتكلم عنها في كتبه هو الإمام العز بن عبد السلام وخاصة في كتابه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) وقد تعرض للوسائل وعقد فصلاً بعنوان: (انقسام المصالح والمفاسد إلى الوسائل والمقاصد).

ثم تكلم عن الوسائل والمقاصد بقوله: "انقسام المصالح والمفاسد إلى الوسائل والمقاصد، وللوسائل أحكام المقاصد"[٢٥٦]، فكان مقصودة من هذا الكلام أن الوسائل تأخذ أحكام المقاصد؛ أن خيراً فخير، وأن شراً فشر. فإذا كان المقصد حراماً كانت الوسيلة إليه محرمة، وإذا كان المقصد مشروعاً أو حلالاً كانت الوسيلة إليه حلالاً تبع للمقصد.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها، والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها. ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها فوسيلة المقصود تابعة للمقصود"[٢٥٧].

فتأخذ الوسائل من الإباحة والندب والكراهة والحرمة تبعاً لأحكام المقاصد. يقول العز بن عبد السلام: "وللوسائل أَحْكام المقاصد من النّدب والإيجاب والتحريم والكراهة والإباحة. واعلم أَن فضّل الوسائل مترتب على فضّل المقاصد"[٢٥٨].

---

[٢٥٥] القرآن. النساء ٤:١٠٢.

[٢٥٦] عبد السلام، العز. ١٩٩١. *قواعد الأحكام في مصالح الأنام*. ج١. ص٩٨.

[٢٥٧] ابن القيم الجوزية. ١٩٧٣. *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. ج٣. ص١٣٥.

[٢٥٨] عبد السلام، العز. ١٤١٦. *الفوائد في اختصار المقاصد*. سورية: دار الفكر. ص٤٣.

فكلما كان المقصود سامياً كانت الوسيلة الموصلة إليه كذلك، والعكس يقاس بذلك. علاوة على ذلك ناقش الإمام العز بن عبد السلام أفضلية الوسائل من ناحية تحقيقها للمقاصد، وهذا ما ينفع في توظيف وسائل الاتصال الجماهيري في خدمة جوانب الإسلام كافة.

يقول الإمام العز بن عبد السلام: "فالوسيلة إلى أَفضل الْمقاصد هي أَفضل الوسائل، والوسيلة إلى أَرذل المقاصد هي أَرذل الوَسائل"[٢٥٩]. فهناك تفاضل بين الوسائل تبعاً لمقاصدها، فالوسيلة إلى معرفة الله وتوحيده أفضل من الوسيلة إلى معرفة أحكامه، والسعي إلى الجهاد وسيلة أفضل من السعي إلى الصلاة، والوسيلة إلى العبادات أفضل من الوسيلة إلى المندوبات، ووسيلة المندوبات أفضل من المباحات وهكذا.

إن مباشرة الوسائل وتوظيفها في مقاصد شرعية، تأخذ الوسائل حكم المقاصد من ناحية المثوبة والآجر، كما أثاب الله سبحانه وتعالى الصحابة في سعيهم للجهاد كما في سورة التوبة وبين تعالى أن ما يصيبهم من عطش، وجوع، ومجاعة، وتعب يكون في صالح أعمالهم، ورفعة درجاتهم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٦٠]. يقول الإمام العز بن عبد السلام: وإنما أثيبوا على الظمأ والنصب وليس من فعلهم، لأنهم تسببوا إليهما بسفرهم وسعيهم. وأسباب الجهاد كلها وسائل إلى الجهاد الذي هو وسيلة إلى مقاصده، فالاستعداد له من باب وسائل الوسائل[٢٦١].

---

[٢٥٩] عبد السلام، العز. ١٩٩١. *قواعد الأحكام في مصالح الأنام*. ج١. ص٩٨.

[٢٦٠] القرآن. التوبة ٩:١٢٠.

[٢٦١] عبد السلام، العز ١٩٩١. *قواعد الأحكام في مصالح الأنام*. ج١. ص١٢٤.

علاوة على ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام: "من تطهر في بيتهِ ثم مشى إلى بيتٍ من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحداهما تَحط خطيئةً وَالأخرى ترفَعُ درجةً"[٢٦٢]، فالمشي إلى الصلاة وسيلة إلى مقصد شرعي، فليست المثوبة مختصة بالمقصد وإنما تختص بالوسيلة، وعلى هذا الأمر تقاس الوسائل التي تؤدي إلى مقاصد شرعية وأمور خيرية مما يدعو إليها الدين الإسلامي. واليوم الإعلام الإسلامي وسيلة لمقاصد شرعية سامية، مثل: الدعوة لدين الله بشتى لغات العالم، وتبصير وتعليم المسلمين دينهم مثل برامج الوعظ، والإرشاد، والفتوى، وتعليم العلوم الشرعية، كذلك بالذب عن الحملة العالمية لتشويه الإسلام، بالإضافة إلى نصرة قضايا الإسلام والمسلمين في شتى أنحاء الأرض.

فيجب على مؤسسات الإعلام الإسلامي اليوم أن تنطلق من هذا المقصد، وأن تستشعر هذه المثوبة وهذا الأجر، ليكون هذا حافزاً على الاجتهاد في خدمة الإسلام ونصرة قضاياه من خلال وسائل الإعلام المعاصرة. فهذا رسول الله ﷺ يقول لسيدنا علي رضي الله عنه: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[٢٦٣]، أي؛ الأبل الحمراء ذات الأموال العظيمة.

والخلاصة أن العلاقة بين الوسائل والمقاصد علاقة كونية، وشرعية، وفطرية، فلا يمكن تحقيق المقاصد بدون مباشرة الوسائل. وقد قال العرب قديماً في أمثالهم: "إذا أراد الله شيئاً يسّر أسبابه"[٢٦٤]، وقد استمرت هذه العلاقة بين الوسائل والمقاصد عند أصحاب النفوس السليمة، والعقول المستقيمة، حتى عُد الذي يرغب بشيء دون مباشرة أسبابه ضرباً من العبث الذي يستحق عليه صاحبه الملامة[٢٦٥]، يقول

---

[٢٦٢] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، وترفع به الدرجات. ج١. ص٤٦٢. #٦٦٦.

[٢٦٣] البخاري. ١٩٨٧. *صحيح البخاري*. كتاب الجهاد والسير. باب فضل من أسلم على يديه رجل. ج٤. ص٦٠. #٣٠٠٩.

[٢٦٤] الثعالبي، أبو منصور. ١٣٨١. *التمثيل والمحاضرة*. مصر: مطبعة الباب الحلبي. ص٧.

[٢٦٥] مصطفى كرامة الله. ١٩٩٩. *قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية*. ص٩٨.

الشاعر: ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبسِ[٢٦٦].

لكن الله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا تحكمه هذه السنن، فقد يخرق العادات، ويُوجد الغايات، ويوقع المقاصد، دون مباشرة العبد أسبابها ووسائلها[٢٦٧]، وهذا ما حدث لسيدنا زكريا عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[٢٦٨]. وكذلك للسيدة مريم عليها السلام عندما حملت بعيسى عليه السلام من دون أن يمسها رجل، قال الله تعالى على لسانها: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٢٦٩].

ثالثاً: الإعلام المعاصر وسيلة لتحقيق مقاصد

إن الله سبحانه وتعالى كلف آمة مُحَمَّد ﷺ بالدعوة إلى هذا الدين، ونشره إلى جميع العالمين، وجعل هذا التكليف أحد أسباب خيرية وتفضيل هذه الأمة على سائر الأمم قال تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٢٧٠]، ومعلوم أن هذا التكليف لا يتحقق إلا بوسائل، ولا يتوصل إليه إلا بأساليب، وتعتبر وسائل الإعلام المعاصر من "الفضائيات، والإذاعات، والصحف، والإنترنيت" من أقوى الوسائل في تبليغ ونشر الدعوة إلى جميع العالمين في العصر الراهن.

فالأمة مأمورة بأخذ كافة الوسائل المشروعة في تبليغ ونشر ونصرة رسالة الإسلام، وإرهاب عدوه

---

[٢٦٦] ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد. ١٤٠٤. *العقد الفريد*. لبنان: دار الكتب العلمية. ج٣. ص٧٩.

[٢٦٧] مصطفى كرامة الله. ١٩٩٩. *قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية*. ص٩٨.

[٢٦٨] القرآن. ال عمران ٣:٤٠.

[٢٦٩] القرآن. ال عمران ٣:٤٧.

[٢٧٠] القرآن. ال عمران ٣:١١٠.

قال تعالى:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٢٧١]، والإعداد والقوة في سياق الآية تدل على العموم، أي أنه يجب إعداد كافة الوسائل المشروعة لنصرة هذا الدين، وتبليغ رسالته، والذب عنه، والإعلام المعاصر له دور بارز وقوي على الصعيد العالمي؛ استطاع أن يزيف الباطل ويلبسه ثوب الحق، والبس الحق ثوب الباطل.

والإسلام رسالة عالمية يتحتم على دعاته استغلال مثل هذه الوسائل وتوظيفها في الدعوة إلى الله. وضرورة الوسائل في ميدان الدعوة أمر فطري، ومذهب بديهي يتفق عليه العقلاء، ولذا نجد كل ذي فكر، وصاحب مذهب، يطوع الوسائل لنشر فكره والدعوة إلى مذهبه، وأعداء الإسلام تفتقت أذهانهم عن أدق الوسائل، وأحدث الأجهزة، لنشر أفكارهم، وتدويل ثقافاتهم، فالمسلمون أصحاب المنهج الحق هم أولى بذلك، مادامت الوسيلة مشروعة[٢٧٢].

وفي مجال الدعوة إلى الله، فلا شك ولا ريب أن الإعلام المعاصر وسيلة لابد من توظيفها في الدعوة. فالإعلام المعاصر أصبح الآن أوسع نافذة ثقافية يطل منها المشاهد على ما يحدث فيه من تغيرات، وفوق ذلك فإنه يسيطر على عقول الكبار والصغار، ويؤثر على سلوك واتجاه الأفراد، وعلى تكوين الرأي العام، ولذا فإنه يعطي للدعوة بعداً أوسع، ومداً أكبر من الذي تحققه الوسائل الإعلامية التقليدية مثل؛ الكتاب والمجلة والخطبة والرسائل وغيرها. بالإضافة إلى أن الإعلام المعاصر أصبح له دور مهم في العالم، مما جعل الحكومات والاحزاب والجماعات تسعى لاستغلال هذه الوسيلة لتحقيق مقاصدها لأسباب كثيرة ومنها:

---

[٢٧١] القرآن. الانفال ٨:٦٠.

[٢٧٢] مصطفى كرامة الله. ١٩٩٩. *قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية*. ص٣١٨.

أ- أنها وسائل مهمة للسيطرة على عقول الناس، وإعادة تشكيلها وفق الرؤيا التي يريدها من يمتلك البث الإعلامي، وهذا ما يفسر لنا سبب التزام الرئيس الأمريكي بالخطاب الأسبوعي الذي يبث عبر الإذاعة الأمريكية. وفي الاتحاد السوفيتي كي لا يتم اختراق عقول الجماهير بمبادئ تخالف توجه السلطة، كان هناك حضر على المسلمين من "الاستماع إلى القنوات الإذاعية سوى الإذاعات المحلية وحتى بعد أن سمح بأجهزة الراديو المتطورة سلط التشويش على المحطات الغير مرغوب فيها"[٢٧٣].

ب- أن الإعلام وسيلة مهمة لنشر الأراجيف والشائعات وبث الأكاذيب والمغالطات والشبهات، وممارسة الحرب النفسية من خلالها أثناء الحروب، وممارسة التدليس والخداع الإعلامي، ومن أمثلة ذلك ما ذكره ديفيد بن غوريون في مذكراته أنه اتفق مع جمال عبد الناصر خلال الحملة على الإخوان المسلمين أن تقوم الإذاعة الإسرائيلية بالدفاع عن الأخوان والهجوم على عبد الناصر للإيحاء بوجود صلة بين الاخوان واليهود وقد ذكر هذه الواقعة أيضاً رئيس الوزراء الأردني السابق سعد جمعة في كتابه: (أبناء الأفاعي) نقلاً عن مايلز كوبلاند صاحب كتاب:(لعبة الأمم)[٢٧٤]، فأنظر إلى الخداع والتدليس الإعلامي الذي تمارسه إعلام اليهود منذ ذلك التاريخ.

ج-اهتمام اليهود بهذه الوسيلة وتسخيرها لخدمة قضاياهم، ومحاربة الإسلام والمسلمين، وقد جاء في دراسة علمية قام بها الباحث المصري (محمد شعبان) أن هناك: "ما يقارب من ٤٠٠ محطة تلفزيونية أوربية وأمريكية مملوكة لمراكز وجهات وشركات يهودية، و١١٥٠ محطة إذاعية تبث ١١٣٦ساعة من المواد الإذاعية اليهودية الموجهة؛ تتضمن مواد إعلامية مشبوهة عن الإسلام والمسلمين، وهي موجهه إلى ١١١

---

[٢٧٣] اليحيى، يحيى. مقال: *مشاهدات في بلاد البخاري*. مجلة البيان. العدد ٥٩. يناير. ١٩٩٣.
http://shamela.ws/browse.php/book-١٥٤١/page-١٣٢٥

[٢٧٤] الخفاجي، باسم. مقال: *الإعلام الغربي وتشويه حقائق الصراع*. مجلة البيان. العدد ١٢٦. يونيو. ١٩٩٨.
http://shamela.ws/browse.php/book-١٥٤١/page-٢٧٧٩

دولة في مختلف أنحاء العالم"[٢٧٥].

د-ليس الاهتمام بالإذاعة مقتصراً على اليهود بل إن الهيئات الدينية النصرانية تولي هذه الوسيلة عناية خاصة وتستخدمها لبث التنصير إلى العالم وهذه "حملات التنصير ما زالت تعمل من خلال وسائل الإعلام المختلفة مثل إذاعة: (مونت كارلو) و(صوت الغفران) و (مركز النهضة)، حيث تبث إذاعة الفاتيكان وحدها عبر ست موجات قصيرة بثلاثين لغة عالمية تعمل ضمن (٤٠) محطة إذاعية تنصيرية تبث أكثر من ألف ساعة أسبوعياً "[٢٧٦]. كما ويمتاز الإعلام المعاصر عن غيره من الوسائل الأخرى بميزات تدفع إلى ضرورة الاستفادة منها في إيصال كلمة الحق إلى الناس وتبليغ دعوة الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها، ومن هذه الميزات:

أ- سعة الانتشار والسرعة الفائقة التي ينتقل بها المضمون من المرسل إلى المستقبل كما أن موجات البث الإعلامي تستطيع أن تتخطى جميع العقبات التي تمنع أكثر وسائل الاتصال الأخرى من القيام بوظيفتها. ولذلك فإن البث الإعلامي قادر على اختراق كل أنحاء العالم في أقل من ثواني معدودة.

ب- إنها وسيلة تمتاز بالحيوية والإثارة من خلال المضامين المرسلة المختلفة؛ الإخبارية، والاجتماعية، والترفيهية، والتعليمية، والدينية، والتي تساعد "على تكوين رأي عام قوي وسريع، خصوصاً في المسائل العامة والأحداث التي تهم المجتمع، وفي أوقات الشدائد والأزمات"[٢٧٧].

ج- القدرة على مخاطبة جميع أطياف المجتمع "مهما اختلفت درجة تعليمهم، فالإعلام يصل إلى جميع

---

[٢٧٥] مجلة البيان: العدد ٥١. مايو. ١٩٩٢. زاوية الركن الإعلامي مقال بعنوان: *إحصاء*. إعداد: هيئة التحرير. وهذه الدراسة نال عليها الباحث درجة الدكتوراه من كلية الإعلام بجامعة القاهرة. وكان موضوع الدراسة: *المخططات اليهودية للتحكم في وسائل الإعلام لتشويه صورة المسلمين والإسلام*. المصدر: مجلة البيان. ال عدد٥١.مايو: ١٩٩٢.-http://shamela.ws/browse.php/book-١٥٤١/page-١١٤٤

[٢٧٦] مُحَمَّد أحمد حسن. مقال: *الإعلام من المنطلق الغربي إلى التأصيل الإسلامي*. مجلة البيان. العدد ١٠٩. فبراير. ١٩٩٧.

[٢٧٧] عادل العوضي. وآخرون. ٢٠٠٤. *العلاقات العامة النظرية والتطبيق*. الكويت: الشركة الكويتية العربية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع. ص٢٧٧.

أفراد المجتمع بسهولة متخطية حاجز الأمية، نظراً لأنه يتطلب أدنى درجات القدرة على القراءة والكتابة، وكذلك يتخطى الحواجز الجغرافية، ويصل إلى جماعات خاصة مثل الأطفال، وكبار السن.

د- يعتبر الإعلام المعاصر من أفضل الوسائل التي عرفها الإنسان في مجال التواصل فهو يجمع بين الصوت والصورة، وبذلك يستطيع أن يسيطر على حالتين من أهم حواس الإنسان وأشدها اتصالاً بما يجري في نفسه من أفكار ومشاعر وتدل الأبحاث على أن التلفزيون في حالة وجوده يفوق تأثير كل وسائل الاتصال الجماهيري الأخرى. وبهذا يكون الإعلام المعاصر من الوسائل المهمة لتحقيق المقاصد المتنوعة من الأخبار، والتعليم، والتثقيف، والإعلان، والحرب النفسية، والعلاقات العامة وغيرها من الأهداف والمقاصد التي يسعى الإعلام لتحقيقها. ويمكن استغلال هذه الوسيلة في خدمة دين الله، وتوظيفها في غايات ومقاصد هذه الشريعة الغراء.

رابعاً: حكم الوسائل

إن من المقاصد العليا التي جاءت بها الشرائع السماوية من إرسال الرسل وإنزال الكتب، هي إقامة مصالح العباد في المعاش والمعاد. والأحكام الشرعية تدور حول هذا الأمر، فهي إما جلب مصلحة أو درء مفسدة. لأن هذه الشرائع نزلت من مصدر واحد وهو أعلم بخلقه ومصالحهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٢٧٨]. فعلى سبيل المثال؛ أن الشرائع كلها في اصولها تعتبر الضروريات الخمسة: من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة، والزجر عنها، يستحيل أن لا تشتمل عليه ملة من الملل، وشريعة من الشرائع، التي أريد بها إصلاح الخلق، ولذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب الخمر"[٢٧٩].

---

[٢٧٨] القرآن. الملك ٦٧:١٤.

[٢٧٩] الغزالي. ١٤١٣. *المستصفى*. ج٢. ص٤٨٣.

ولهذا كان التكذيب برسول يتعدى إلى جميع الرسل، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢٨٠].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾[٢٨١]. قال الألوسي[٢٨٢]رحمه الله تعالى: "وتكذيبهم المرسلين باعتبار إجماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأعصار"[٢٨٣]. وكذلك التصديق برسول يلزم التصديق بالرسل جميعاً قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[٢٨٤].

فالمقاصد العليا، والضرورية متفق عليها في الشرائع كلها، لكن الاختلاف وقع في الفروع والوسائل، فالغنائم وسيلة من الوسائل كانت محرمة في الشرائع السابقة وأحلت في شريعة الإسلام، كما دل على ذلك قول الرسول ﷺ: "وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي"[٢٨٥]. وكذلك الجهاد مفروض على أمة الإسلام ولم يكن مأموراً به في الشرائع السابقة وهذا كله يدخل تحت قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢٨٦]. وهذا الاختلاف في الوسائل لا يخرج عن الأصل العام وهو جلب المصالح ودرء المفاسد، لأن الشرائع كلها تنزيل من حكيم حميد، لا يأمر بوسائل الفساد، ولا ينهى عن وسائل المصالح[٢٨٧]، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢٨٨]، وهذا الخطاب عام يتضمن الشرائع كلها.

---

[٢٨٠] القرآن. الشعراء ١٢٣:٢٦.

[٢٨١] القرآن. الشعراء ١٤١:٢٦.

[٢٨٢] أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي، فقيه، واصولي، ومفسر. من مؤلفاته: "روح المعاني" و"شرح البرهان" وغير ذلك، ولد عام ١٢١٧هـ. وتوفي ١٢٧٠هـ. الزركلي. دت. *الأعلام*. ج٧. ص١٧٦.

[٢٨٣] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. ١٤١٥. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق: علي عبد الباري عطية. لبنان: دار الكتب العلمية. ج١٠. ص١٠٤.

[٢٨٤] القرآن. البقرة ٢٨٥:٢.

[٢٨٥] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب المساجد. باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا. ج١. ص٣٧٠. #٥٢١.

[٢٨٦] القرآن. المائدة ٤٨:٥.

[٢٨٧] مصطفى كرامة الله. ١٩٩٩. *قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية*. ص١٩٣.

[٢٨٨] القرآن. النحل ٩٠:١٦.

ومعرفة أحكام الوسائل يتعين لنا أولاً الرجوع إلى الأصليين الكتاب والسنة فننظر في نصوصهما، فإن كان الحكم منصوصاً عليه فيهما أو في أحدهما، "فالواجب العمل به، ولا مساغ للاجتهاد في مورد النص"[٢٨٩]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[٢٩٠]. وإنما يكون للاجتهاد مجال عند ذلك في تطبيقه على الواقع، وتنزيله على الحادثة، مما يسمى عند الاصوليين بتحقيق المناط[٢٩١].

والإعلام كوسيلة لم يرد نص باستعمال وسيلة محددة، وإنما يدخل في باب الإعداد في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٢٩٢]. والنبي عليه الصلاة والسلام استخدم الوسائل الإعلامية المتاحة في عصره في الدعوة، والإعلام، والحرب النفسية، والعلاقات العامة، من الخطب، والمواعظ، والرسائل، والشعر، والخطابة، وغيرها من الوسائل، ولم يحدد عليه الصلاة والسلام أو يفضل وسيلة على أخرى، لكن كانت الوسائل تستخدم حسب حاجاتها.

فعندما يتعلق الأمر بالحرب ورفع الروح المعنوية، وكسر معنويات العدو كان يستخدم الشعر فعن عائشة ﵂، أن رسول الله ﷺ قال: "اهجوا قريشا، فإنه أشد عليها من رشق بالنبل" فأرسل إلى ابن رواحة فقال: "اهجهم" فهجاهم فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم[٢٩٣].

---

[٢٨٩] الزركشي، بدر الدين. ١٤١٣. *البحر المحيط في أصول الفقه*. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ج٦. ص٢٤٤.

[٢٩٠] القرآن. الاحزاب ٣٣:٣٦.

[٢٩١] مصطفى كرامة الله. ١٩٩٩. *قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية*. ص٢١٩.

[٢٩٢] القرآن. الأنفال ٨:٦٠.

[٢٩٣] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب فضائل الصحابة. باب فضل حسان بن ثابت. ج٤. ص١٩٣٥. #٢٤٩٠.

أما في دعوة القبائل والملوك فكان عليه الصلاة والسلام يبعث بالرسائل والمكاتبة إليهم، وما يتعلق بأتباعه واصحابه يتخللهم بالمواعظ، والخطبة، والإعلام والإخبار. فكان ﷺ يستخدم كافة الوسائل الإعلامية المتاحة في عصره، ولا يتحدد بوسيلة على حساب أخرى. فوسائل الإعلام المعاصرة لم يرد بها نص كما هو معلوم، وإنما تقاس على الوسائل الإعلامية المستخدمة في عصر النبي عليه الصلاة والسلام لاشتراكها في علة واحدة وهي استخدام هذه الوسائل القديمة والمعاصرة في الدعوة لهذا الدين، والذب عنه، ونصرة قضاياه.

بالإضافة إلى أن وسائل الإعلام المعاصرة تدخل في قاعدة "الاستصلاح" وهو: بناء الأحكام الفقهية على مقتضى المصالح المرسلة وهي كل مصلحة لم يرد في الشرع نص على اعتبارها ولم يرد فيه نص على إلغائها. معنى ذلك أن وسائل الإعلام المعاصرة إذا كانت تحقق مصلحة راجحة، ويمكن أن توظف في نصرة الشريعة، والدعوة لهذا الدين، فأنها تدخل في حيز الاعتبار شرعاً.

أما إذا كانت مؤدية إلى مفسدة متساوية، أو راجحة فأنها ممنوعة شرعاً إعمالاً لقاعدة سد الذرائع. ولا أحد ينكر أهمية وسائل الإعلام المعاصرة، وأنها تحقق مصلحة راجحة؛ من الدعوة لهذا الدين، وتثقيف وتعليم المسلمين، ونصرة قضايا الإسلام والمسلمين. كما تدخل في قاعدة "الوسائل لها أحكام المقاصد" يقول الإمام القرافي رحمه الله تعالى: "حكمها (يعني الوسائل) حكم ما أفضت إليه"[٢٩٤]. ومعنى هذه القاعدة: أن المقصد إذا كان واجباً كانت وسيلته كذلك، وإن كان مندوباً كانت وسيلته مندوبة، وإن كان محرماً فوسيلته محرمة.

والمراد بالوسائل هنا هي الوسائل المشروعة في ذاتها التي لم ينه عنها الشارع، فهي أفعال لا تقصد

[٢٩٤] القرافي، أحمد بن ادريس. دت. *الفروق*. ج٢. ص٣٣.

لذاتها، لعدم تضمنها المصلحة أو المفسدة في ذاتها فهي وسائل مشروعة من حيث النظر في ذاتها، ثم هذه الوسائل المشروعة من حيث النظر في ذاتها، تأخذ حكماً آخر من حيث النظر إلى مقاصدها المؤدية إليها[٢٩٥]، فعندئذ تكون للوسائل أحكام المقاصد. وهذا يدحض القاعدة المشتهرة على السنة الناس "الغاية تبرر الوسيلة" ومعناها أن المقاصد إذا كانت في الخير والصلاح فيجوز الوصول إليها بأي وسيلة وإن كانت محرمة. والشريعة ترفض هذه الوسيلة، وتوجب على المسلم الأخذ بمشروعية الوسائل والمقاصد. "ومخالفة الشرع في باب الوسائل كمخالفته في باب المقاصد"[٢٩٦]. قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢٩٧]. فقوله "عن أمره" عام، ولأن النكرة إذا أضيفت عمت، فتشمل المخالفة في الوسائل والمقاصد. يقول ابن تيمية رحمه الله: "ليس كل سبب نال به الإنسان حاجته يكون مشروعاً مباحاً، وإنما يكون مشروعاً إذا غلبت مصلحته على مفسدته مما أذن فيه الشرع"[٢٩٨].

إذاً وسائل الإعلام المعاصرة هي مباحة في ذاتها، وهي تدخل في باب العادات، وليست هي من العبادات والمعاملات، وليست هي متعبدة في ذاتها. فإذا وظفت هذه الوسائل في نشر الدين، والخير، والفضائل، ونشر القيم والأخلاق في المجتمع؛ كانت مشروعة وتأخذ حكم مقاصدها، وحكم ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وإذا كانت مفسدتها مساوية للمصلحة، أو راجحة فتكون ممنوعة من باب سد الذرائع. وإذا استغلت في محاربة الدين واتباعه، ونشر الشر، وهدم الفضيلة والأخلاق؛ كانت محرمة تبعاً لمقصدها.

---

[٢٩٥] مصطفى كرامة الله. ١٩٩٩. *قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية*. ص٢٢٥.

[٢٩٦] المصدر السابق. ص٢٩٩

[٢٩٧] القرآن. النور ٦٣:٢٤.

[٢٩٨] البعلي، بدر الدين. ١٤٠٠. *مختصر الفتاوى المصرية*. مصر: مطبعة المدني. ص١٦٩.

٢. ٤. ٢ أهمية مقاصد الشريعة في الإعلام الإسلامي

يناقش هذا المطلب أهمية معرفة المقاصد وخاصةً؛ للإعلاميين والدعاة، وللمجتهدين وماذا يستفادون من علم المقاصد في اختصاصهم، ثم يناقش أهمية المقاصد للعوام المسلمين، ويختم المطلب بأهمية المقاصد لغير المسلمين. ويعالج هذا المطلب من خلال المواضيع الآتية: أهمية المقاصد للإعلامي المسلم والداعية. أهمية المقاصد للمجتهد. وأهمية المقاصد لعوام المسلمين. وأهمية المقاصد لغير المسلمين. من خلال الاحاطة بهذه الجوانب.

أولاً: أهمية المقاصد للإعلامي المسلم والداعية

إن حاجة معرفة الإعلاميين والدعاة إلى معرفة علم المقاصد ضروري جداً، وذلك مما يقتضيه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢٩٩]، فأول ما يدخل في الدعوة؛ هي الدعوة على بصيرة، فيكون بصيراً بالوسائل، والأساليب، وإرسال المضامين إلى الجمهور. وهذا الأمر لا يتحقق بالداعي إلا إذا كان على قدر بفهم مقاصد وغايات الشريعة، وخاصة في وقتنا الراهن، لأن الناس تحتاج إلى الاقتناع والفهم أكثر من العصور الماضية، والإعلامي المسلم لابد أن يكون ملماً بعلم المقاصد؛ لأن الشخص لا يدعو غيره إلى شيء وهو فاقده. كذلك مهمّة الإعلامي والداعية؛ هي في توضيح الفضائل والمقاصد والأهداف لهذا الدين، ليتم من ذلك كله جذب الناس لدين الله، وليحصل الاقتناع التام من قبل الناس بهذه الشريعة الغراء، لأن الطبيعة البشرية تحب ما ينفعها، وتميل وتقتنع بالشيء الذي يعود بالمصلحة عليها.

إذ المعرفة بهذه المقاصد تجعلهم يعرفون الأهداف السامية للشريعة من أحكامها، والغايات من

---

[٢٩٩] القرآن. يوسف١٢:١٠٨.

بعثة الرسل، وإنزال الكتب، فيبرز بالتالي لهم الهدف الذي سيحملونه للناس ويدعونهم إليه، ويتضح لهم أن دعوتهم ترمي إلى تحقيق مصالح الناس، ودفع المفاسد عنهم، وإنها ترشدهم إلى الوسائل والسبل التي تحقق لهم السعادة في الدنيا، والفوز برضوان الله في الآخرة، وأن مهمّة الأنبياء والرسل كانت تهدف إلى تحقيق هذه المقاصد، والعلماء ورثة الأنبياء في الدعوة إلى الصَلاح والإصلاح، والتحذير من الفساد والإثم والرذيلة والشر[٣٠٠].

فإذا ذكر الداعية أن بذكر الله تطمئن وتخشع القلوب، وأن ذكر الله سكينة للقلب، والروح، والجسد، وجاء ببعض الأبحاث العلمية مما يؤيد دعوته، ثم ذكر لهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣٠١]، داوموا على ذكر الله عز وجل، وحصل الرسوخ في القلوب أن ذكر الله سكينة وراحة وشفاء للروح والجسد ادركوا مقصد الآية الكريمة.

وإذا ما بيّنَ الداعية أو الإعلامي للناس أن الصلاة لو لم تكن راس العبادات لعدت من صالح العادات، وأنها طهارة أبدان ونقاوة اجساد، وشتى فضائل يشب عليها الجواري والولدان، وأن أصحابها هم الصابرون وعلى الواجب هم القادرون، وعندما يذكر الناس بفضائل الجمع والجماعات وكيف ساوت بين الحاكم والمحكوم، والغني والفقير، وعندما يذّكِر بأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتجلب الهدوء والراحة والطمأنينة للمسلم، سارعوا إلى تنفيذِ قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[٣٠٢]. وإذا ذكّرَ الداعية والإعلامي إن الفاحشة تنشر الفساد والرذائل، وتفشي الأمراض في المجتمع، وتخرب بيوتاً عامرة، وتنسف العلاقة بين العوائل، وأنها

---

[٣٠٠] الزحيلي، مُحَمَّد. ١٤٠٢. *مقاصد الشريعة*. ص ٣١٠.

[٣٠١] القرآن. الرعد ١٣:٢٨.

[٣٠٢] القرآن. العنكبوت ٢٩:٤٥.

سبب لهدم الأسر والمجتمعات، ويذكر الاحصائيات الرسمية في تفشي مرض (الايدز) الذي من أسبابه الرئيسية الزنا، وأن الشعوب الإسلامية هم من أقل الاصابات بهذا المرض بسبب حرمة الزنا، بالإضافة إلى الأمراض العضوية والجسدية التي يسببها الزنا عرفوا معنى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾[٣٠٣].

وإذا وضح الإعلامي أن الغاية من عقوبة الزنا هي لحفظ النسل وحفظ الأعراض، وأن المقصد من تحريم الربا هي في حفظ المال ومكانته السامية في الشريعة، وأن الهدف من تحريم الخمر والمخدرات والمسكرات من أجل حفظ العقل الذي هو ميزة الإنسان عن بقية المخلوقات، وأن امتثال العبادات والتحذير من التقصير فيها بسبب حفظ الدين الذي خلق الإنسان من أجله، فإذا انطلق الإعلامي والداعية من هذه المفاهيم كانت أبلغ وأرسخ في قلوب الجماهير من غيرها.

وهذا هو المنطق العقلي في أهمية معرفة المقاصد للإعلامي والداعية، لأن الإعلامي والداعي كيف سيقنع الناس بدين الله إذا لم يكن له علم بمقاصد وأهداف هذه الشريعة؟ وهذا مفهوم واقعي في حياتنا المعاصرة؛ أن أي حزب، أو جماعة، أو مؤسسة، أو حكومة تريد أن تجلب النظر إلى مفاهيمها وتريد جذب الناس إليها، تعرض للناس والمجتمع أهدافها ومبادئها ومقاصدها، بل وتسعى إلى تحقيق ذلك ما استطاعت إليه سبيلاً، والداعية والإعلامي المسلم هو أولى بمن ذكرناهم في معرفة علم مقاصد الشريعة والدعوة لدين الله.

فمعرفة علم المقاصد تفيد الإعلامي المسلم والداعية في الأمور التالية:

أ- تعينه على فهم أحكام الدين، وتحليل نصوص آيات الذكر الحكيم، وفهم سيرة النبي عليه الصلاة

---

[٣٠٣] القرآن. الإسراء ١٧:٣٢.

والسلام في الأقوال والأفعال والتقارير، حتى يكون للإعلامي والداعية تصور كامل عن الشريعة بمفهومها العام، والغايات التي نزلت من أجلها، وهذا مهم جداً لأنه يسير على خطى العلماء والفقهاء والمجتهدين، وهؤلاء ينبغي عليهم أن يكونوا على معرفة بهذا العلم النافع.

وبالتالي يتحدد لدى الداعية والإعلامي بشكل عام ما يدخل في الشريعة كعلم اصول الفقه، وما يخرج عنها كعلم الكلام المحدث، فكل ما يحقق مصالح الناس في العاجل والآجل فهو من الشريعة ومطلوب من المسلم، وكل ما يؤدي إلى الفساد والضرر، أو الاضطراب والمشقة، فليس من الشريعة، بل هو مما نهت عنه وحذرت منه[٣٠٤].

ب- تفيد الإعلامي والداعية في ترتيب سلم الأولويات في الدعوة إلى الله، فيقدم الضروريات على الحاجيات، والحاجيات على التحسينيات، ويقدم الأصل على التابع، ويقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

ويحذر الناس من الضرر الأكثر خطورة قبل تحذيرهم من الأقل خطورة، ويخاطب الناس على قدر عقولهم ومستوياتهم من الفهم، والإعلامي والداعية كالطبيب لا بد له من معرفة المقاصد لأنها الدواء الذي يجب أن يقدمه في الوقت المناسب، والظرف المناسب، ويسمى هذا بمصطلح فقه الأولويات[٣٠٥].

وهذا ما يحتاجه الدعاة اليوم، أن يكونوا على بصيرة في مقاصد ومصالح وأهداف هذا الدين، وأن يسلكوا مفهوم الأولويات في إيصال وعرض هذا الدين لجميع العالمين؛ على شتى افهامهم، والوانهم، وعقائدهم، واديانهم، فهناك مقاصد وأهداف ينبغي عرضها للمسلمين، وهناك مقاصد وأهداف ينبغي

---

[٣٠٤] الزحيلي. ١٤٠٢. *مقاصد الشريعة*. ص ٣٠٩.

[٣٠٥] الوكيلي، محمد. ١٩٩٧. *فقه الأولويات دراسة في الضوابط*. أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ص٩.

عرضها لغير المسلمين، وهناك أمور تعرض للعلماء، وهناك أمور تعرض للعوام، وهكذا.

فهذه مسؤولية الإعلامي والداعية في العصر الراهن، وخاصة بعد الهجمة على الإسلام التي أصبحت تديرها مؤسسات، واحزاب، وجماعات، ودول. ويومياً يتعرض المسلمين إلى جرعات كبيرة من التأثير، والضغط، والحرب النفسية التي تطال مجتمعاتهم، وعقائدهم، ودينهم. فعندما يرد الإعلاميين والدعاة على هذه الهجمات بمفهوم مقاصدي شمولي متوازن، وينطلقوا من مفاهيم ومضامين مقاصدية، سيحصل الثبات والاقتناع التام بأن هذا الدين هو لجميع العالمين، وأنه دين الحق.

ولقد انتبه إلى أهمية مراعاة المقاصد في مجال الدعوة إلى الله الإمام الشوكاني رحمه الله فهو يرى أن الداعية ينبغي عليه أن يكون كالرسول مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام الذي كان منهجه في الدعوة إلى التيسير دون التعسير، وإلى التبشير دون التنفير، وإلى الألفة واجتماع الأمر دون الفرقة والاختلاف، لما فيها من جلب المصالح ودفع المفاسد، ثم قال: فالعالم المرتاض بما جاءنا من الشارع الذي بعثه الله متمماً لمكارم الاخلاق، إذ جعل الشارع غاية همّه واقصى رغبته جلب المصالح الدينية للعباد، ودفع المفاسد عنهم كان من أنفع دعاة المسلمين وأنجح الحاملين لحجج رب العالمين[٣٠٦].

ج- إن الاطلاع على علم المقاصد يكشف للإعلاميين والدعاة أهمية وأسرار وعظمة هذا الدين. فيزداد إيماناً إلى إيمانه، وتترسخ العقيدة في وجدانه، ويتمسك بدينه وإسلامه خاصة إذا ما تمت مقارنته بالشرائع الأخرى. فمن أسباب الدخول في دين الله من الشرق والغرب؛ كان بسبب أسرار ودقائق وعظمة هذا الدين وخاصة من الناحية العلمية، والروحية، ونظامه الاجتماعي المتكامل.

---

[٣٠٦] الشوكاني، مُحَمَّد بن علي. ١٩٨٢. *طلب العلم وطبقات المتعلمين*. لبنان: دار الكتب العلمية. ص ١٣٤.

د- معرفة المقاصد تعين الإعلامي والداعية على الترجيح بين الأقوال المتعارضة، ويرجح القول الذي يحقق مقصد من مقاصد الشريعة ويتفق مع أهدافها في جلب المصالح والمنافع، ودرء المفاسد والأضرار[٣٠٧].

فعلى سبيل المثال هناك بعض الأمور الخلافية في الإعلام من تمثيل المسلسلات التاريخية، وقصص الأنبياء وغيرها، فيمكن الترجيح من خلال النظر في المصلحة ومالآت الأمور، فعندها نرجح ما هو مصلحته راجحة على مفسدته. ومن هذا يتضح لنا أهمية معرفة علم المقاصد للإعلامي والداعية؛ فهي زيادة للفهم، واتساع لمدارك العقل، وزيادة تعرف على أسرار وعظمة الشريعة، بالإضافة إلى معرفة القواعد التي ينطلق منها الإعلامي والداعية في نشر مضامينه إلى الجمهور.

ثانياً: أهمية المقاصد للمجتهد

إن الحديث عن أهمية المقاصد بالنسبة للمجتهد له حديث عن غاية المقاصد وثمرتها وزبدة ذلك العلم وخلاصته، وعلاقة المجتهد بالإعلام علاقة وطيدة؛ لأن غالبية المسائل والمتعلقات الإعلامية بحاجة إلى مجتهد راسخ العلم، ينزل النصوص الشرعية على الواقع الإعلامي ومتعلقاته. ولهذا يذكر عامة من كتبوا في الاصول شروطاً ينبغي توافرها في المجتهد، كحفظ القرآن، أو معرفة آيات الأحكام فيه، وكذلك الأحاديث، واللغة العربية، ومواطن الإجماع، وغير ذلك. غير أن اشتراط فهم مقاصد الشريعة على كمالها، قد اشترطه قليل من الأصوليين الأولين، وثلة من الآخرين، واشتراط الإلمام بمقاصد الشريعة لا يكون مجرد معرفة سطحية فقط، وإنما لا بد أن يكون ذلك ملكة لدى المجتهد يستطيع بها إدراك مقاصد الشريعة، واستنباطها، وتجير ينابيعها من النصوص الشرعية، وأن تكون تلك المقاصد أداة بناء وتقييم، لا معول هدم للأحكام الشرعية[٣٠٨].

---

[٣٠٧] الريسوني. ١٤١١. *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*. ص ٣٣٠.

[٣٠٨] يوسف أحمد البدوي. ١٩٩٩. *مقاصد الشريعة عند ابن تيمية*. الأردن: دار النفائس. ص١٦٧.

فإذا كان الإعلامي والداعية لا يمكنه الاستنباط واستخراج الأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية إلا إذا مهر في أصول الفقه ومتعلقاته، فكذلك يكون الحال في المقاصد، فلا يتم الاستنباط الصحيح إلا إذا قام على دراية تامة بمقاصد الشريعة العامة منها والخاصة.

لهذا يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: فإذا بلغ الإنسان مبلغاً فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسالة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها، فقد حصل له وصفاً هو السبب في تنزيله منزلة الخليفة للنبي عليه الصلاة والسلام في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله[٣٠٩]، ويقول في موضع آخر: وأكثر ما تكون – أي زلة العالم – عند الغفلة عن اعتبار مقاصد الشارع في ذلك المعنى الذي اجتهد فيه[٣١٠].

هذا وقد نبه على أهمية المقاصد بالنسبة للمجتهد واشتراطها فيه كل من:

أ- الإمام الشافعي:[٣١١] حيث يذكر الجويني عنه طريق النظر في الأدلة لمعرفة حكم المسالة، فيقول ذكر الشافعي في الرسالة ترتيباً حسناً فقال: "إذا وقعت الواقعة فأحوج المجتهد إلى طلب الحكم فيها فينظر أولاً في نصوص الكتاب فإن وجد مسلكاً دالاً على الحكم فهو المراد، وإن اعوزَه انحدر إلى نصوص الأخبار المتواترة، فإن وجده، وإلا انحط إلى نصوص أخبار الآحاد، فإن عدم المطلوب في هذه الدرجات لم يخض في القياس بعد، ولكنه ينظر في كليات الشرع ومصالحها العامة"[٣١٢].

فالذي ينظر إلى استنباطات الإمام الشافعي وتدرجه في الأحكام من القرآن إلى الأحاديث المتواترة إلى أحاديث الآحاد ثم يقول قبل أن يصل إلى مرحلة القياس ينظر إلى كليات الدين وهي

---

[٣٠٩] الشاطبي. ١٩٩٢. *الاعتصام*. ج٤. ص١٠٦.

[٣١٠] المصدر السابق. ج٤. ص١٧٠.

[٣١١] مُحَمَّد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطلبي القرشي، الإمام الجليل صاحب المذهب المعروف. من مؤلفاته: الأم. واختلاف الحديث. والرسالة. وغيره. توفي سنة ٢٠٤ هـ. الزركلي. ٢٠٠٢. *الأعلام*. ج٣. ص١٥٣.

[٣١٢] الجويني. ١٤٠٠. *البرهان في اصول الفقه*. ج٢. ص٨٧٤.

المقاصد، فجعلها قبل القياس فنبه إلى أمر؛ أي الذي يتدرج من القرآن إلى السنة إلى القياس لا بد وأن يكون له نظر وتعمق في كليات الدين حتى ينظر إلى مقصود الشارع في المسالة، لعله يتضح له أمر خفي عليه من جوانب أخرى.

ب- الإمام الجويني: حيث يذكر: "أن مقاصد الشريعة وقواعدها العامة هي المخرج الذي يغاث منه الناس في زمن التياث الظلم، وتجري مجرى الأسس والقاعدة، والملاذ المتبوع الذي إليه الرجوع، واعتبر أن من لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي ليس على بصيرة في وضع الشريعة"[٣١٣]. وكلام الإمام الجويني واضح أي أن الذي لم يتفطن إلى مقاصد الشريعة في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة أي إنه لم يفهم الدين، وليس هنالك مجتهد إلا وهو على علم من المقاصد، وإلا فلا يسمى مجتهداً بفهم قول الإمام الجويني.

ج- الإمام الغزالي كغيره من العلماء الذين أكدوا على أهمية المقاصد للمجتهد فيقول: "إذ اعتبر مقاصد الشريعة قبلة المجتهدين، ومن توجه إلى أي جهة منها أصاب الحق"[٣١٤].

د- الإمام العز بن عبد السلام يقول: من تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد، حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وإن هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص، فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك، وذكر إذ أن معرفة المصالح والمفاسد والترجيح بينهما لا تكون إلا لمن مارس الشريعة وفهم مقاصدها[٣١٥]، أي معنى كلامه أن

---

[٣١٣] الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف. ١٤٠١. *الغياثي غياث الامم في التياث الظلم*. د م. ص ٢٦٦.

[٣١٤] السيوطي، جلال الدين. ١٩٨٤. *الاجتهاد في الرد على من اخلد إلى الارض وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض*. مصر: مؤسسة شباب الجامعة. ص١٨٢.

[٣١٥] عبد السلام، العز. ١٩٩١. *قواعد الأحكام في مصالح الأنام*. ج٢. ص١٦٠.

الذي يرجح بين المصالح والمفاسد يكون لمن له معرفة بمقاصد الشريعة، والذي لا يعرف مقاصد الشريعة لا يستطيع أن يرجح بين المصالح والمفاسد.

هـ- تقي الدين السبكي من الشافعية: إذ عدَّ من شروط المجتهد الممارسة والتتبع لمقاصد الشريعة[٣١٦]، وكلام الإمام السبكي واضح لا يحتاج إلى أي بيان.

و- ابن تيمية كان أيضاً من جملة العلماء الذين أكدوا على أهمية المقاصد للمجتهد حيث يقول: "وإلى ساعتي هذي ما علمت قولاً قاله الصحابة ولم يختلفوا فيه إلا وكان القياس معهم، لكن العلم بصحيح القياس وفاسده من أجلّ العلوم، وإنما يعرف ذلك بأسرار الشرع ومقاصده، وما اشتملت عليه شريعة الإسلام من المحاسن التي تفوق التعداد، وما تضمنته من مصالح العباد في المعاش والمعاد، وما فيها من الحكمة البالغة، والرحمة السابغة، والعدل التام"[٣١٧].

ز- ابن القيم الجوزية كذلك ابن القيم رحمه الله لا يختلف عن شيخه في نظرته إلى اشتراط وجوب علم المقاصد، وحكمها، وأهدافها إذ ذاك ضروري للمجتهد عاصم له من الجهل والغلط، ومن إيقاع المشقة والعنت بالمكلفين، يقول: "فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد"[٣١٨]، فجعل أساس الشريعة مبنية على رعاية مصالح العباد في الدنيا والآخرة.

ح- الإمام الشاطبي من العلماء البارزين الذين اشترطوا وجوب علم المقاصد في المجتهد، حيث يقول: "إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين احدهما فهم مقاصد الشريعة على كمالها، والثاني التمكن من الاستنباط بناءً على فهمه فيها"[٣١٩]، وهذا نص صريح من الإمام الشاطبي بحيث قدم العلم بمقاصد

---

[٣١٦] السبكي، علي عبد الكافي. ١٩٨٤. *الإبهاج في شرح المنهاج*. لبنان: دار الكتب العلمية. ج١. ص٨.

[٣١٧] ابن تيمية. ١٤٢٦. *مجموع الفتاوى*. ج٢٠. ص٥٨٣.

[٣١٨] ابن القيم الجوزية. ١٩٦٨. *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. ج٣. ص٣.

[٣١٩] الشاطبي. ١٩٩٧. *الموافقات*. ج٤. ص١٠٥.

الشريعة على الاستنباط، والمجتهد لا يمكنه الاستنباط إلا إذا مهر في المقاصد، ثم قال: "فإذا بلغ الإنسان مبلغاً فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسالة من مسائل الشريعة وفي كل باب من أبوابها، فقد حصلت له وصف هو السبب في تنزله منزلة الخليفة للنبي عليه الصلاة والسلام في التعليم والفتيا والحكم بما أنزل الله"[٣٢٠].

ط- ابن عاشور ممن ركز على أهمية المقاصد للمجتهد والفقيه فقال: "فالفقيه بحاجة إلى معرفة مقاصد الشريعة"[٣٢١]، ثم قال: "والواجب على علماء الأمة تعرف علل الشرع ومقاصده ظاهرها وخفيها"[٣٢٢].

ي- علاّل الفاسي ممن أكد على أهمية فهم المقاصد للمجتهد فقال: "إن مقاصد الشريعة هي المرجع الأبدي لاستقاء ما يتوقف عليه التشريع والقضاء في الفقه الإسلامي"[٣٢٣]. وبعد ذكر هذه الأقوال لهؤلاء العلماء الأعلام يتبين لنا ضرورة وأهمية معرفة المقاصد العامة والخاصة للمجتهد؛ والذي بدوره يغذي المؤسسة الإعلامية بالفتاوى المبنية على الاجتهاد المقاصدي بناءً على المصلحة المرجوة من الإعلام المعاصر.

أما فوائد المقاصد للمجتهد فتتلخص في أمور ومنها:

أ- فهم النصوص وتفسيرها ومعرفة دلالاتها: فمقاصد الشريعة خير معين على فهم النصوص الشرعية وتفسيرها، وتحديد مدلولات الالفاظ ومعرفة معانيها لتعيين المعنى المقصود منها، لأن الالفاظ والعبارات قد تتعدد معانيها، وتختلف مدلولاتها كما هو معروف في أسباب اختلاف الفقهاء، فتأتي المقاصد

---

[٣٢٠] المصدر السابق. ج٤. ص١٠٦.

[٣٢١] ابن عاشور. ١٩٧٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية*. ص ١٥.

[٣٢٢] المصدر السابق. ص١٨.

[٣٢٣] الفاسي. ١٩٧٩. *مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها*. ص٥٥.

لتحديد المعنى المقصود للشارع الحكيم[٣٢٤].

فالمجتهد لا بد له من فهم مقاصد الشريعة في فهم النصوص الشرعية وتفسيرها بشكل صحيح عند تطبيقها على الوقائع، كما يمكن الاسترشاد بها عند تحديد مدلولات الألفاظ ومعرفة معانيها، لتعيين المعنى المقصود منها، لأن الألفاظ والعبارات قد تتعدد معانيها، وتختلف مدلولاتها كما هو معروف في أسباب اختلاف الفقهاء، فتأتي المقاصد لتحديد المعنى المقصود[٣٢٥].

ب- الترجيح بين الأدلة المتعارضة والتوفيق بينهما: والقول بتعارض الأدلة إنما هو بحسب الظاهر والناظر لا بحسب الحقيقة فالشريعة متفقة مؤتلفة، لا تعارض فيها البتة[٣٢٦]، فمقاصد الشريعة تفيد المجتهد عندما لا يجد نصاً صريحاً فيستعمل القياس، ومعلوم مما سبق أهمية المقاصد في ترجيح ذلك، "كما إن المقاصد تفيد المجتهد إذا ظن التعارض بين الأدلة الشرعية ظاهراً، فمن اوجه الجمع والترجيح بين الأدلة الوقوف على مقاصد الشريعة"[٣٢٧].

وهذا مهم وخاصة في المسائل الإعلامية الحديثة فهناك خلاف بين العلماء على جوازها أو عدم جوازها؛ كتمثيل الصحابة في المسلسلات التاريخية، وظهور المرأة إعلامياً وغيرها من المسائل المستجدة، فالمقاصد تعين على ترجيح الأقوال المتعارضة بناءً على المصلحة والمفسدة. ومن هنا كانت الشريعة بأصولها وما تحققه من مصالح ومقاصد كلية، دائمة إلى قيام الساعة تساير كل العصور والأجيال التي تأتي بعد عصر الرسالة إلى يوم القيامة، وبقدر معرفة المجتهد بمقاصد الشريعة أقل ما يقول عنه من أحكام الشريعة أنه تعبدي لا تدرك حكمته[٣٢٨].

---

[٣٢٤] عبد الكريم زيدان. ١٤٢٤. *الوجيز في اصول الفقه*. لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر. ص٣٧٨.

[٣٢٥] الزحيلي، محمد. ١٤٠٢. *مقاصد الشريعة*. السعودية: مجلة كلية الشريعة. العدد السادس. جامعة ام القرى. مكة المكرمة. ص ٣١١.

[٣٢٦] الجوزية، ابن القيم الجوزية. د ت. *بدائع الفوائد*. لبنان: دار الفكر العربي. ج٣. ص٤٧١.

[٣٢٧] ابن عاشور. ١٩٧٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية*. ص١٨٥.

[٣٢٨] المصدر السابق. ص ١٨٨.

ج- معرفة أحكام الوقائع التي لم ينص عليها بالخصوص: فإذا دعت الحاجة المجتهد إلى بيان حكم الله في مسالة مستجدة عن طريق القياس، أو الاستصلاح، أو الاستحسان، ونحوها تحرى بكل دقة أهداف الشريعة، ومقاصدها وجعلها معيار ذلك والميزان الذي يزن به تلك المناهج في تعرف أحكام المسائل النازلة[٣٢٩].

فإلمام المجتهد بمقاصد الشريعة ضروري حتى لا يضيق سعة الشريعة، وحتى يدرك شمولها ويحققها في خصوصيات الوقائع، ويحافظ على ثباتها فلا يهدر خصوصية الألفاظ، ولا يضيع مقاصدها، ولا يضرب بعضها ببعض فيقع في التغيير والتبديل"[٣٣٠].

د- تنزيل الأحكام الشرعية على الظروف المكانية والزمانية: فمقاصد الشريعة يحتاج اليها المجتهد لصحة فهم النصوص الشرعية وتطبيقها على الواقع[٣٣١]، وهذا أمر منطقي، إذا كان المجتهد لم يفهم حقيقة النصوص ولم يفهم مراد الشارع، كيف سينزل الحكم على الواقع؟ "ولهذا كان من لوازم مراعاة المصالح الإحاطة بأعراف وعادات الناس والمكلفين"[٣٣٢]. لأن كل مجتمع يختلف عن غيره، والعادات متغيرة بتغير الزمان والمكان، فأهل البادية يختلفون في عاداتهم وتقاليدهم عن أهل المدينة، وأهل الشرق يختلفون عن الغرب، والواقع في ماليزيا يختلف عن الواقع في العراق أو فلسطين مثلاً، فالمقاصد تساعد في فهم النصوص وإنزالها على الواقع.

هـ- تحقيق التوازن والاعتدال في الأحكام: فيتحتم على الإعلامي، والداعية، والعالم، والفقيه، والمجتهد، أن يضع مقاصد الشريعة نصب عينيه لتضيء له الطريق، وتصحح له المسار، وتعينه على الوصول إلى الحق

---

[٣٢٩] الزحيلي، وهبة. ١٤٠٦. *اصول الفقه الإسلامي*. سوريا: دار الفكر للطباعة. ج٢. ص١٠١٧.

[٣٣٠] السفياني، عابد مُحَمَّد. ١٩٨٨. *الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية*. ص٢٥٩.

[٣٣١] الزحيلي. ١٤٠٢. *مقاصد الشريعة*. ص٣١١.

[٣٣٢] عبد الكريم زيدان. ١٤٢٤. *الوجيز في اصول الفقه*. ص٤٠٥.

والعدل والصواب والسداد[٣٣٣]. وهذه حقيقة المقاصد في توسيع الفهم والإدراك لأحكام الشريعة، مما يجعل المجتهد أقرب إلى الإصابة، والتوازن، والاعتدال في مسائل الاجتهاد، وبذلك يكون قد حقق الفهم الصحيح لأحكام الشريعة، مما يجعله وسطياً في ذلك لا إفراط ولا تفريط، وبذلك يكون قد حقق مراد الشارع. هذه الشواهد تبين لنا مدى أهمية مقاصد الشريعة في كافة المجالات فمقاصد الشريعة ضالة المجتهد أنى وجدها فهو أحق بها، يستضيئ بنورها، ويستظل بظلها، لا تغيب عنه عند نظره في الجزئيات، فهي سور عتيد، وحصن مشيد، ويجعل المجتهد لا يغادر القول السديد، وعن مراد الشارع لا يحيد[٣٣٤]. وبذلك تكون مقاصد الشريعة ركناً أساسياً في مقومات المجتهد وفهمه.

ثالثاً: أهمية المقاصد للعوام المسلمين

مما هو معلوم لدى عوام المسلمين عاطفة جياشة في حب الإسلام، يظهر بعضها في مواقف تستدعي ذلك من تطاول على شيء من شرع الله، وعلى رسوله صلى الله عليه السلام، أو من تطاول بعض السفهاء على الإسلام ومقدساته.

فقد رأينا بالأمس القريب حينما رسمت الصور المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام في بعض الدول الغربية، خرج الملايين من عوام المسلمين في جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية يعمهم الغضب لرسول الله، وكان من الخارجين في تلك المظاهرات مسلمين لم يكونوا على درجة عالية من الالتزام، لكن الذي دفعهم لذلك حب الدين، وحب النبي عليه الصلاة والسلام، فلا يبالي هؤلاء العوام بالتضحية بأنفسهم في سبيل الله للرد على هؤلاء وغيرهم من المعتدين. ومع هذا الحب وهذه العاطفة، إلا أنه قد يزين الشيطان أو النفس لعوام المسلمين أن المصلحة في أشياء، وهي في الواقع تخالف شرع الله عز وجل،

---

[٣٣٣] الزحيلي. ١٤٠٢. *مقاصد الشريعة*. ص٣١١.

[٣٣٤] البدوي. ١٩٩٩. *مقاصد الشريعة عند ابن تيمية*. ص١٢٢.

لجهلهم بدين الله عز وجل، فهذا لا يحافظ على الصلاة أصلاً، وآخر لا يحافظ عليها في المساجد جماعة لانشغالهما بالعمل والكسب ظناً منهما أن ذلك يحقق لهما مصلحة أكبر من الصلاة.

وآخر يتخلف عن دفع نصاب الزكاة أو أداء فريضة الحج ظناً أن ذلك خسارة له في المال، أو يتصور أن في الربا منفعة، أو للخمر فوائد، كل ذلك تصوير من الشيطان أو من النفس الأمارة بالسوء. لكن المعرفة بمقاصد الشريعة وغاياتها تعين على ترسيخ العقيدة والشريعة في قلوب المكلفين.

فمعرفة المقاصد للعوام المسلمين تنفع في الأمور التالية:

أ- زيادةً في الايمان وترسيخاً للعقيدة فإذا ما تعلم هؤلاء جميعا مقاصد الشريعة وما تهدف إليه كان له في ذلك "زيادة للإيمان بالله، وترسيخاً للعقيدة الإسلامية في قلبه، لتكون عنده القناعة الكافية في دينه وشريعته، ويسعى جاهداً للالتزام بأحكامها، ويحذر من مخالفتها، ويرفض الاستغناء عنها، فيزداد محبة لشريعته وتمسكاً بدينه، وثباتاً على صراط الله المستقيم، فيفخر بدينه ويعتز بإسلامه"[٣٣٥].

ب- تحصينهم فكرياً وعقدياً، فمعرفة المقاصد بالنسبة للعوام مهمّة جداً وخاصة في عصرنا الراهن عندما كثرت الشبهات والشهوات، وأصبحت تطال كل أفراد العائلة وذلك من خلال وسائل الإعلام المعاصرة. إذ إن المسلمين وخاصة العوام يتعرضون يومياً إلى هجمات فكرية ودعوات هدامة في دينهم وفكرهم وعقيدتهم. ويومياً نسمع في وسائل الإعلام على سبيل المثال لا الحصر، أن الإسلام اليوم لا يصلح لقيادة الأمة، أو أن الإسلام لا يكون في مجالات الحياة وإنما فقط في دور العبادة، أو ما يتعرض له المسلمات اليوم بأن الحجاب يضيق حرية المرأة ويخفي جمالها، وأن الإسلام لم يعط الحق والحرية للمرأة، أو أن الإسلام ينتقص المرأة فيجعلها بنصف حقوق الرجل، وما إلى ذلك من الدعاية الهدامة والشعارات الكاذبة التي ترسل بين الحين والآخر إلى عوام المسلمين.

---

[٣٣٥] السفياني. ١٩٨٨. *الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية*. ص ٢٦٠.

فمعرفة المقاصد تعطي المسلم مناعة كافية وخاصة في وقتنا الحاضر ضد الغزو الفكري والعقدي، والتيارات المستوردة، والمبادئ البراقة، والدعوات الهدامة التي يستتر اصحابها وراء دعايات كاذبة، وشعارات خادعة، ويبذلون جهدهم وأموالهم لإخفاء محاسن الشريعة، وتشويه معالمها، والافتراء عليها، وإلصاق الشبه والاضاليل[٣٣٦]. وما حصل مثلاً لحركة حماس، وغيرها من الجماعات الإسلامية المعتدلة، والمناهضة للمخططات الغربية، من حملات تشويه وكذب وافتراء، واحياناً يصدر هذا الكلام وهذه الدعايات من أبناء المسلمين الجهلاء والبسطاء ومن انصاف المتعلمين بالخداع والمكر المكشوف، فاذا كان العوام لهم معرفة بمقاصد الشريعة، وغاياتها، وأهدافها، ومصالحها، لا تنطلي عليهم مثل هذه الاكاذيب التي تستهدف عقيدتهم ودينهم وقدواتهم.

ج- موافقة القصد لقصد الشارع، يصعب على المسلم العامي أن يوافق قصده قصد الشارع الحكيم "بحيث تكون مقاصده تابعة لمقاصد الشارع ومحكومة بها فلا يحاول التهرب منها، أو التحايل عليها لما يعود عليه من نتائج وخيمة، ومفاسد جسيمة، ويعرض نفسه لمواقف يكون فيها مذموماً لا ممدوحاً، وموزوراً لا مأجوراً"[٣٣٧]. فمعرفة المقاصد تعينه على موافقة قصده لقصد الشارع ذلك، وهنا لا بد أن نذكر كلمة العز بن عبد السلام عندما ذكر غايته من تأليف كتابه قواعد الأحكام قال: "الغرض بوضع هذا الكتاب بيان مصالح الطاعات، والمعاملات، وسائر التصرفات، لسعي العباد في توصيلها، وبيان مقاصد المخالفات ليسعى العباد في درئها، وبيان مصالح العبادات ليكون العباد على خبر منها"[٣٣٨].

فنلاحظ من كلمة العز بن عبد السلام أهمية معرفة المقاصد للعباد، والعباد يدخل فيهم العوام فليس علم المقاصد خاص بالمجتهدين والعلماء والدعاة، وإنما أيضاً للعوام، ولكن ليس من المنطقي أن

---

[٣٣٦] الزحيلي. ١٤٠٢. *مقاصد الشريعة*. ص٣٠٩.

[٣٣٧] السفياني. ١٩٨٨. *الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية*. ص٢٦٠.

[٣٣٨] عبد السلام، العز د ت. *قواعد الأحكام في مصالح الانام*. ج١. ص٩.

يكون علم العوام كعلم المجتهدين والعلماء والدعاة. ويذكر العز بن عبد السلام كلمته فيقول: "والشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: "ياأيها الذين أمنوا" فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيراً يحثك عليه، أو شراً يزجرك عنه، أو جمعاً بين الحث والزجر"[٣٣٩].

فالحاصل أن المسلم العامي يحصل فوائد عظيمة بمعرفة المقاصد، فينشرح صدره للأحكام الشرعية لأنه يعلم أنها تحقق له أسمى المصالح في الدنيا والآخرة، وهذا ما يريده كل مسلم، وبالتالي يعود الناس إلى التمسك بدينهم وشرعهم، وهذا ما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة. علاوة على ذلك أن غالبية الذين يعملون بالمؤسسات الإعلامية سواء كانوا في الدول العربية أو الإسلامية هم من عوام المسلمين باختصاصات شتى، هذا مهندس ديكور، وأخر مهندس حاسبات، وهذا مصور، وهذا محرر وغيرهم، فإذا كان لديهم معرفة ولو جزئية بمقاصد وغايات الشريعة كان ذلك أنفع لهم، وأبلغ في رسالتهم المرسلة عبر مؤسساتهم الإعلامية.

رابعاً: أهمية المقاصد لغير المسلمين

إن الناس في عموم الارض في كل زمان ومكان، حريصون على مصالحهم ويسعون جاهدين لتحقيقها، وما من إنسان على وجه الأرض إلا ويبتعد عن المضار والآلام ويعمل جاهداً في ذلك، لكن كثيراً من الناس لا يجدون سعادتهم، ولم يستطيعوا الوصول إلى مصالحهم، فسرعان ما ينهون حياتهم بأيديهم إنتحاراً، وسجلت الاحصاءات الرسمية أعلى نسب الانتحار إنما تكون في بلاد الغرب، في بلاد التقدم التكنلوجي والصناعي في تلك الدول.

فإذا ما وفق هؤلاء إلى المصالح الشرعية، والمضار والمفاسد الحقيقية، علموا أن هذا الشرع الحنيف

---

[٣٣٩] المصدر السابق. نفس الصفحة.

إنما جاء ليخرج الناس من الظلمات والشقاء إلى النور والهدى والسعادة، وأن من التزم هذا الدين وتمسك بهذه الشريعة الغراء تحققت له كل المصالح التي يريدها ويعرفها، بل والتي لا يعرفها، لا شك أن ذلك يجعله يفكر في نفسه، ويراجع عقيدته ودينه، ويعود إلى شريعة ربه وفطرته، إن كان له عقل يكون سبباً في الهداية والرجوع إلى الله عز وجل[٣٤٠].

لأن غير المسلمين إذا عرفوا وأيقنوا أن هذه الشريعة جاءت لمصالح وغايات عظيمة، وأن الإنسان خلق لغاية عظيمة وهي عبادة الله وحده، وأن الشريعة جاءت لتحفظ على الإنسان دينه، وعقله، وماله، ونسله، ونفسه، سوف يعلم كم عظم هذا الدين، وكم سيكون ذلك ترغيباً لدخوله في دين الله عز وجل.

وهذا يتوقف على دعوة المسلمين عموماً والإعلاميين والدعاة خصوصاً؛ لدعوة غيرهم من غير المسلمين، وتعريفهم بأحكام، وأهداف، وغايات، ومقاصد هذا الدين، لأن اليوم الهجمات ضد الإسلام تدخل عن طريق يظن أنها ثغراً على الدين، ومدخلاً إلى التكلم في شريعة الإسلام، منها عقوبة رجم الزاني، والقصاص، وحرمة الربا، وشرب الخمر، وغيرها من الأمور التي يقنعون بها غير المسلمين بعنف هذه الشريعة.

بينما لو تعرف هؤلاء إلى المقاصد العظيمة من الحدود والقصاص، وأنها شرعت لغايات عظيمة وليست للعقوبة، أو التنكيل بالشخص، وإنما حُرِّمَ الزنا لأجل غاية عظيمة وهي حفظ النسل، وإنما حُرِّمَ الربا لغاية جليلة وهي حفظ المال، وغير ذلك من أمور الشريعة عندما تعرض بطرق حكيمة، واسلوب علمي، وحجة قوية، مدعومة بالأدلة والبراهين، سوف يحصل الترغيب بهذه الشريعة الغراء، فتكون دافعاً إلى الدخول في الإسلام، والعيش تحت ظلال هذه الشريعة.

---

[٣٤٠] حبيب. ١٤٢٧. *مقاصد الشريعة تأصيلا وتفعيلا*. ص ١٢٧.

وكم دخل أناس الإسلام بسبب أنهم عرفوا أو وقفوا على بعض مقاصد الشريعة الإسلامية في بعض أحكامها وتكاليفها، وكم من أناس دخلوا في دين الله بسبب النظام الاجتماعي في الإسلام، أو النظام الاقتصادي، أو المنهج العلمي في دين الله، ولايخفى على أحد أهمية المقاصد في توضيح مثل هذه المجالات.

فالخلاصة إن الوقوف على مقاصد الشريعة الإسلامية، وعلى أحكامها، وغاياتها، ومقاصدها، يساعد في دعوة كثير من غير المسلمين لاعتناق هذا الدين الحنيف. كذلك تفيد في المقارنة بين دين الله والديانات الأخرى، وشرع الله والشرائع الأخرى، فعندما يرى غير المسلم مقاصد هذا الدين ويقارنها مع مقاصد دينه وعقيدته المحرّفة، سوف يعلم عظم هذا الدين، وعظم هذه الشريعة، وعظم هذه الأحكام. فالكثير من العرب كان يسمع بهذا الدين ولا يعرف عنه الشيء الكثير، فلما تعرف على الدين وقرأ عن هذه الشريعة اعتنق الإسلام، لأنه علم الفرق الشاسع بين الإسلام وبين ما يدين به من عقيدة ودين. وهذه هي مسؤولية كل المسلمين لا تختص بالأئمة والخطباء والدعاة والإعلاميين والوعاظ فقط، وإنما تختص بجميع المسلمين على قدر افهامهم وعقولهم لدعوة غير المسلمين، تيمنا بحديث النبي عليه الصلاة والسلام: "بلغوا عني ولوا آية"[٣٤١]، لم يخصص مهمّة التبليغ للعلماء أو الدعاة وإنما للجميع، قال عليه الصلاة والسلام (ولو آية)، أي حتى المسلم البسيط الذي يعلم آية فهو مدعو للتبليغ عن هذا الدين، وعن هذه الشريعة.

وهذا نهج النبي عليه الصلاة والسلام، ووظيفة الأنبياء وكان عليه الصلاة والسلام حريص على دعوة غير المسلمين حتى مع الذين هم أشد غلظة وعداوة للإسلام، وعلى سبيل المثال قال لقومه لما

[٣٤١] البخاري. ١٩٨٧. *صحيح البخاري*. كتاب الأنبياء. باب ما ذكر عن بني اسرائيل. ج٣. ص١٢٧٥. #٣٢٧٤.

اجتمعوا في بيت عمه أبي طالب: "كلمة واحدة تعطينيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم" فقال أبو جهل نعم وأبيك وعشر كلمات، فقال: "تقولون لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دون الله"[٣٤٢].

وهكذا كان عليه الصلاة والسلام حريص على دعوة جميع الناس، وأكبر دليل على ذلك حياته، وسنته، وسيرته عليه الصلاة والسلام، والمتتبع لذلك سوف يجد الكثير من الشواهد في هذا المجال. وأخيراً يتلخص لدينا أهمية معرفة المقاصد لعوام المسلمين ولغير المسلمين، وهذا لا يخفى على كل ذي عقل، نسأل الله العلي القدير أن يجعلنا من المتبصرين بدينه، ومن الذين يبلغون شرعه، ويسيرون على نهج نبينا عليه الصلاة والسلام.

٢. ٤. ٣ خصائص الإعلام الإسلامي من منظور مقاصدي

يناقش هذا المطلب خصائص الإعلام الإسلامي وفق المنظور المقاصدي، يتميز الإعلام الإسلامي المقاصدي بخصائص وسمات تميزه عن غيره بسبب أنه؛ نزل من عند من خلق وهو أعلم بخلقه، شريعة الله الكاملة الخالدة الناظمة للحياة البشرية. ويتضمن هذا المطلب الخصائص الآتية: رباني المصدر. شمولية المنهج. الثبات والمرونة. عالمية الرسالة والهدف. إعلام منضبط ومسئول.

أولاً: رباني المصدر

يتسم الإعلام الإسلامي المقاصدي بأنه رباني المصدر ونعني بهذا؛ أن مصدره وواضع منهجه هو الله سبحانه وتعالى، عن طريق آيات القرآن وسنة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهذا كفيل بتميزه عن غيره من المناهج الإعلامية الوضعية، لأنه تعالى خلق الخلق وهو أعلم بطبائعها، وميولها،

[٣٤٢] المعافري، عبد الملك بن هشام. ٢٠٠١. *السيرة النبوية*. لبنان: مطبعة المكتبة العلمية. ج٢. ص٣١٧.

ومصالحها، ونزعاتها. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٣٤٣]، وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٣٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٣٤٥]. وسرد هذه الآيات لا لدلالة على سعة علم الله وإحاطته بكل شيء؛ وإنما لبيان أن الإعلام المقاصدي الذي يكون مصدره بهذه السعة والإحاطة لهو إعلام في غاية الإتقان والكمال والإحكام، لأن مصدره قد أحاط بكل شيء علما.

فإذا تمت المقارنة بين الإعلام المقاصدي وبين غيره، فهناك فرق شاسع وبون كبير، لأن الفرق بين الخالق والمخلوق. فإن أحكام البشر – على فرض حسن القصد فيها– لا بد وأن يدخلها النقص ولا محالة وذلك من جهة ضعف الإنسان وقصوره، فالإنسان تصدر أحكامه بحسب وقته، وهو عاجز عن إدراك ما يقع بعد ذلك من اختلاف الأزمان والأحوال؛ لكون ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله[٣٤٦]، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[٣٤٧]. هذا بالإضافة إلى أن هناك مؤثرات داخلية وخارجية تؤثر على عقل الإنسان منها؛ الزمان، والمكان، والعمر، والظروف النفسية التي يمر بها، والبيئة الاجتماعية التي تحيط به، وهذا مسلّم به عند كل ذي عقل وفطرة سليمة.

---

[٣٤٣] القرآن. الملك ١٤:٦٧.

[٣٤٤] القرآن. سبأ ٣:٣٤.

[٣٤٥] القرآن. الأنعام ٥٩:٦.

[٣٤٦] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية*. ص٤٢٣.

[٣٤٧] القرآن. النمل ٦٥:٢٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فالمخرجات التي تخرج من الإنسان سواء اكان إعلاماً، أو حكماً، أو منهجاً، أو فعلاً، تكون هذه العوامل مؤثرة به تأثيراً بالغاً، وبالنتيجة ترى هذه المخرجات تكون متناقضة، ومتضاربة، وغالباً تكون ظالمة للمجتمعات التي تطبق عليها، لأنها صدرت من جهة هي محل النقص والقصور وذلك للطبيعة البشرية التي خلقها الله بهذه الحيثية. وهذا الأمر واقعي لا تنظيري، فنرى يومياً التخبط، والتناقض، والظلم الواقع على كثير من البشر بسبب مصدره الوضعي في كافة المجالات؛ في الإعلام، والسياسة، والاقتصاد، والحروب العسكرية، والأحكام، والقوانين الوضعية، فنرى المنهج الإعلامي قبل خمسين سنة لا يصلح الآن، والنظريات الاقتصادية في فترة زمنية تتغير وتثبت فشلها؛ تارةً النظرة الاشتراكية، وتارة النظرة الرأسمالية والنتيجة أن هناك ظلم كبير وفقر كثير في العالم بسبب هذه النظريات الوضعية.

أما في الأمور السياسية فحدث ولا حرج، وكذلك في النظم والأحكام القانونية، وما حال المجتمعات والدول الإسلامية بهذا السوء إلا بسبب سلوك هذه المجتمعات المناهج الوضعية من قبل الشرق والغرب، فتارة جربت النظام الاشتراكي، ومرة النظام الرأسمالي، وأخرى الديمقراطية، فكانت عاقبة أمرها خسراً، وكان أمرهم فرطا، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٣٤٨]. لكن لما يكون الإعلام الإسلامي المقاصدي رباني المصدر ينتج عنه خلوه من التبديل والتحريف، لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ مصدريها منذ عهد النبي عليه الصلاة والسلام وإلى يومنا هذا؛ فهي محفوظة في اصولها وفروعها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣٤٩].

هذا بالإضافة إلى أنها خالية من الخطأ والتعارض، فالانسجام والتوافق وعدم التنافر والاختلاف هي سمة تنبثق من المصدر الإلهي، قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ

---

[٣٤٨] القرآن. المائدة ٥:٥٠.

[٣٤٩] القرآن. ال حجر١٥:٩.

اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[٣٥٠]، فما كان من عند غير الله لابد وأن يقع فيه التناقض والاختلاف، ومفهوم المخالفة أن الذي من عند الله ليس فيه اختلاف أو تناقض. فإذا كانت تلك سمة النصوص فإن الإعلام الإسلامي ومقاصد الشريعة تأخذ سمة خصائص النصوص لأنه لا معنى لتناقض النصوص إلا تناقض مدلولاتها وتعارض مقاصدها، وكون الإعلام والمقاصد منبثقة من نصوص القرآن والسنة لا يلمس فيها تناقض لأنها نزلت من لدن حكيم خبير، وهو بكل شئ عليم، والتناقض إنما يقع من جاهل يقرر أمراً ونقضيه، أو غافل ينسى ما كان قد قرره فيقرر ما يناقضه، أو لتعدد الواضعين واختلاف مقاصدهم ونزعاتهم وتوجهاتهم، فيضع زيد ما يناقض عمرو، ويناقض عمرو ما وضعه زيد، والله لا يشرك في حكمه أحداً، وما كان ربك نسياً[٣٥١].

وبهذا يتبين لنا مدى أهمية المرجعية الربانية في الإعلام الإسلامي المقاصدي، وأن هذه الخاصية ينفرد بها الإعلام الإسلامي عن غيره، فالإعلام الإسلامي يستهدف تصحيح المسارات البشرية، وترسيخ منظومة القيم والأخلاق في المجتمع. وبهذا تتحقق مقاصد هذه الشريعة على البشر؛ من عبادة الله وتوحيده، وإعمار الأرض وفق المنهج الشرعي بما يحقق سعادة العبد في الدارين الدنيا والآخرة، والإعلام الإسلامي جزء رئيسي من هذه المنظومة المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى لأجل تحقيق هذه المقاصد.

ثانياً: شمولية المنهج

أن الله سبحانه وتعالى وضع أسس هذا الدين، ومنهجه، وإعلامه، ومقاصده، ومفاهيمه، لتنظيم حياة البشر مع أنفسهم، وتنظيم حياتهم مع خالقهم، وتنظيم حياتهم مع نظرائهم من البشر والمخلوقات، وهذه المنظومة تجتمع في اصول وفروع، لتنظم العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والأداب

---

[٣٥٠] القرآن. النساء ٤:٨٢.

[٣٥١] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية*. ص٤٤٠.

العامة، والتشريعات الاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، والسياسية، وغيرها.

والإعلام المقاصدي يقع ضمن هذا المنظور، فهو الإعلام الذي يعكس الروح، والمبادئ، والقيم الإسلامية، ويمارس في مجتمع إسلامي، ويتناول كافة المعلومات، والحقائق، والأخبار المتعلقة بكافة نواحي الحياة، ويعالجها من الناحية الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والقانونية، والاجتماعية، والأخلاقية "ويرقى الإعلام إلى مستوى مواكبة هذه القيم وإبرازها لأداء دورها الحضاري في المجتمعات البشرية"[٣٥٢]. ولما كان الإسلام دين عاماً وشاملاً لجميع العالمين؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٥٣]، فكان لابد أن يرتقي إعلامه للشمولية التي يتسم بها الدين الإسلامي. وتتمثل هذه الشمولية في الأمور الآتية:

أ– شمولية القائم بالاتصال، أو المصدر، أو المرسل حسب المفهوم الإعلامي: إن الإطار الإعلامي المقاصدي يتسع ليشمل جميع المسلمين كالقائمين بالاتصال. كل بقدر طاقاته وخبراته وثقافته. وبذلك لم تكن ممارسة الإعلام والدعوة حكراً لاحد، بل إن الدعوة واجب على كل مسلم ومسلمة بحسب علمه، وقدرته، وبذلك يتحول المجتمع الإسلامي إلى قائم بالاتصال، موجهاً رسالته إلى المسلم وإلى غير المسلم.

ب– شمولية الأساليب والوسائل الإعلامية: بما أن القرآن الكريم والسنة المطهرة نقلت لنا تجارب الانبياء والمرسلين واتباعهم، وقد شملت أحوال التكليف والمكلفين، فجميع التجارب الإنسانية في مجال الإعلام والدعوة من لدن آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة مجال خصب للدراسة والاستفادة منه. لأن الفطرة الإنسانية من حيث مقوماتها الاقناعية وأنماطها واحدة، ولذلك استفادت النظرية الإعلامية الإسلامية من خبرات وأساليب جميع الأنبياء والمرسلين في تحديد أسسها ومقوماتها كما تضمنها القرآن الكريم

---

[٣٥٢] حجاب. ٢٠٠٢. *الإعلام الإسلامي*. ص٢٤–ص٢٥.

[٣٥٣] القرآن. سبأ ٣٤:٢٨.

وأوضحتها السنة النبوية[٣٥٤]. ولا زالت أساليب الأنبياء والمرسلين واتباعهم، من الحكمة، واللين، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وضرب الامثال، هي المستخدمة في الوقت الراهن لكن بوسائل حديثة ومعاصرة.

ج– شمولية المنهج: يتسم الإعلام المقاصدي بشمولية المنهج؛ بداية من العقيدة، مروراً بالأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات، والتزكية وفضائل الإعمال وغيرها، وهذا المنهج الشمولي ينضوي تحت المقاصد العليا للشريعة الإسلامية (التوحيد–التزكية–العمران) وتحت المقاصد الكلية (الضروريات–الحاجيات–التحسينيات) من (حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال). فشمولية الإعلام المقاصدي تنطلق من الإطار العام للدين الإسلامي ومقاصده الذي يشمل؛ الإيمان، والعبادات، والمعاملات، والنظام الاقتصادي والاجتماعي، والعادات، والعلاقات الشخصية بين الإنسان وأهله واقربائه وغيرهم، بالإضافة إلى النظام السياسي، والإداري، والقضائي، والدولي، وكل ما يتعلق بالإنسان[٣٥٥]. ويتحتم على هذه الأقسام التوازن، وعدم إهمال جانب على حساب آخر، وهذا التوازن الإعلامي يراعى من خلال توظيف مقاصد الشريعة في الإعلام الإسلامي، وهذه النظرة الشمولية المتوازنة قد روعيت في المنهج الإعلامي الإسلامي المقاصدي. حيث تجد الفرد في مفهوم الإعلام المقاصدي كياناً يتكون من روح، وجسد، وعقل، وقلب، ورغبات، وضوابط. ويحتاج الإنسان إلى الملاءمة والموازنة بين كل هذه المتناقضات حتى يتمكن من الاستقرار. وقد حرص الإعلام الإسلامي على أن يوازن بين مختلف هذه القوى في تناسق وتوازن وذلك من خلال المنهج المقاصدي التي تتسم بها هذه الشريعة الغراء[٣٥٦]. من هذا المنطلق فإن

---

[٣٥٤] حجاب. ٢٠٠٢. *الإعلام الإسلامي*. ص٨٣.

[٣٥٥] المصدر السابق. ص٨٣.

[٣٥٦] المصدر السابق. ص٨٤.

مقاصد الشريعة لم تكن قاصرة على الأمور والقضايا الكبرى دون الأمور الأخرى، بل جاءت بالعناية بدقيق الأمور وجليها، فإلى جانب اهتمامها بالضروريات عنيت بالحاجيات مروراً بالتحسينيات ومكملاتها، فالنظر إلى مبدأ العدل مثلاً راعته الشريعة على أعلى المستويات من الحاكم، والعدل بين الناس، إلى العدل بين الزوجة والأولاد. فلم تهمل الشريعة العدل بين الأولاد في الحب والعطاء، ولم تقصر في إقامته بين الحاكم والمحكوم[٣٥٧].

د– شمولية الوسائل: إن الإعلام الإسلامي المقاصدي لم يحدد وسيلة لنقل رسالته، بل جعل أمر الوسائل عاماً شاملاً لا تتحدد بزمان ولا مكان، ولهذا نرى في السنة النبوية أن النبي عليه الصلاة والسلام استخدم كافة الوسائل المتوفرة في عصره؛ كالرسالة، والشعر، والخطب، وإرسال الرسل وغيرها من الوسائل المتاحة في ذلك الوقت، مما يدل على شمولية الإعلام الإسلامي من ناحية الوسائل.

فكل وسيلة صالحة للإستفادة منها في الإعلام يجب أن تستخدم وبأقصى فعالية ممكنة. ولذلك وجدنا الدعوة في كل عصر تستخدم كافة وسائل الإعلام في عصرها وتحسن الاستفادة من الخصائص الفنية لكل منها. وهذا الإستخدام أمر حتمي وواجب في النظرية الإعلامية الإسلامية[٣٥٨]. وبهذه الخاصية يتميز الإعلام الإسلامي المقاصدي عن غيره من شمولية القائم بالاتصال، إلى شمولية المنهج، والأساليب، والوسائل. وهذه الشمولية تعني استخدام هذه الانماط بأقصى كفاءة واقتدار، وهذا لا يتأتى إلا من تخطيط علمي مدروس، واستثمار كافة الطاقات والوسائل في تحقيق هذا المقصد، وهذه الشمولية أثمرت لنا في الصدر الأول رغم قلة العدد، والوسائل. النجاح الكبير الذي حققته من الصين غرباً وحتى المحيط الاطلسي شرقاً في زمن المئة عام تقريباً.

---

[٣٥٧] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية*. ص٤٣٤.

[٣٥٨] حجاب. ٢٠٠٢. *الإعلام الإسلامي*. ص٨٤.

ثالثاً: الثبات والمرونة

لقد جمع الإعلام المقاصدي في منهجه بين نوعين: نوع ثابت في اسسه، ومبادئه، وغاياته، وأهدافه، لايتغيير ولا يتبدل بتغير الأزمان والأمكنة. ونوع يخضع لظروف الزمان، والمكان، والأحوال، وتغير الأعراف، والعادات، وقدرته على مواكبة مستجدات، والتطورات التي تحدث في المجتمعات البشرية، وهذا النوع هو الذي ينضوي تحت الأحكام والقواعد المقاصدية.

فالثابت الذي لا يعتريه تغيير ولا تبديل مثل الاسس، والمبادئ، والضوابط، كالعقائد، والفرائض، والمحرم، وحتى الأهداف، والغايات، فهذا النوع لا يتطرق إليه تغير ولاتبديل ولا اجتهاد. والنوع الثاني يخضع للاجتهاد والتغيير بحسب المصلحة، والعادات، والزمان، والمكان، وهو ما يقع ضمن المصلحة المعتبرة للناس.

فاختلاف الاعراف والعادات يتبعه اختلاف الحاجات والأغراض والمصالح، فتختلف مناطات الأحكام، واختلاف الأحكام عند اختلاف العادات ليس في الحقيقة باختلاف في أصل الخطاب، لأن الشرع موضوع على أنه دائم أبدي، وإنما معنى الاختلاف أن العادات إذا اختلفت رجعت كل عادة إلى أصل شرعي يحكم به عليها بدليل أن العادة إذا خرجت عن مبادئ الشرع وقواعده لا تعتبر في نظر الشرع[٣٥٩].

والمتغير كثير في الواقع، يقع في العبادات، والمعاملات، والحياة الإجتماعية، والثقافية، مثل أساليب الدعوة ووسائلها، ومراعاة الخطاب لاحوال الناس وواقعهم، وممارسة كافة التطورات والفنون الإعلامية المشروعة لمواكبة التطور البشري لكي يحقق الإعلام المقاصدي غاياته وأهدافه داخل المجتمعات

[٣٥٩] العالم. ١٩٩٤. *المقاصد العامة للشريعة الإسلامية*. ص٤٥.

الإسلامية وخارجها، مما يسمى بهندسة الصوت، والديكور، والإضاءة، والتصوير، والمؤثرات، وتنوع البرامج العلمية، والثقافية، والترفيهية، والاجتماعية، وكل ما له علاقة في إيصال الرسالة المثالية للمستقبل.

وفي وقتنا الراهن نحتاج إلى التوازن الإعلامي الإسلامي المقاصدي، الذي يتوسط بين الجمود على الإعلام الذي يركز على الاسس والثوابت دون المرونة لمراعاة المصالح، وبالتالي يفقد روحه وتفاعله مع المستقبلين. أو الإعلام الذي يكون متساهلاً في منهجه، وذاته، واساليبه، ومضامينه، دون مراعاة للثوابت والاسس الشرعية، وبالتالي يخرجه من الإطار الشرعي الديني، بحجة مواكبة العصر، وأن الدين فيه اتساع، أو حصر الشريعة في العبادات والمساجد دون الإعلام والدعوة. وهذا نراه جلياً من خلال الاختلاط وإظهار الزينة والمفاتن على شاشات التلفاز، وكذلك المبالغة في الوسيقى والغناء وإطلاق عليها مصطلح الفن الإسلامي، ومداهنة إعداء الدين والفرق والمذاهب المنحرفة بحجة التقريب بين الأديان، أو حوار الأديان.

وبالنتيجة يأتي الإعلام الإسلامي المقاصدي ليتوسط بين الجمود والتساهل، من خلال المنهج المقاصدي الذي يجمع بين الثبات والمرونة، ويستوعب كل ما استحدث من وقائع، وما تغير من زمان، وما تبدل من مكان، وبذلك يجمع بين الثبات في اسسه، وأهدافه، وغاياته، وبين المرونة في الوسائل، والاساليب، والفنون التي تسعى لايصال الرسالة الإعلامية الإسلامية للمستقبل بأجمل صورة، وأقوى تأثير، لتحقيق الهدف السامي من وظيفة الإعلام الإسلامي المقاصدي.

رابعاً: عالمية الرسالة

إن الدين الإسلامي رسالة عالمية موجهة إلى جميع الناس لاتختص بطائفة معينة، ولا بزمن معين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾[٣٦٠]، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٣٦١]، فإعلامه، ومقاصده، وخصائصه، تتفرع من عموم رسالته. فالإعلام المقاصدي إعلام عالمي لجميع الناس على اختلاف أديانهم، وأوطانهم، واجناسهم، ولغاتهم، وتنوع حضاراتهم، لأنه ينطلق من عالمية الإسلام ودعوته، وتقيد الإعلام الإسلامي بالمقاصد يكتسب صفة العالمية، وذلك لأن القواعد المقاصدية مهمتها المحافظة على مصالح الناس في كل زمان ومكان.

يقول عبد الكريم زيدان رحمه الله: إن عموم الشريعة، وقواعدها، وأحكامها، ومبادئها، وجميع ما جاءت به تحقق مصالح الناس في كل عصر ومكان، ويفي بحاجاتهم، ولا يضيق عليهم، ولا يتخلف عن أي مستوى عال يبلغه المجتمع البشري، لأن الله وهو العليم الخبير إذ جعلها عامة في المكان والزمان، وخاتمة لجميع الشرائع، جعل قواعدها وأحكامها صالحة لكل زمان ومكان، ومهيأة للبقاء والاستمرار على هذه العموم[٣٦٢].

فالإعلام المقاصدي إعلام منفتح فكرياً وحضارياً، هو إعلام للناس كافة، بشيراً ونذيراً، ينتسب إلى رسالة عالمية، لا يعيش رهبانية منعزلة، ولا طبقية مثالية، وإنما يلامس واقع الناس على اختلاف طبقاتهم، ومستوياتهم، ليحقق لهم سعادة الدارين الدنيا والآخرة.

---

[٣٦٠] القرآن. سبأ ٢٨:٣٤.

[٣٦١] القرآن. الأعراف ١٥٨:٧.

[٣٦٢] زيدان. ١٩٧٦. *اصول الدعوة*. ص٥٥.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ويركز على هذا الجانب مُحَمَّد يسري إبراهيم بقوله: والإعلام الإسلامي إعلام واقعي يسدد ويقارب، ويقوم على كليات الشريعة الكبرى في تحقيق المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها، من غير انحراف عن منهج الأنبياء، ولاتفريط في الاستقامة والربانية[٣٦٣].

والذي يتمعّن بأحكام الشريعة، وقواعدها، واصولها، ومقاصدها، يظهر له بوضوح أن هذه الشريعة وما يتفرع عنها من أنماط؛ والإعلام منها، يجد فيها كل مقومات البقاء الزماني والمكاني، وأنها صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان. وهذه المصادر كلها تجعل الشريعة في غاية القدرة والاستعداد والأهلية للبقاء والعموم، بحيث لا يحدث شيء جديد إلا وللشريعة حكم فيه، وبالتالي لا تضيق الشريعة بالوقائع الجديدة، ولا تضيق بحاجات الناس ومصالحهم[٣٦٤].

خامساً: أعلام منضبط ومسئول

أ– إعلام منضبط: إن من السمات التي يتميز بها الإعلام المقاصدي أنه إعلام منضبط بضوابط الشريعة، فليس الأمر مفتوحاً على مصراعيه أمام الإعلامي ليقول ماشاء، ويبث ويرسل رسائله كيف يشاء، حسب توجهاته، أو توجهات المؤسسة، أو حتى رغبات الجمهور. ولا أن الأمر مغلق ومقيد أمامه لا يستطيع بث رسائله ومضامينه إلى المستقبلين. بل إن هذه المضامين والرسائل الإعلامية تخضع لمجمل من الضوابط تراعي حالة المرسل، والرسالة، والمستقبل، وهذه الضوابط تتفرع من كليات ومقاصد الشريعة لتحقق مصالح المستقبلين في الدنيا والآخرة.

---

[٣٦٣] إبراهيم، مُحَمَّد يسري. ٢٠١١. مقال: *مقدمة في الإعلام الإسلامي خصائصه ووظائفه*. موقع شبكة الألوكة: http://www.alukah.net/culture/٠/٢٩٢٠٥

[٣٦٤] زيدان. ١٩٧٦. *اصول الدعوة*. ص٦٥.

ولذلك بين الله سبحانه وتعالى الكثير من الضوابط والتي ساذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر ومن هذه الضوابط العامة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٣٦٥].

ورتب الله العقاب الشديد على من يتعدى على هذه الضوابط قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣٦٦]. ولهذا فأن للمرسل ضوابطه الشرعية، وللرسالة ضوابطها الشرعية، وكذلك للوسيلة ضوابطها الشرعية كما نوقشت سلفاً، وللمستقبلين ضوابطهم الشرعية. وتجمع هذه الضوابط بين النصوص الشرعية والمستجدات المعاصرة، منطلقة من مقاصد الشريعة الإسلامية، وهذا الموضوع سيناقش بالتفصيل في المبحث القادم بإذن الله: (ضوابط الإعلام الإسلامي وفق المنظور المقاصدي).

ب– إعلام مسئول: من الخصائص التي يتميز بها الإعلام المقاصدي بأنه إعلام مسئول، ويتحدد مفهوم المسؤولية بأن يتحمل كافة التبعات الصادرة منه في الدنيا والآخرة. فهناك قوانين وضوابط لمهنة الإعلام بصفة عامة، والقوانين الوضعية تحاسب من يتعدى على شخصية أو يسيئ إلى جماعة أو حزب أو شعب، أو من يتعدى على الحريات الشخصية، أو يسيئ إلى الرموز والديانات السماوية، أو يبث أخبار كاذبة أو ملفقة، وغير ذلك من العقوبات التي تطال من يسيئ استخدام مهنة الإعلام، ولكن في الغالب لا تحقق هذه الضوابط والعقوبات على أرض الواقع، وقد يخرج المسيئ من هذه العقوبات بيسر وسهولة.

بالإمس القريب سمعنا تطبيل الإعلام الغربي بأن العراق يمتلك أسحلةً محرمةً دولياً، وقامت هذه

---

[٣٦٥] القرآن. الحجرات ١١:٤٩.

[٣٦٦] القرآن. النور ١٩:٢٤.

الوسائل بإقناع كافة الدول للمساهمة على حرب العراق، وبدأت الحرب وقتل من قتل، وشرد من شرد، ودمر بلد بأكمله، وأعترف اصحاب الحرب أن العراق لا يمتلك أي اسلحة محرمة دولياً، هل عوقب الإعلام على بثه الأخبار والتقارير الكاذبة التي سببت بتدمير بلد كامل؟ بالطبع الجواب لا، والواقع يشهد بالكثير من الجرائم الإعلامية بحق الشعوب. وكذلك وصف المقاومين في فلسطين بالإرهاب، وتصوير الجندي الاسرائيلي بالمقاوم والمدافع عن وطنه الذي اغتصبه من غيره، أو الصاق الإرهاب بالإسلام، وغير ذلك من الزيف وتشويه الحقائق لا تتم محاسبة هذه المؤسسات، ولا تخضع هذه المؤسسات لضوابط مهنة الإعلام الوضعية. لكن بالمقارنة مع الإعلام الإسلامي المقاصدي هناك عقوبات دنيوية يقتص من الجاني سواء كان إعلامياً أو مؤسسة ولا يسلم منها أحد مهما كان منصبه.

بالإضافة إلى العقوبات الآخروية فالذي يشيع الفاحشة كما ذكر تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣٦٧]. وقوله عليه الصلاة والسلام: "المسلمُ مَن سلم المسلمون من لسانه ويده"[٣٦٨]، فبين عليه الصلاة والسلام أن المسلم المتصف بأخلاق الإسلام هو الذي يسلم منه إخوانه من لسانه ويده. فالذي لا يسلم منه المسلمون من لسانه ويده لا يتصف بصفة الإسلام.

وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "إنَّ العبد يتكلَّم بِالكلمة مَا يَتبيَّن فيها يَزِل بها إلى النَّار أبعد مما بين المشرق والمغرب"[٣٦٩]. فذكر عليه الصلاة والسلام أن الشخص قد يتكلم بالكلمة ما يتبين ومعنى ما يتبين (أي ما يفكر بتوابع ومآلات هذه الكلمة) فيدخل النار.

---

[٣٦٧] القرآن. النور ١٩:٢٤.

[٣٦٨] البخاري. ١٩٨٧. *صحيح البخاري*. كتاب الايمان. باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. ج١. ص١١. # ١٠.

[٣٦٩] المصدر السابق. كتاب الرقائق. باب حفظ اللسان. ج٥. ص٢٣٧٧. # ٦١١٢.

وبالجمع بين العقوبات الدنيوية والآخروية يخلق لدى الإعلامي المسلم الوازع الداخلي: "الضمير والنية" والتي بدورها تؤثر على المضامين المرسلة من قبل الإعلامي المسلم، الذي يستشعر رقابة الله في كل أمره، وخطر العقوبة الآخروية المترتب على إساءة استخدام مهنة الإعلام، وبهذا يتميز الإعلام الإسلامي المقاصدي عن غيره من الإعلام المنافس. وتعتبر النية والضمير من أهم مقومات النظرة الإعلامية الإسلامية فلقد نجحت في تحويل القيم والأنماط الإسلامية إلى وازع داخلي وجعلته هاتفاً للخير ومروضاً للغرائز حتى يغالب جانب الشر الذي لا تكاد نفس بشرية تخلو منه، وهذا الوازع الداخلي هو الذي يذكرنا بوجود الله ويشعرنا بقربه فهو أقرب إلينا من حبل الوريد[٣٧٠].

وبذلك يرتقي الإنسان لمقام المحاسبة الذي يحاسب نفسه في كل صغيرة وكبيرة، ويراجع نيته في كل عمل، للوصول إلى المنهج الرباني في ممارسة العمل الإعلامي الذي يندرج تحت الحديث النبوي والذي اعتبر قاعدة المقاصدية فعن عبادة بن الصامت، أن رسول الله قضى: "أن لا ضرر ولا ضرار"[٣٧١].وهكذا يصبح ضمير الإعلامي المسلم دافعاً له على قول الحق مهما كانت الإغراءات المالية أو السياسية أو الضغوط الاجتماعية، فرقابة الضمير هي أحد أسباب نجاح مهنة الإعلام، فيما اخفقت جميع صنوف الرقابة الإدارية والمجالس الإعلامية ولجان تقصي الحقائق. فقيم الإسلام النابعة من الإيمان بالله وما يتعلق بهذا الإيمان من الجزاء هي أقوى دعامات التي ينبني عليها الإعلام الإسلامي المقاصدي[٣٧٢].

---

[٣٧٠] حجاب. ٢٠٠٢. *الإعلام الإسلامي*. ص٤٢.

[٣٧١] الألباني، محمد ناصر الدين. د ت. *صحيح وضعيف سنن ابن ماجة*. مصر: مركز نور الإسلام. صحيح. ج٥. ص٣٤٠. #٢٣٤٠.

[٣٧٢] إبراهيم إمام. ١٩٨٥. *اصول الإعلام الإسلامي*. دار الفكر العربي: مصر. ص٤٧-٤٨.

٢. ٤. ٤ أهداف الإعلام الإسلامي وفق المنظور المقاصدي

يعالج هذا المطلب تحديد أهداف الإعلام الإسلامي وفق مقاصد الشريعة الإسلامية من خلال؛ نقل المفاهيم الإسلامية والدعوة إليها وفق البعد المقاصدي للشريعة الغراء. والذي يتمثل في عقائده الراسخة، ومبادئه السمحة، وقيمه الاصيلة، وغاياته العظيمة، وصلاحيته للزمان والمكان، بطريقة علمية وعملية وفنية، ليكون منهاج حياة وغاية لكل مسلم فرداً وجماعة؛ في عباداته ومعاملاته وعاداته وغاياته. وتتم معالجة هذا المطلب من خلال الأهداف الآتية: الأهداف العقائدية، الأهداف الاجتماعية، الأهداف الاقتصادية، الأهداف السياسية، والأهداف الثقافية.

أولاً: الأهداف العقائدية

أن من أهم الأهداف التي يتبناها الإعلام الإسلامي المقاصدي هي هدف (التوحيد والعقيدة) وهي الغاية السامية التي من أجلها خلق الإنس والجن قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣٧٣]، فالغاية هي تحقيق العبودية لله، وإفراده بالتوحيد، والدعوة إلى هذه العقيدة لكافة البشر، وكشف زيف المعبودين بغير الحق بالحجج والبراهين، وعرضها بطريقة علمية وفنية تراعي الأساليب المقاصدية الدعوية المذكورة في كتاب الله؛ من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والقول بالتي هي أحسن.

يقول الدليمي: يسعى الإعلام الإسلامي إلى نشر عقيدة التوحيد كما يتبنى الدعوة إلى العبودية الخالصة لله وحده دون سواه، ونبذ كل مظاهر الشرك وكشف الطواغيت وتحرير العقيدة من مفتريات أعداء الإسلام وما علق بها من مخالفات وكشف العقائد الباطلة والضالة، فكل الإعلام دعوة[٣٧٤].

---

[٣٧٣] القرآن. الذاريات ١٩:٥١.

[٣٧٤] الدليمي. ٢٠١٢. *الإعلام الإسلامي*. ص١٣١.

ومن هذا المنطلق يجب على مؤسسات الإعلام الإسلامي الإهتمام بالأهداف العقائدية لأهميتها البالغة، ولأنها أصل والأهداف الأخرى متفرعة عنها، لأن تعبيد هذا الإنسان لخالقه وموجده ورازقه هي السبب من بعثة الرسل، وإنزال الكتب، وقيام سوق الجنة والنار، وهي دعوة جميع الرسل كما ذكر تعالى على لسان دعوتهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٣٧٥].

وعلى هذا الأصل عدَّ علماء المقاصد أن مقصد التوحيد هو أعلى المقاصد واسماها، وهو أصل والباقي تفرع عنه. يقول اليوبي: إن من أهم هذه المقاصد؛ المحافظة على الدين، بل هو لب المقاصد كلها وروحها، وأسها وجذرها، وما عداه فهو متفرع عنه محتاج إليه، احتياج الفرع إلى أصله، لا يستقيم إلا به، ولا يؤدي ثمرته ويؤتي أكله إلا بتغذيته، ولا يمكن أن يكون هذا المقصد معرضاً للضياع، والتحريف، والتبديل، لأن في ذلك ضياعاً للمقاصد الأخرى، وخراباً للدنيا بأسرها[٣٧٦].

علاوة على ذلك المتتبع لحال الأنبياء والرسل وكيف كانت قضية التوحيد والعقيدة هي الاساس في حياتهم ومماتهم، وركيزة في سائر أمورهم. فهذا نبي الله عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام كانت أول مهمّة إعلامية يقوم بها وهو رضيع في مقر مهده، والناس يشيرون إليه ويخاطبون أمه مريم العذراء عليها السلام ما هذا؟ لقد جئت شيئاً فريا!! فنطق الطفل الرضيع بالقضية الأساسية: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[٣٧٧]، قضية التوحيد والعبودية لله تعالى.

ونبي الله يعقوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام على فراش الموت وفي حالة الاحتضار وفي آخر مهمّة إعلامية ودعوية يقوم بها يجعلها لقضية التوحيد والعقيدة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ

---

[٣٧٥] القرآن. الأعراف٧:٥٩.

[٣٧٦] اليوبي. ١٤١٨. *مقاصد الشريعة*. ص١٩٢– ١٩٣.

[٣٧٧] القرآن. مريم ١٩:٣٠.

يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾[٣٧٨]، ما تعبدون من بعدي؟ قضية العبادة والتوحيد أساسية وركيزة مهمة في حياة البشر. حتى جاءت الآيات لتحدد المقصد في الحياة الدنيا:﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣٧٩].

ومن هنا تظهر الحاجة الملحة للتركيز على هذا الهدف الإعلامي المقاصدي. وأن تجعل المؤسسات الإعلامية الإسلامية ورجل الإعلام المسلم سلم الأولوية لهذا الهدف السامي، والتركيز عليه، ودعوة الناس إليه. ولأن الأنبياء والرسل هم القدوة والأسوة في الدعوة والتبليغ؛ كان مقصد التوحيد وقضية العقيدة هي الاصل والاساس في دعوتهم. والمتتبع للآيات القرآنية والمرحلة الإعلامية والدعوية في العهد المكي كانت مركزة حول العقيدة والتوحيد، وغالب الأحكام الشرعية من العبادات والمعاملات إنما فرضت في العهد المدني بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة مما يدل على أهمية التوحيد وقضية العقيدة.

بالإضافة إلى الدعوة لما يتفرع من هذا الهدف؛ من تحقيق أركان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والإيمان بالقدر خيره وشره، والعمل بمقتضى "لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله" في إفراد العبودية لله تعالى، وعدم الشرك به، وإقامة الفرائض، واجتناب ماحرم الله تعالى، واتباع سنة وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم، ومحبة أصحاب النبي وال بيته والترضي عنهم، وموالاة المسلمين، والبراء من الكافرين، وأن أساس التفاضل بين المسلمين هو بالتقوى فقط: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣٨٠]، وكل ما يتعلق بعقيدة التوحيد وما ينضوى تحت هذا الهدف. ويتحتم على رجل الإعلام المسلم والمؤسسة الإعلامية عرض مقصد التوحيد والعقيدة وإيصالها للناس بطرق فنية وعلمية مدروسة، مثل عرض قضية التوحيد عن

---

[٣٧٨] القرآن. البقرة ١٣٣:٢.

[٣٧٩] القرآن. الأنعام ١٦٢:٦.

[٣٨٠] القرآن. الحجرات ١٣:٤٩.

طريق الاعجاز العلمي في القرآن والسنة، مع المصاحبة للصوت والصورة والمؤثرات الصوتية، وعرضها مع الحقائق العلمية المكتشفة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونقلها بلغات متعددة لتستهدف أكبر عدد من الناس، كما تراعى جميع الأمور الفنية التي من شأنها أن تكون أبلغ في إيصال هذا الهدف، وهذا ينضوي تحت القاعدة المقاصدية: "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

ثانياً: الأهداف الاجتماعية

إن من شمولية الإسلام المقاصدية التي اختارها الله تعالى صبغة للمؤمنين؛ هي في النظام الاجتماعي الذي فيه من جوانب العظمة، والرحمة، واليسر، والمودة والكثير من المزايا ما لا يمكن حصره في هذا المجال. لكن سنقف على أهم الجوانب التي يتميز بها النظام الاجتماعي في الإسلام، لنقف على أهم الأهداف الاجتماعية التي يسعى الإعلام المقاصدي إلى تحقيقها.

لقد جاءت العناية الربانية، والتوجيهات الإلهية لكل الجوانب الاجتماعية في النظام الإسلامي. فجاء الاهتمام بالفرد، والأسرة، والجماعة، والمجتمع، والأمة. ولهذا قد سمع الله عز وجل مجادلة إمراة في مشكلة عائلية خاصة، وسطرت قضيتها في كتاب الله، وسميت السورة باسم (المجادلة)، ووضع الحلول لها، والزجر عن هذا الفعل، إلى غير ذلك من التفاصيل التي عنيت بها هذه القضية.

فإذا كانت قضية إمراة في مشكلة خاصة اخذت هذه العناية والرعاية، فكيف بحال المجتمع والأمة. إن النظام الاجتماعي المقاصدي في الإسلام هو نظام تعبدي يثاب العبد عليه أو يعاقب عليه، تتم فيه الاعمال استجابة لأمر الله تعالى، وتكون المبادرة إلى الخير والإحسان لوجه الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا

نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا﴾[٣٨١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣٨٢]. فكل شيء ما بين الحياة والموت لله رب العالمين.

علاوة على ذلك أن النظام الاجتماعي في الإسلام نظام متوازن. تتوازن فيه حقوق المرأة والرجل، والفرد، والجماعة، والمجتمع، والأمة. وتتوازن فيه متطلبات المرء العبادية، والعقلية، والعاطفية، والروحية، والجسدية، فلا يطغى جانب على حساب آخر، ولا يسحق الفرد على حساب الجماعة، ولا تضيع الجماعة على حساب الفرد. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخرة وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٣٨٥]، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وبهذا ينبغي على الإعلام الإسلامي أن يراعي المقاصد الاجتماعية في النظام الإسلامي، والذي يتمثل في نظام الاسرة بتحقيق السكن القائم على المودة والرحمة، وهذه الصفتين هي التي تنمي مكارم الأخلاق في الاسرة، وتهيئ المحضن الصالح للأجيال القادمة التي هي أساس المجتمعات. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣٨٦]، وهذا السكن عام يشمل سكن الروح، والجسد، والعاطفة. وهذا السكن لا يتحقق

---

[٣٨١] القرآن. الإنسان ٧٦:٩.

[٣٨٢] القرآن. الأنعام ٦:١٦٢.

[٣٨٣] القرآن. الحجرات ٤٩:١٣.

[٣٨٤] القرآن. القصص ٢٨:٧٧.

[٣٨٥] القرآن. البقرة ٢:٢٢٨.

[٣٨٦] القرآن. الروم ٣٠:٢١.

بالعلاقات الغير مشروعة، الممزوجة دائماً بالخوف، وعدم الاستقرار، وعدم الشعور بالراحة والسعادة، والتي هي خارج النظام الاجتماعي الإسلامي.

كما يتحقق على الإعلام الإسلامي الاهتمام بالأخوة الإسلامية في النظام الاجتماعي الإسلامي القائمة على الدعوة، والعدل، والنصرة، والنصيحة، والمحبة، والموالاة، وعدم الخذلان، والكف عن الظلم وغير ذلك من مقاصد الأخوة الإسلامية. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣٨٧]. وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣٨٨].

كما يجب الاهتمام بمبدأ التكافل الاجتماعي؛ من تكافل بين الفرد والاسرة، وبين الاسرة والاسرة، وبين الاسرة والمجتمع، وتكافل بين الشعوب والامم، وهدف التكافل هو التعاون، والتكاتف، وتقوية العلاقات، بين جميع أفراد المجتمع. وهذا كله يصب في مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، والمجتمع حريص على مصلحة أفراده، وكلهم في سفينة واحدة تسير وفق منهج الله تعالى الذي ارتضاه للناس جميعاً.

ومظاهر التكافل الاجتماعي كثيرة في المنهج الإسلامي منها: مصارف الزكاة الثمانية، والصدقات التطوعية، والوقف الإسلامي، والنفقة الواجبة على الوالدين والزوجة والأبناء، ومساعدة ذوي القربى، ورعاية الجار، وإكرام الضيف، بالإضافة إلى مساعدة الناس الآخرين وإن كانوا غير مسلمين. هذا كله يتحتم على الإعلام الإسلامي أن يجعله في سلم الأولويات للمضامين المرسلة إلى المستقبلين. كما

---

[٣٨٧] القرآن. الحجرات ١٩:٤٩.

[٣٨٨] القرآن. التوبة ٧١:٩.

يهدف النظام الاجتماعي في الإسلام إلى التعارف بين الشعوب، وتبادل الأمور النافعة، والتعاون على البر والخير، وتبادل أنواع المعرفة التي تصب في مصلحة الناس بما يحقق مصالحهم الدنيوية وحتى الآخروية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣٨٩]، وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٣٩٠].

وبهذا تتحقق المعرفة برقي المقاصد الاجتماعية في النظام الإسلامي، ودورها في ترسيخ منظومة القيم والأخلاق في المجتمع، والمطلوب أن تتحمل مؤسسات الإعلام الإسلامي تبني هذه الأهداف، والاهتمام بها، وجعلها على سلم الأولويات بعد الأهداف العقائدية، وغرسها في المجتمعات الإسلامية؛ حتى تؤتي أكلها كل حين بإذن الله تعالى.

رابعاً: الأهداف الاقتصادية

إن من المقاصد الضرورية التي جاءت بها الشريعة هي مقصد (حفظ المال) وتتسم الشريعة الإسلامية بالشمول لجوانب الحياة كافة. فلم تترك جانباً من جوانب الحياة إلا وتولته بالرعاية والعناية الكبيرة. وإن من أهم الأمور التي أولتها الشريعة عناية كبيرة هي الجانب المتعلق بالنظام المالي أو النظام الاقتصادي وما ذاك إلا للأهمية الكبيرة التي يشغلها المال في كل زمان ومكان.

ويقوم مبدأ النظام المالي الإسلامي على الموازنة بين حق الأفراد في العمل والتملك، ومساعدة الفقراء بالنهوض من واقعهم إلى حد الكفاية، والرخاء، والكرامة الإنسانية التي يتصفون بها، وذلك من خلال أساليب ووسائل متنوعة.

---

[٣٨٩] القرآن. الحجرات ٤٩:١٣.

[٣٩٠] القرآن. الممتحنة ٦٠:٨.

إن النظام المالي الإسلامي يرى المشكلة ليس في الفقراء، أو قلة الموارد، كما ذهب الاقتصاد الرأسمالي. كما أنه ليس سببها هم الأغنياء أو التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع، كما ذهب الاقتصاد الاشتراكي. وإنما هي:

أ- مشكلة القصور في استغلال الموارد الطبيعية لا لقلة هذه الموارد، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٣٩١].

ب- مشكلة أثرة الأغنياء وسوء التوزيع لا الملكية الخاصة ذاتها، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاء اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٣٩٢]. وقد أثر عن سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قوله: "ما جاع فقير إلا بما شبع غني"[٣٩٣]، وعن السلف الصالح "ما من سرف إلا وبجواره حق مضيع"[٣٩٤].

بذلك يتوجب على الإعلام الإسلامي أن يركز على هذا المقصد، وخاصة في العصر الراهن. لأن الاقتصاد أصبح يدخل في مفهوم الحرب الشاملة. والتي تتمثل أي: -الحرب الشاملة- في الإعلام، والقوة العسكرية، والقوة الاقتصادية. فهذه المقومات الثلاثة أصبحت أساسيات الدول المتقدمة، وشغلها الشاغل في التنافس على التقدم في هذه المجالات.

إن الاقتصاد الإسلامي في الدول العربية والإسلامية قطع شوطاً كبيراً في التقدم وهذا يحسب له من باب الانصاف. والذي نراه جلياً في البنوك الإسلامية، والتعاملات التجارية المنضبطة بضوابط

---

[٣٩١] القرآن. إبراهيم ١٤:٣١.

[٣٩٢] القرآن. يس ٣٦:٤٧.

[٣٩٣] الشريف الرضي. دت. *نهج البلاغة*. لبنان: دار المعرفة. ج٣. ص١٠١.

[٣٩٤] ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد. ١٩٤٠. *العقد الفريد*. مصر: الناشر لجنة التأليف والترجمة والنشر. ج٢. ص١٥٦.

الشريعة الإسلامية، وأقرب مثال على ذلك هي ماليزيا وما تحويه من التقدم الاقتصادي في البنوك، والتعاملات التجارية وفق المنظور الإسلامي، إلا أن تغطية الإعلام الإسلامي للتقدم الاقتصادي الإسلامي لم تصل للمستوى المطلوب. بالإضافة إلى تغطية بعض النشاطات الاقتصادية تطرحها مؤسسات الإعلام الإسلامي على أنها تختص فقط برجال الاقتصاد والمال على الرغم من قلة هذه التغطية، وأن هذا الأمر لا يعني عوام المسلمين. ونتيجة لقلة الاهتمام بمقصد المال على الصعيد الإعلامي أصبح لدينا جهل وأمية في التعاملات المالية والتجارية. فغالبية التجار، وممن يعملون في السوق، أو في التعاملات التجارية يجهلون فقه المعاملات وتفرعاته. بل إن كثيراً من التجار قد لا يحسن إخراج قيمة الزكاة سواء من عروض التجارة، أو من الأسهم، أو من زراعة الأرض وغيرها.

نتيجة لذلك يتحتم على مؤسسات الإعلام الإسلامي أن تعيد النظر والمراجعة في الاهتمام بهذا المقصد، وأن تعمل على خطط استراتيجية تضع مقصد (المال) ضمن على سلم الاولويات للمؤسسة، وتضع البرامج التي تستهدف رجال الأعمال، ورجال المال، والعوام وتبصيرهم بأهمية هذا المقصد. كل حسب علمه، ومستوى فهمه، ومجال عمله، واختصاصه.

فرجال الأعمال والمال والتجار والعوام يبصرون بفقه المعاملات مثل مسائل البيع، والشراء، والمضاربة، والمرابحة، وعقد السلم، والحوالة، ويبصرون بالبيوع والتعاملات المحرمة ليجتنبوا الوقوع فيها، بالإضافة إلى تفاصيل قيمة الزكاة ووقت إخراجها، بالإضافة إلى دعمهم بالبحوث والنظريات الاقتصادية الإسلامية المعاصرة التي تنفعهم في مجالهم واقتصادهم.

إن عمارة الأرض، والسعي لتحصيل الرزق، وأن تكون يد المسلم العليا هي من المقاصد التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، وبذلك يجب أن تتبنى مؤسسات الإعلام الإسلامي هذه المقاصد

لترسيخها في المجتمعات.

إن كل إنسان مطالب في الشريعة الإسلامية أن يعمل. مأمور أن يسعي لتحصيل رزقه في أرض الله الواسعة. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[٣٩٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣٩٦].

فالإنسان مأمور بالسعي لتحصيل قوته وقوت من يعول. والعمل هو الجهد الذي يبذل لتحصيل رزق، أو إنتاج سلعة، أو توفير خدمة مقابل منفعة، والإسلام فتح هذا الباب على مصراعيه لتحصيل المنافع. "وهذا العمل هو السلاح الأول لمحاربة الفقر، وهو السبب الأول في جلب الثروة، وهو العنصر الأول في عمارة الأرض التي استخلف الله فيها الإنسان وأمره أن يعمرها"[٣٩٧]، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[٣٩٨].

بل إن الإسلام حض على العمل وجعل اليد العليا خير من اليد السفلى، وحارب كافة البواعث التي تدعو إلى ترك العمل من التواكل، وعدم الأخذ بالأسباب، وغيرها من موانع العمل. وقد روي أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى قوماً قابعين في المسجد، بدعوى التوكل على الله فعلاهم بدرته، وقال كلمته المشهورة: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وإن الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ

---

[٣٩٥] القرآن. الملك ٦٧:١٥.

[٣٩٦] القرآن. الجمعة ٦٢:١٠.

[٣٩٧] القرضاوي، يوسف. ١٩٨٥. *مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام*. لبنان: مؤسسة الرسالة. ص٣٩.

[٣٩٨] القرآن. هود ١١:٦١.

كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣٩٩]، [٤٠٠]. والأدلة في هذا المجال كثيرة ومتوافرة لا يسع المجال لذكرها.

كما يجب على الإعلام الإسلامي أن يتنوع في عرض تفاصيل مقصد (المال) ومتعلقاته؛ فتارة يركز على مصارف الزكاة، وتارة على مبدأ التكافل الاجتماعي، وتارة على الحض على العمل وزيادة الإنتاج، وتارة على الاقتصاد وترك السرف، وتارة على عدم استئثار أقلية بخيرات ومقدرات البلد، وتارة يشجع الاغنياء على فتح المشاريع لكي تستوعب العاطلين على العمل، بالإضافة على تشجيع الاستثمارات في البلدان الإسلامية، وغير ذلك من الأنواع التي تصب في مصلحة مقصد (المال).

رابعاً: الأهداف السياسية

إن من الأمور المهمة التي أولتها الشريعة اهتماماً بالغاً، وعناية كبيرةً هي سياسة الدنيا بالدين، وللشمولية التي تتمتع بها الشريعة الإسلامية فلم تهمل الأمور السياسية على حساب الجوانب الأخرى، بل وردت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وسير الخلفاء الراشدين، واجتهادات الفقهاء والعلماء السابقين والمعاصرين لتحدد المنهجية السياسية المبنية على الرؤية المقاصدية وذلك الصعيدين الداخلي والخارجي في إطار الدولة الإسلامية.

إن التقدم الهائل الذي طرأ على وسائل الاتصال المعاصرة؛ جعلها ذات تأثير كبير في المجال السياسي. فالخبر، والمواقف، والأحداث السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، أصبحت تنتقل بالسرعة الفائقة لتؤثر في المجال السياسي سلباً أو إيجاباً. ولا يخفى على كل ذي لب أهمية ودور الإعلام وتأثيره سلباً أو إيجاباً في المجال السياسي في غالبية الدول إن لم نقل في كل دول العالم. وتسعى الأنظمة الحاكمة في العالم إلى استثمار وسائل الإعلام والاتصال لتحقيق أهدافها الاستراتيجية على الصعيد الداخلي

---

[٣٩٩] المصدر السابق. ص٤٢.

[٤٠٠] القرآن. الجمعة ١٠:٦٢.

والخارجي، وفي حالتي السلم والحرب. وقد أصبح الإعلام عنصراً أساسياً لمقومات الدولة المتقدمة، وعنصراً مهمّاً في أداء وتقييم الأنظمة الحاكمة على اختلاف توجهاتها.

إن المجال السياسي في الشريعة الإسلامية ركن أصيل فيها، ولا يمكن فصل نظام العبادات، عن نظام المعاملات، عن المنظومة السياسية في الشريعة الإسلامية؛ لأن الاستقرار السياسي مرتبط بالاستقرار الديني، والاجتماعي، والاقتصادي. وقد فهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم اجمعين أهمية الاستقرار السياسي وذلك بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام وقبل دفنه تمت مبايعة أبو بكر الصديق ﷺ وذلك لأهمية الاستقرار السياسي في المجتمع الإسلامي، وكذلك عهد أبو بكر الصديق ﷺ للخلافة من بعده لعمر بن الخطاب ﷺ، وكذلك عهد عمر بن الخطاب ضي الله عنه لستة من أصحاب النبي للخلافة من بعده لهو من أكبر الدلائل على أهمية المجال السياسي في الشريعة الإسلامية.

وبهذا ينبغي على الإعلام الإسلامي أن يراعي المجال السياسي ولا يهمله على حساب الجوانب الأخرى. وألا يترك هذا المجال للمؤسسات الإعلامية الغربية أو التابعة لها. ومما نلاحظه في العصر الراهن من أن غالبية الأحداث السياسية تستقى من الوكالات العالمية الغربية، وهذه الوكالات لديها سياساتها في توظيف الحدث بما يلائم مصلحة هذه الوكالات والتي غالباً ما تكون ضد مصلحة الدول الإسلامية، أو تكون سبباً في حجب احداث تصب في مصلحة الدول الإسلامية أو الدول الفقيرة، وقد تكون سبباً لنشر قضية والاهتمام بها تكون ضد الدول الإسلامية وقضاياها.

وبالتالي أصبحت الدول الإسلامية تابعة لهذه الوكالات وسياساتها، فالمقاوم للمحتل والغازي يوصف بالإرهابي كما في فلسطين والعراق، والغازي والمغتصب يوصف بأجمل العبارات والطفها، وإذا تعرض شعب كامل للإبادة والقتل والتهجير والسرقة من قبل الغرب كان المبرر القضاء على الإرهاب، أما إرهاب اسرائيل وامريكا فيمكن تسميته الدفاع عن الأمن القومي أو السلم العالمي.

أو نشر أي خبر يسيء إلى الإسلام ومقدساته والمسلمين، بينما تحجب الأخبار المشرقة لأي شيء يتعلق بالإسلام ومقدساته، والأمثلة في هذا المجال كثيرة. وبهذا يتبين لنا مدى الحاجة لتغطية المجال السياسي في الإعلام الإسلامي. إن الإعلام الإسلامي المقاصدي يهدف إلى تلبية الحاجة السياسية في المجتمع الإسلامي داخلياً وخارجياً، ويغطي كافة النشاطات السياسية.

بالإضافة إلى أنه يمارس كافة الأنماط السياسية من إقامة العلاقات الدولية حتى مع غير المسلمين قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٤٠١].

علاوة على ذلك أنه يهدف إلى إعلام المجتمع الداخلي بحقيقة الأحداث والقضايا السياسية في داخل الدولة وخارجها. وتبصير المجتمع الدولي بالقضايا والاحداث التي تمس الدول الإسلامية. بالإضافة إلى نقل وجهة النظر السياسية حيال القضايا العالمية، لهذا نلاحظ كيف أهتم المسلمون في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وحزنوا لخسارة الروم كونهم (أهل كتاب) أمام الفرس. وسطرت الآيات مشهد الاهتمام من قبل الصحابة قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء﴾٤٠٢.

كما يهدف الإعلام المقاصدي إلى ممارسة الحرب النفسية أثناء القتال والحرب الباردة؛ وذلك برفع الحالة المعنوية للجبهة الداخلية وانصارها، وإضعاف معنويات العدو، والحاق الهزيمة به قبل الدخول إلى المعركة، وخلال المعركة، وبعد المعركة. قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ

---

[٤٠١] القرآن. الممتحنة ٦٠:٨.

[٤٠٢] القرآن. الروم ٢٠:٥.

الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[٤٠٣]. وقال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ٤٠٤. وبالتالي يجب على الإعلام الإسلامي المقاصدي أن يهتم بكافة الجوانب السياسية الداخلية مثل: تحقيق مبدأ العدل، والقضاء العادل، وحرية الإنسان، وحفظ كرامته، وترسيخ قواعد الشورى في المجال السياسي، وصيانة الحريات العامة، وتثقيف المجتمع بالقضايا السياسية على الصعيد الداخلي والخارجي، ورفع الروح المعنوية، وكشف الأكاذيب التي يبثها الأعداء على الجبهة الداخلية.

كما ينبغي محاربة كل أنواع الفساد السياسي من الغش، والتزوير، وضياع الأمانة، وإهدار المال العام، وتنصيب الرجل الغير مناسب في المكان المناسب. إلى غير ذلك من الأمور السياسية على الصعيد الداخلي. كما يجب على الإعلام المقاصدي ألا يهمل المجال السياسي الخارجي؛ من حسن الجوار، وتوطيد العلاقات، وإقامة كافة النشاطات السياسية والاقتصادية والثقافية بما لا يتعارض مع ثوابت ومقاصد الشريعة الغراء.

بالإضافة إلى تعريف المجتمع الخارجي (أي الدولي) بالقضايا التي تمس كافة الدول الإسلامية، وعدالة بعض القضايا كقضية فلسطين وغيرها، وكشف الأكاذيب التي تمارسه بعض الدول ومنها الدول الكبرى على الدول الإسلامية، وفضح التسلط الاقتصادي والثقافي الممنهج التي تمارسه الدول الكبرى على الدول الإسلامية والدول النامية.

---

[٤٠٣] القرآن. الأنفال ٨:١٢.

[٤٠٤] القرآن. ال عمران ٣:١٢٦.

علاوة على ذلك يجب على الإعلام الإسلامي ألا يهمل دوره الرئيسي والمهم في حالة الحرب والقتال مع أعداء الأمة الإسلامية من ممارسة خوض غمار الحرب النفسية، والتي أصبحت من مقومات الحرب الشاملة، فالحرب النفسية لها دورها المهم في حالة القتال؛ قبل المعركة، واثنائها، وبعدها من رفع الروح المعنوية، وزيادة التعبئة الشعبية. إلى تحطيم الحالة المعنوية لدى العدو، واستخدام كافة السبل التي أباحتها الشريعة الإسلامية في القضاء على العدو والنصر عليه. وبالنتيجة يتبين لنا أن للإعلام الإسلامي المقاصدي أهدافه السياسية الداخلية والخارجية، ويجب على مؤسسات الإعلام الإسلامي المعرفة بهذه المجالات، وجعل اشخاص يتخصصون في هذا المجال ويتقنونه، بالإضافة إلى ممارسة هذا المجال المهم وخاصة في العصر الراهن لتحقيق الأهداف السياسية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لتحقيق مصلحة العباد في العاجلة والآجلة.

خامساً: الأهداف الثقافية

أن لكل أمة ثقافتها الخاصة التي تميزها عن غيرها، والأمة الإسلامية لديها ثقافة متميزة عاشت معها لطوال أربعة عشر قرن، وما زالت تحتفظ بهويتها الثقافية الإسلامية. يعرف رجب سعيد شهوان الثقافة الإسلامية بأنها: معرفة مقومات الدين الإسلامي بتفاعلاته في الماضي والحاضر؛ من دينٍ، ولغةٍ، وتاريخٍ، وحضارة، وقيم، وأهداف مشتركة، بالإضافة إلى المصادر التي استقيت منها هذه المقومات[٤٠٥].

وبهذا يتعين مفهوم الثقافة الإسلامية المعاصرة، أي كل ما يتعلق بالدين الإسلامي من علومه، وصبغته التاريخية، والحضارية، والاجتماعية. إن الضعف الذي مس كيان الأمة الإسلامية وخاصة بعد سقوط الدولة العثمانية، وسيطرة الاستعمار الغربي على أغلب الدول الإسلامية؛ كان ذلك سبباً لضعف

[٤٠٥] اليحيى، ناصر بن عبد الرحمن. ٢٠٠٧. مقال: *مفهوم الثقافة الإسلامية*. شبكة الألوكة. http://www.alukah.net/culture/٠/٨٩٠/.

الثقافة الإسلامية في أغلب الدول الإسلامية، وأصبحت الكثير من الشعوب الإسلامية لا تعرف عن دينها، وثقافتها، وتاريخها، وحضارتها إلا الشيء القليل.

ومن خلال الأحداث العظيمة التي يشهدها العالم بأسره؛ من احتلال فلسطين، وغزو العراق، وانقسام السودان، والثورات العربية وتوابعها، وظهور النفوذ الإيراني على المنطقة، وحضور التيارات والمذاهب الفكرية على الساحة بقوة، أدى ذلك إلى الاهتمام بالثقافة الإسلامية من جديد.

وبما أن الشعوب عجزت عن الحلول لواقعها السيء في ظل الأنظمة الوضعية من؛ الرأسمالية، والاشتراكية وغيرها، بدأت تدرك حقيقة المنهج الإسلامي ودوره للنجاة من هذه الازمات التي تعصف بالعالم. حتى بعد الازمة المالية التي أصابت الدول الغربية الكبرى بدأ الكثير من الغرب ينادي بالخلاص من هذه الأزمة عن طريق النظام الاقتصادي في الإسلام. لذلك بات الأمر ملحّاً ومهمّاً على مؤسسات الإعلام الإسلامي التي تنطلق وفق المنظور المقاصدي أن تتبنى الثقافة الإسلامية بكافة جوانبها وفرعياتها، وأن تتنوع في نقلها بالوسائل المتعددة مثل الفضائيات، وعن طريق الشبكة العالمية (الإنترنيت)، وعن طريق المجلات والصحف، وعن طريق الوسائل المسموعة، بالإضافة إلى الطرق الأخرى. كما ينبغي على مؤسسات الإعلام الإسلامي أن تتنوع بالأساليب لعرض الثقافة الإسلامية وذلك عن الطريق العمل الدرامي كالمسلسلات والأفلام، أو عن طريق الافلام الوثائقية، أو عن طريق سرد الوقائع والاحداث عبر البرامج المتنوعة.

كما يجب على مؤسسات الإنتاج الإعلامي أن تراعي هذه البرامج والأساليب حسب الفئات العمرية. فالرسائل الموجهة إلى الرجال تختلف عن الرسائل الموجهة إلى النساء. والرسائل الموجهة إلى الكبار تختلف عن الرسائل الموجهة إلى الأطفال؛ ففئة الأطفال يراعى فيها الأصوات، والألوان،

والحركات، وعرضها لهم بطريقة الرسوم المتحركة أو الأفلام الحقيقية لكن يراعى فيها الميولات النفسية لدى الأطفال.

وفئة الشباب تراعى فيها اساليب الحماسة، والإثارة، والشجاعة، ومخاطبة العقل والإقناع، مع مراعاة الجانب الفني في عرض هذه البرامج من المؤثرات، والأصوات، والأضواء، وإتقان كتابة النص وحبكه، بالإضافة إلى الجوانب الأخرى وهكذا. كما يتحقق على مؤسسات الإعلام الإسلامي التنوع في عرض مقومات الثقافة الإسلامية؛ من تعليم العلوم الشرعية المتنوعة، إلى ترسيخ العقيدة الإسلامية، إلى الاهتمام باللغة العربية التي هي أساس الثقافة الإسلامية، إلى غرس المبادئ والأخلاق الإسلامية. بالإضافة إلى الاهتمام بالتاريخ والحضارة الإسلامية في الماضي والحاضر وعرض أبطالها كقدوات يحتذى بهم في المجتمع. بديلاً عن القدوات المزيفة والسيئة التي تعرض في مؤسسات الإعلام اليوم.

وبالنتيجة تتلخص الأهداف الثقافية في الإعلام الإسلامي المقاصدي في عدة أمور:

أ- تقديم التصور الكامل لمقومات الثقافة الإسلامية المتنوعة وعرضها للمسلمين ليحتذى بها، ولجعلها منهاج حياة شاملة، ولتقديم الحلول لكافة المشاكل التي تواجه المسلم في حياته.

ب- إمداد المسلم بحصيلة مناسبة من المعارف المتعلقة بالإسلام؛ عقيدة، وشريعة، ومنهج حياة، وحضارة، بوصفه ديناً صالحاً لكل زمان ومكان، وهذا يعطي المسلم حصانة كاملة أمام التيارات المنحرفة التي تواجه خلال مسيرة حياته[٤٠٦].

---

[٤٠٦] السحيم، محمد بن عبد الله بن صالح. ٢٠١٣. مقال: *مفهوم الثقافة الإسلامية*. موقع الألوكة: http://www.alukah.net/culture/٠/٨٩٠.

ج- إبراز الشمولية التي يتصف بها الدين الإسلامي من؛ العقيدة، والأحكام الشرعية، والعلوم المعرفية، بالإضافة إلى الثقافة الإسلامية التي يتميز بها الدين الإسلامي.

د- تنمية روح الولاء للإسلام وتقديمه على ما سواه من صور الانتماءات الأخرى مثل القومية، والعرقية، والعنصرية. لأن الولاء يكون لله، ولرسوله، وللمؤمنين[٤٠٧].

هـ- عرض المقومات الثقافية للدين الإسلامي لغير المسلمين؛ لبيان خصائص الإسلام، وسمو مقاصده، ووسطيته، بالإضافة إلى دعوتهم لاعتناق هذا الدين الذي يراعي مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة.

و- بيان موقف الإسلام تجاه القضايا العالمية المعاصرة التي تواكب حياة الإنسان في شتى مجالات الحياة.

ز- ترجمة الثقافة الإسلامية إلى واقع عملي وسلوك ملموس، يعيشه المسلم في حياته العملية اليومية، باعتبار الإسلام نظاماً تطبيقياً في الحياة اليومية[٤٠٨]. وبهذا تتميز الأهداف الثقافية للإعلام الإسلامي المقاصدي، والذي ينبغي على مؤسسات الإعلام الإسلامي تبني هذه الأهداف، وأن تعمل جاهدة على استثمارها، وأن تجعلها ضمن الخطة الاستراتيجية للمضامين المرسلة إلى الجماهير، للوصول إلى الغاية والمقصد من تحقيق هذه الأهداف ضمن الرؤية المقاصدية للدين الإسلامي.

٢. ٥ مقومات وضوابط الإعلام الإسلامي في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية

يناقش هذا المبحث تشخيص مقومات وضوابط الإعلام الإسلامي المعاصر في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، من خلال استقصاء؛ مقومات وضوابط القائم بالاتصال، وضوابط الرسالة الموجهة إلى المستقبلين وفق المنظور المقاصدي. ويتضمن هذا المبحث المطالب الآتية: مقومات القائم بالاتصال. ضوابط القائم بالاتصال. وضوابط الرسالة الموجهة إلى المستقبلين.

---

[٤٠٧] المصدر السابق.

[٤٠٨] المصدر السابق.

٢. ٥. ١ مقومات القائم بالاتصال

يعالج هذا المطلب إعداد القائم بالاتصال العامل في الإعلام الإسلامي، ووجوب إعداد قائم بالاتصال يتميز بصفات خاصة تمكنه من القيام بالواجب الملقى على عاتقه في واقع الإعلام المعاصر. إن القائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي يكون مجمل هدفه هداية الناس، وتوجيههم نحو تحقيق مصالحهم في الدنيا والآخرة وفق مقاصد الشريعة الإسلامية. وهذه المهمّة عظيمة، ودقيقة، وليست باليسيرة، تحتاج إلى العون والتخطيط والإعداد بما يحقق النجاح في هذه المهمّة. وهذا ما سيتم معالجته من خلال المواضيع الآتية: الجانب العقدي الإيماني. الجانب الأخلاقي السلوكي. الجانب العلمي الثقافي. مختتماً بالمهارة الفنية في الصناعة الإعلامية.

أولاً: المقوم العقدي الإيماني

إن العقيدة والإيمان ركيزة أساسية، وتعتبر المقصد الأول والأهم، بل هي أصل والمقاصد الأخرى تبع لها ومتفرعة عنها، وتعتبر العقيدة والإيمان نقطة جوهرية ينطلق منها القائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي. فالعقيدة والإيمان روح الدين ولبها، وأساس العبادة والأعمال.

فبالعقيدة والإيمان يثمر التسليم الكامل لله وحده، وعدم الخشية أو الخوف إلا من الله تعالى. بالإضافة إلى المعرفة بأن الله هو الضار والنافع. وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وأن الله هو المعز والمذل، وهو الرازق والمانع، وهذه المقومات أساسية لبناء شخصية القائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي. ومن هذا المنطلق يجب على القائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي أن يتحلى بجملة من المقومات الذاتية والتي من أهمها هي ركن العقيدة والإيمان. ليبرز للقائم بالاتصال هدفه ومنهجه في الحياة، ليعمل على اصلاح الناس ونقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

إن القائم بالاتصال الإسلامي يحتاج إلى ضابط يضبطه، وموجه يوجه، وإلى معايير يهتدي إليها، والهدف حتى لا يزيغ ولا ينحرف عن المنهج الذي حدد له، والعقيدة الإسلامية تعتبر الركيزة الأساسية للفكر، والمنهج، والمضمون، والمقصد الإعلامي الإسلامي. فأي منهج ينبع من المنهج الإسلامي سواء اكان إعلاماً، أو اقتصاداً، أو سياسةً، أو غير ذلك لابد أن يأخذ بالاعتبار توحيد الله سبحانه وتعالى، والأيمان بالرسل، والكتب، والملائكة، والبعث والنشور، والجزاء والحساب، وأن يأخذ بجميع أركان العقيدة ومتعلقاتها.

وإذا تمكنت العقيدة من نفس رجل الإعلام الإسلامي، فإنها ستكون المعيار الذي يحتكم إليه في تفكيره، وفي نظرته إلى الأمور باعتبار أنها دين من عند الله، وليس نظاماً من صنع البشر، والإيمان هو أقوى سلاح لنصرة الحق، والقضاء على الباطل، هو الذي أوقف أصحاب الإرادات الإيمانية، في وجه المناوئين، ثابتين صامدين[٤٠٩].

إن القائم بالاتصال الإسلامي وهو يحمل ميراث النبوة، وأمانة الدين، ومهمّة التبليغ، أول واجب عليه أن يُعد بالعقيدة والإيمان. لأن بالعقيدة والإيمان يستطيع مواجهة الحياة، ومقاومة المغريات، وتحدي الصعوبات التي تواجه في مختلف جوانب الحياة والمجال الإعلامي. فالعقيدة سلطان قوي على الفكر والإرادة، فالذي يفكر في أمر من الأمور لا يستطيع أن ينزه عقله عن التأثير بعقيدته في تفكيره، ولذلك تختلف طرق الناس في التفكير، وأحكامهم على الأشياء تبعاً لاختلاف عقائدهم، والإرادة الصادرة عنها أقوى وأنفذ من إرادة يشوبها الشك، ويقودها الارتياب، واتحاد العقائد، أو ارتقائها في الأمم يؤدي إلى وحدة الفكر، والغاية اجتماع الكلمة والتعاون لبلوغ المقاصد المشتركة[٤١٠].

---

[٤٠٩] التلمساني، عمر. ١٩٨٩. *من فقه الإعلام الإسلامي*. مصر: دار النشر والتوزيع الإسلامية. ص٥٧.

[٤١٠] القرضاوي، يوسف. دت. *العبادة في الإسلام*. الجزائر: الشهاب للطباعة والنشر. ٢٨٧.

كما أن للعقيدة والإيمان سلطان قوي على التصرفات والسلوك والأخلاق، ولهذا اهتم القرآن الكريم بالإعداد العقدي والإيماني، فلا تكاد تخلو سورة مكية كانت أو مدنية من ربط الإنسان بالله سبحانه وتعالى، والمتتبع للسور المكية يلاحظ هذا جلياً، بل إن أهم أمر عالجته السور المكية؛ هي في الجانب العقدي والإيماني. للدلالة على أهمية العقيدة والإيمان في المجتمعات البشرية.

ولهذا كل الزيغ والانحراف الذي نواجه في مجتمعاتنا اليوم مرجعه إلى إنحراف العقيدة والإيمان. ولو أننا رجعنا إلى الإعلاميين أصحاب الأفكار الملتوية، والاعمال السيئة، وحاولنا ردها إلى أسبابها، والتعرف على مصادرها من نفوس أصحابها لوجدنا مرجع ذلك العقائد الفاسدة التي لم تبن على دليل وبرهان، ومن اعتاد الأخذ في عقائده بالظن، وطن عقله على متابعة الظنون، والقانع بما كان عليه الآباء يلتقي معهم في مضارب الوهم محاج الظن[٤١١].

وعلى هذا الأساس يجب على القائم بالاتصال أن يسعى لاعتناق العقيدة الصحيحة وفهمها من ينبوعها الصافي كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ بفهم سلف الآمة والعلماء المحققين من بعدهم. وذلك ليستقيم فكره، ويحسن عمله، ويحقق هدفه، وينال ثمرته، لينقل الناس من براثن الانحرافات والمادية، إلى سمو التزكية، والارتقاء بها للوصول بها إلى مراد الله ومنهجه، لتحقق الإعمار في الأرض، والتعاون على البر والتقوى، ولتحدد الوجهة إلى خالقها وبارئها، لتنال مرضاة الله في الدنيا والآخرة.

لأن بالعقيدة والإيمان يتم تحديد التصور، والنظام، والسلوك، والمنهج، والمقصد. لأنه مع العقيدة تكون الولادة، والحياة، والعبادة، والموت فقط لله. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٤١٢].

---

[٤١١] المصري، محمد أمين. دت. *لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها*. لبنان: دار الفكر. ص٧٠.

[٤١٢] القرآن. المائدة ١٦٢:٧.

إن العقيدة والإيمان تعتبر المعيار الأساسي للقائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي، فأي عمل لايطلق من مبدأ العقيدة والإيمان ليس له قيمة في المنهج الإسلامي. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[٤١٣].

وبهذا تكون العقيدة والإيمان من أهم الركائز الأساسية لشخصية القائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي، وبهذه الركيزة يحدد القائم بالاتصال النظام، والمنهج، والسلوك، والغاية، والمقصد. كما تعتبر أي –العقيدة والإيمان– المعيار الرئيسي لتشخيص صواب الأمور من انحرافها.

فبالعقيدة تصبح شخصية القائم بالاتصال مميزة بسلوكها الإسلامي، تقف عند حدود الإسلام وشرائعه، عبادة ومعاملة وأخلاقاً وسلوكاً، لا تجامل على حساب دينها، ولا تداهن ولا تماري، ولا تدع لأي ضغط اجتماعي فرصة للتأثير عليها حين تتهاون في شيء من قيمتها، فيعتز بمقوماته من غير كبرياء، ويشعر بقوة الحق الذي يدين به، فلا يلين ولا يضعف، ولا يذوب في أي بيئة يعيش فيها، أو مجتمع يضمه، بل يدفعه إيمانه القوي إلى مقاومة التيارات الفكرية والانحلال الخلقي، والفساد الاجتماعي، وبالعقيدة يؤثر في غيره، ولا يقبل التأثير من الغير إلا في الحكمة التي هي ضالته أنى وجدها فهو أحق الناس بها[٤١٤].

---

[٤١٣] القرآن. التوبة ٨:١٨.

[٤١٤] قارش، مُحَمَّد. ٢٠١٠. *مقومات رجل الإعلام الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة*. اطروحة دكتوراه: الجزائر. جامعة الحاج لخضر. كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية. ص٢١.

ثانياً: المقوم الأخلاقي السلوكي

إن من المقاصد السامية والأهداف العالية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية؛ هي العناية بالجانب الأخلاقي والسلوكي لدى المسلم. فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"[٤١٥]، فبين عليه الصلاة والسلام أن من غايات بعثته هي في البناء والارتقاء بمحاسن الأخلاق.

كما أن مدلول هذا الحديث يوضح أن الرسالات السابقة كانت لهم البداية في بناء الصرح الأخلاقي لدى المجتمعات الإنسانية، حتى جاءت شريعة الإسلام ووصلت الأخلاق إلى قمتها وذروتها، قال تعالى في وصف خلق النبي عليه الصلاة والسلام المستمد من القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤١٦]. لهذا تعتبر الأخلاق من الركائز الأساسية والمقومات الرئيسية لدى القائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي والتي لا غنى له عنها في مجاله الإعلامي.

أما في عالم الإعلام اليوم والذي يحكم قيادته رجل الإعلام الغربي أصبحنا نعيش أزمة أخلاقية على كافة الأصعدة؛ السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، وذلك لفقد العقيدة والأخلاق التي تضبط وتوجه عمله الإعلامي. وأن المصلحة المادية والمنفعة الشخصية هي محددات الأخلاق لدى أغلب رجال الإعلام الغربي.

فليس هناك عيباً أخلاقياً على اتهام بلد بحجة امتلاكه أسلحة دمار شامل، وتدميره، وتهجير

---

[٤١٥] البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم. ١٩٨٩. *الأدب المفرد*. تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي. لبنان: دار البشائر الإسلامية. ج١. ص١٠٤. #٢٧٣. صححه: الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين. *صحيح الأدب المفرد*. ١٩٩٧. السعودية: دار الصديق للطباعة والنشر. ج١. ص١١٨.

[٤١٦] القرآن. القلم ٦٨:٤.

شعبه، وقتل الآلاف من أفرداه ثم يتضح بعد ذلك أن هذه لعبة إعلامية ودعاية كاذبة سوقت لها وسائل الإعلام من أجل تبرير الحرب. وليس عيباً أن تكذب وتقلب الحق باطلاً والباطل حق، ويصبح القاتل مظلوماً والمظلوم قاتل. ويكون الغاصب مقاوماً والمقاوم إرهابياً متعدياً سافكاً للدماء. ليس عيباً أن تروج أخبار كاذبة أو ملفقة أو مشوهة، وتمنع أخباراً حقيقية وصادقة.

هذا بالإضافة إلى إشاعة الفاحشة وإفشاء العلاقات المحرمة والشاذة مقابل المنفعة المادية، والترويج إلى الخيانات الزوجية، واستغلال المرأة للإعلان وترويج المنتوجات المضرة وغرسها في عقول الشباب كالسكائر، والمسكرات، والمخدرات وغيرها، واستخدام نظرية الإشباع والغرس الثقافي لمضامين الجنس، والقتل، والجريمة، والسرقة، والغدر، والعنصرية. كل هذا وأكثر ما نلاحظه في واقع الإعلام الغربي المعاصر.

إن المنهج الأخلاقي الإسلامي عند القائم بالاتصال يمتاز عن المناهج الأخرى لكونه يهدف إلى إيجاد الإنسان المتشبع بالأخلاق، والقيم، والمثل الروحية، حيث تنظم علاقته مع خالقه، ومع نفسه، ومع اسرته ومجتمعه، لأن الإسلام يفتح أمام معتنقيه الآفاق الواسعة، ويوجه نظرتهم إلى الكون كله، كوحدة متكاملة تقع على عاتقه المسؤولية الأخلاقية تجاه الجميع[٤١٧].

إن على القائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي أن يتحلى بالأخلاق الإسلامية؛ من الأمانة، وقول الصدق، والحلم، والعفو، والكلمة الطيبة، والتعامل بالتي هي أحسن، والتواضع ولين الجانب، وأن يكون شجاعاً في قول الحق لا تأخذه في الحق لومة لائم. كما يجب عليه أن يتخلى عن الأخلاق السيئة التي نهى عنها الشرع؛ من الكذب، والخيانة، والغضب، والكلمة البذيئة، والتكبر، والعجب، وغيرها.

---

[٤١٧] مُحَمَّد، جعفر. *حاجتنا إلى الأخلاق الإسلامية*. مجلة المنار. مصر: ال عدد١٠ أكتوبر. ١٩٧٧. ص٣٥.

كما ينبغي عليه أن ينضبط بالضوابط الشرعية؛ من الإخلاص، والصبر والثبات، والقوة، والعدل، والإنصاف، وعدم إشاعة الفاحشة، وعدم الغدر، والامتناع عن ترويج المحرمات، وعدم الظلم، والمداهنة على حساب الحق. وهذا كله يقع ضمن المقاصد الأخلاقية التي جاءت بها شريعة الإسلام.

إن أخلاق رجل الإعلام الإسلامي مستمدة من عقيدته، والعقيدة الإسلامية فيها من العمق، والثبات، والرسوخ، ما يعطي الأخلاق نفسها روح الثبات، والقوة، والشمول. وهذا الاتصال بين العقيدة والأخلاق يمنحه روح التجرد من المنافع، والتخلص من الرياء والكذب، فلا يمكن أن ينهى عن خلق ويأتي مثله، كما لا يمكن أن يتخذ من دعوى الأخلاق سبيلاً للكسب الرخيص، واستغلال البسطاء السذج، وإنما تقوم الأخلاق في نفسه مقام المجاهد في ميدان الشرف والبسالة[٤١٨]. إن انطلاق القائم بالاتصال من المقاصد الأخلاقية الإسلامية تجعل له إطاراً مرجعياً، ودعامة رئيسية، وقاعدة أساسية له، لأن كل ما يصدر عن الإسلام ينضبط ويتحدد به وهذا ما يمنحه الثبات، والشمول، والقوة، والوضوح لأنه ينطلق من اصول ومقاصد الشريعة الإسلامية.

فإذا كان القائم بالاتصال ملتزماً بالأخلاق، والقيم، والأحكام الإسلامية، كان إعلاماً إسلامياً في أسلوبه وطريقته ومنهجيته، وإذا تحلل في أساليبه، ووسائله، وممارساته، من المقاصد الأخلاقية الإسلامية، ولم يلتزم بالأحكام الشرعية أصبح عملاً غير إسلامي[٤١٩]. وإن سمي إسلامياً. فالعبرة في السلوك والمخرجات، وليست بالإدعاء والمسميات. كذلك من المقاصد الأخلاقية لرجل الإعلام الإسلامي أن يحارب ويفضح أساليب الإعلام الغربي في المنطلقات والأسس العقائدية والفكرية والأخلاقية الرذيلة التي نهى عنها الإسلام. كما عليه معارضة كل الانحرافات المضللة؛ من الشائعات،

---

[٤١٨] القرضاوي. دت. *العبادة في الإسلام*. ص٢٨٨.

[٤١٩] مُحَمَّد، مُحَمَّد سيد. ١٩٨٠. *المسؤولية الإعلامية في الإسلام*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. ص٧٠.

والكذب، وإثارة اللبس والقلاقل، والحرب النفسية التي تمارس على الشعوب الضعيفة والفقيرة، وعمليات غسيل الدماغ الذي تتعرض له شعوب بأكملها، بالإضافة إلى محاربة كل أساليب ومضامين الانحلال الخلقي الذي يرسله الإعلام الغربي.

وهذا كله يقع ضمن منظومة الأخلاق المقاصدية للشريعة الإسلامية، والتي تقع ضمن مسؤولية القائم بالاتصال. ولهذا كانت من مقاصد دعوة نبي الله لوط عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام محاربة قضية أخلاقية فشت في مجتمعه قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[٤٢٠].

ونبي الله شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام كان من مقاصد دعوته محاربة قضايا أخلاقية اقتصادية قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٤٢١].

وهكذا كان الأنبياء والمرسلين واتباعهم يسيرون وفق هذا المنهج الأخلاقي الشمولي الثابت الراسخ، حتى جاءت شريعة الإسلام لترتقي ذروة الأخلاق الربانية التي أرادها الله تعالى للمجتمعات البشرية، وبذلك أصبح الدين الإسلامي الخاتم والمكمل للأديان السماوية والنبي مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين. وبهذه الآثار الحميدة للأخلاق الإسلامية؛ في السياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والسلم، والحرب، كوّن الإسلام خير أمة أخرجت للناس، وزينها بنظم وتعاليم بوأتها مكانة متميزة في

---

[٤٢٠] القرآن. الشعراء ٢٦:١٦٧.

[٤٢١] القرآن. الشعراء ٢٦:١٨٣.

حضارة الإنسان، لأن تلك النظم امتازت بالشمول فلم يطغ جانب منها على جانب، ولم تضخم ناحية على حساب أخرى، بل كانت جميعاً متناسقة فيما تناسق الكون والحياة والإنسان، فكيف لا يستقيم حال رجل الإعلام يعيش في ظل نظام مبني على أخلاق عالية في الأهداف والمقاصد[٤٢٢].

ثالثاً: المقوم العلمي الثقافي

من المقاصد الضرورية التي جاءت بها شريعة الإسلام هي "حفظ العقل" وحفظ العقل يكون بأحد أمرين:

أ- أن يكون بحفظ ما يفسد العقل من المفسدات المادية والمعنوية، ونقصد بالمادية كالخمر، والمخدرات، والمسكرات، وسائر الأشياء التي تضر بالعقل وتفسده. أما المراد بالمعنوية وهي جميع العقائد والأوهام الفاسدة التي تعتري عقل الإنسان خلال مسيرة حياته. فجاءت مقاصد الشريعة بحفظ العقل من كافة المفسدات المادية والمعنوية.

ب- ويكون أيضاً بتغذية العقل بكافة العلوم النافعة التي ترتقي بعقل الإنسان بما يحقق له سعادة الدنيا والآخرة. وهذه ميزة من ميزات الدين الإسلامي أن مبدأ العقلي والنقلي لا تضاد بينهما، بل يكمل أحدهما الآخر. يقول مصطفى كناكر: إن العلم في الإسلام ليس محصوراً أو محدوداً أو مقيداً. حيث يظن الناس أن العلم مختص بدراسة الفقه وأصوله، والقرآن وتفسيره، واللغة العربية وبلاغتها، والحديث ومصطلحه، بل العلم هو شامل يدخل تحته كل علم نافع يخدم البشرية وغيرها من خلق الله من؛ طب وهندسة وكيمياء وفلك ورياضيات وجغرافية الأرض وعلم الاتصال وعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة[٤٢٣].

---

[٤٢٢] الصالح، صبحي. ١٩٨٥. *النظم الإسلامية*. لبنان: دار الملايين. ص١٣٩.

[٤٢٣] كناكر. ٢٠٠٣. *الدعوة الإسلامية في القنوات الفضائية الواقع والمرتجى*. ص٥٤-٥٥.

فلا يخفى على أحد أهمية وقيمة العلم في الإسلام، فالله سبحانه وتعالى اسمه: "العليم"، وأول ما نزل: "اقرأ"، وقد اثنى الله عز وجل على العلم والعلماء فقال:﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤٢٤]، وقد أكد الله سبحانه وتعالى على أن أكثر الناس خشية لله عز وجل هم العلماء قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٤٢٥]. وقد فرق تعالى بين أهل العلم ونقيضهم فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[٤٢٦]. يقول الإمام الغزالي رحمه الله: إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته، ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى، ولا يتوصل إليه إلا به[٤٢٧].

فيجب على رجل الإعلام الإسلامي أن يكون غزير العلم، واسع المعرفة، كثير الاطلاع في الثقافة الإسلامية والمقصود بالثقافة الإسلامية هي كل ما يدور حول الإسلام، وعلومه، وأصوله، وأهدافه، ومقاصده، وهذه الثقافة تؤخذ على قدر العموم والمعرفة بها لا التخصص بها حتى يكون لدى رجل الإعلام الإسلامي اطلاع كاف حول الإسلام واصوله ومقاصده.

فينبغي على رجل الإعلام الإسلامي أن يكون لديه إلمام بعلوم القرآن لأنه المصدر الأول للإسلام، والركن الأساسي لمقاصد الشريعة الإسلامية، فكل تعاليم الإسلام مأخوذة من القرآن من العقائد، والعبادات، والمعاملات، وملحقاتها.

---

[٤٢٤] القرآن. ال عمران ٣:١٨.

[٤٢٥] القرآن. غافر ٤٠:٢٨.

[٤٢٦] القرآن. الزمر ٣٩:٩.

[٤٢٧] الغزالي، أبو حامد. دت. *إحياء علوم الدين*. لبنان: دار إحياء التراث العربي. ص٤٥.

كما يجب أن يكون لرجل الإعلام الإسلامي إلمام بمعرفة السنة النبوية وهي المصدر الثاني والمبينة والشارحة والمفصلة للمصدر الأول، وهي الجانب العملي التطبيقي للإسلام ومقاصده. بالإضافة إلى أن يكون هناك قدر من الثقافة الفقهية وأصولها من معرفة أهم الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والأخلاق وسائر التصرفات، لأن مقاصد الشريعة هي خلاصة وغايات الأحكام الشرعية.

بالإضافة إلى المعرفة اللغوية والأدبية لأنها الوسيلة إلى إيصال الحق إلى المستقبلين. إن اللغة بنحوها وصرفها وبلاغتها ومفرداتها وألفاظها ملازمة لجمال الأسلوب، وقوة التعبير، والتأثير في نفوس المستمعين، وكم من الباطل وصل إلى الناس بطريق جمال اللغة، وحسن التعبير.

فينبغي على رجل الإعلام الإسلامي أن يأخذ ذلك بنظر الاعتبار، وأن يتأسى بالنبي عليه الصلاة والسلام وهو الحق ورسالته الحق؛ استعان بصاحب اللسان الطليق والمنطق البليغ مثل حسان بن ثابت، وثابت ين قيس وغيرهم من فصحاء وشعراء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

علاوة على ذلك يجب على رجل الإعلام الإسلامي أن يكون له إلمام ومعرفة بالعلوم الإنسانية المرتبطة بالعلوم الشرعية مثل الاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، وعلم النفس. كما يكون لديه الاطلاع على مجمل الأمور العامة التي تحدث في العالم مثل التطورات التي تحدث في عالم التكنلوجيا والرقميات، والرياضة والفن والمستجدات المعاصرة التي تحدث في كافة المجالات. حتى يكون الإعلامي على دراية كاملة على ما يحدث من حوله وهذا ما سماه العلماء "بفقه الواقع" لأن الإعلام أصبح له التأثير البالغ في كل مفاصل الحياة والمجتمع، وأصبح يؤثر ويتأثر في كافة المجالات الحياتية.

فلا بد على رجل الإعلام الإسلامي أن يستوعب هذه العلوم ويوظفها وفق المنظور الإسلامي "العقلي والنقلي" بالإضافة إلى الاهتمام بالبحوث والدراسات والنظريات الإعلامية المعاصرة ليقف على

آخر المستجدات والدراسات التي وصل إليها العالم في المجال الإعلامي، لينقل هذه الخبرات والدراسات والنظريات إلى العالم ولكن بنظرة مقاصدية، ووفق منهج إعلامي شامل منضبط بالشريعة الإسلامية.

فلا يكفي لرجل الإعلام المسلم أن يكون غزير العلم في الأمور الشرعية، وجاهلاً في أساسيات الاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، ولا يكفي لرجل الإعلام الإسلامي أن يكون واسع المعرفة بالعلوم الدنيوية وهو جاهل بالعلوم الشرعية، بل ينبغي أن يجمع بين المجالين، ويستوعب العلمين الدنيوي والآخروي، وبذلك يكون قد حقق مقصد ومراد الشارع في مجاله واختصاصه. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٤٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخرة وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٤٢٩]. فالأمة مأمورة بالإعداد، والتجهيز، والإرصاد، والإتقان في مجالي الدنيا والآخرة.

إن الثقافة العلمية المبنية على الملاحظة والتجربة والقياس والاختبار مهم لفهم الحياة المعاصرة، فعن طريقها يستشهد إلى ما يذهب إليه في المجال العلمي ويضع يديه على الظواهر التي تؤيد القضية التي يسعى إلى تحقيقها. ولا يعني هذا أن يتعمق في دراسة هذه العلوم فإن هذا غير مقدور عليه ولا يتسع العمر لذلك، إنما يأخذ منها بالقدر الذي يؤهله للقيام بمهمّة الإعلام بالإسلام على أحسن الوجوه، وتأكيداً لمقصد الشارع في جلب المصالح للناس، ودرء المفاسد عنهم، وبذلك يزداد الذين آمنوا إيماناً، ويتثبت المرتابون إن حصل لهم شك في الأمور[٤٣٠].

---

[٤٢٨] القرآن. الانفال ٨:٦٠.

[٤٢٩] القرآن. القصص ٢٨:٧٧.

[٤٣٠] الطيب، برغوث. ١٩٨٩. *التغيير الإسلامي خصائصه وضوابطه*. الجزائر: دار الشهاب للطباعة والنشر. ص١٥٣.

إن القائم بالاتصال إذا أحسن استخدام المجالات العلمية واستطاع توظيفها وفق المقصود الشرعي سيكون تأثير ذلك في الدعوة أبلغ، وقبول الناس له أكثر، لأن الناس تقتنع باجتماع العلم والدين، وخاصة في العصر الراهن عصر العلم والتقدم، ويؤيد هذا الكلام نجاح البرامج الدينية التي تعنى بمجال العلم والإعجاز في القرآن والسنة، وبهذا يتحقق أهمية الثقافة العلمية الشرعية والدنيوية لرجل الإعلام المسلم.

رابعاً: المهارة الفنية في الصناعة الإعلامية

من التحديات التي تواجه رجل الإعلام في العصر الراهن؛ هي في التقدم المتسارع لوسائل الاتصال المعاصرة. فنحن نشهد يومياً التقدم الهائل في تكنلوجيا الوسائل الاتصالية، وهذا التقدم يثمر لنا الغزارة الوفيرة في المعلومات، وكلما زادت المعلومات زاد الابداع الفكري في استيعاب وهضم المعلومات، لتنتج أدوات، ومعدات، ووسائل، واساليب حديثة توازي هذا الكم من التقدم المعلوماتي. وهكذا تظل دوامة المنافسة بين الإبداع الفكري والتقدم التكنلوجي لوسائل الاتصال في أوج قمتها وتقدمها.

ولأجل ذلك يستلزم من رجل الإعلام الإسلامي أن يلحق بركب هذا التقدم التكنلوجي في الوسائل، والإبداع الفكري في استثمار المعلومات، وأن يحاول جاهداً أن يسد الفجوة بينه وبين الآخر المتقدم عليه في الوسائل الاتصالية، واستثمار هذه الوسائل من الناحية المعلوماتية.

وهذه مسؤولية تقع على رجل الإعلام الإسلامي أن يستشعر خطورة هذا التقدم المذهل في مجال الأجهزة السمعية والمرئية إذا ترك استثماره بيد الآخر، وكم من المستقبلين يقعون ضحية هذا الاستثمار السيء لهذه الوسائل.

إن التقدم الهائل الذي أحدثته الثورة الاتصالية في العصر الراهن أصبح الشغل الشاغل للإعلامين وأصحاب مراكز القرار في أنحاء العالم. لكن عند رجل الإعلام الإسلامي يصبح الأمر لديه أكثر أهمية لأنه يرقى إلى تحمل أعباء كبيرة تصل إلى حد التكليف بالأمانة، وتبليغ الرسالة، وتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه في ترسيخ وحفظ مقاصد الشريعة الإسلامية في المجتمعات البشرية.

فيتحتم على رجل الإعلام الإسلامي أن يكون له حسن اطلاع على كل ما يتعلق بالجانب التكنلوجي المتعلق بالصناعة الإعلامية، كما يجب عليه أن يتقن جهاز الحاسوب، وبرامجه المتعلقة بالصناعة الإعلامية، بالإضافة إلى مواكبة كل البرامج والاجهزة الحديثة التي تساهم في رفد الصناعة الإعلامية.

كما ينبغي على رجل الإعلام المسلم أن يراعي فنية اللغة وجمال اساليبها وهذا يقع ضمن المقاصد الشرعية في إيصال الحق قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤٣١]، والموعظة والمجادلة الحسنة تحتاج؛ إلى لغة سليمة وقوية، وإلى مضمون واضح ومقنع، وإلى أسلوب جميل وراقي، وتحتاج إلى صوت هادئ وعذب، وبهذا يتحقق مقصد الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

إن موسى عليه السلام حين كلفه ربهُ تبليغ رسالتهُ، تذكر ما في لسانه، وسأل ربهُ أن يؤيده بأخيه هارون- صاحب الفصاحة والمنطق- ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[٤٣٢]، ثم دعا ربه قائلاً ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا

[٤٣١] القرآن. النحل ١٦:١٢٥.

[٤٣٢] القرآن. القصص ٢٨:٣٤.

قَوْلِي﴾[٤٣٣]،فاستجاب لهُ ربه، وأعطاه سلامة اللسان، وقوة البيان، وذكر ذلك في القرآن، فقال: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[٤٣٤].

ولقد بين رسول الله ﷺ هذه الميزة العظيمة، وبين أنها كالسحر، بل هي السحر الحلال، عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما: أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: "إن من البيان لسحرا، أو: إن بعض البيان لسحر"[٤٣٥]. وهذا يؤكد ما نعيشه واقعاً حقيقياً في عصرنا الراهن وكيف استطاع الإعلام الباس الحق ثوب الباطل، والباس الباطل ثوب الحق بقوة الكلمة، والأسلوب، والمضمون.

كما يتحتم على رجل الإعلام الإسلامي الاعتناء بمظهره الخارجي، ونظافة جسده، وملابسه وهندامه، فقد سعت شريعة الإسلام إلى الاعتناء بالظاهر والباطن، فعملت على تطهير الروح وتخليصها من كافة الارجاس المعنوية من الحقد، والحسد، والكذب، والغيبة، والنميمة، إلى غير ذلك من الأخلاق والعادات السيئة. كذلك حرصت على نظافة الجسد، والبدن، والمكان. قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٤٣٦]. فليس هناك دين أنظف من دين الإسلام حسياً ومعنوياً، فقد أوجب الوضوء قبل كل صلاة، وأوجب الغسل بعد كل جنابة، وحض على الغسل أيام الاجتماعات؛ مثل يوم الجمعة، والعيدين، ودخول مكة، وقبل الإحرام بعمرة أو حج.

علاوة على ذلك فقد حض على تنظيف الأسنان بالسواك، والاعتناء بسنن الفطرة فعن أبي

---

[٤٣٣] القرآن. طه ٢٠:٢٧.

[٤٣٤] القرآن. طه ٢٠:٣٦.

[٤٣٥] البخاري. ١٩٨٧. *صحيح البخاري*. كتاب الطب. باب إن من البيان سحرا. ج٧. ص١٣٨.# ٥٧٦٧.

[٤٣٦] القرآن. المدثر ٧٤:٤.

هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "الفطرة خمس – أو خمس من الفطرة – الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب"[٤٣٧]. وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً عن النبي ﷺ قال: "لولا أن أشق على المؤمنين أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة"[٤٣٨].

كما حثت الشريعة على التجمل، والتزين، ومس الطيب حتى يكون المسلم شامة بين الناس وبالأخص رجل الإعلام الإسلامي قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٤٣٩]. ولا شك أن الاهتمام بهذه الأمور له أثر كبير في دعوة الناس، واستقطابهم، ودلالة على عظم ومقاصد هذه الشريعة التي تتوافق مع الفطرة البشرية والسجية الإنسانية.

٢. ٥. ٢ ضوابط القائم بالاتصال وفق المنظور المقاصدي

يناقش هذا المطلب تحديد ضوابط القائم بالاتصال العامل في مجال الإعلام الإسلامي، من أجل إبراز الضوابط والمحددات للقائم بالاتصال وفق نظرة مقاصدية شرعية. إن القائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي تكون له ضوابط ومحددات ينضبط بها وتوجهه الوجهة الصحيحة وفق المنهج المقاصدي للدين الإسلامي، وذلك للوصول إلى تحقيق الأهداف المقاصدية للدين الإسلامي التي حددت سلفاً في هذه الدراسة. وستتم معالجة هذا المطلب من خلال الضوابط الآتية: فجاءت الأولى لتحدد مفهوم الضوابط المقاصدية. أما الثانية ناقشت التثبت من المعلومات. في حين ركزت الثالثة على قول الصدق واجتناب

---

[٤٣٧] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب الطهارة. باب خصال الفطرة. ج١. ص٢٢١. #٢٥٧.

[٤٣٨] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب الطهارة. باب السواك. ج١. ص٢٢٠. #٢٥٢.

[٤٣٩] القرآن. الأعراف ٧:٣١-٣٢.

الكذب. وكرست الرابعة بالعدل وتحريم الظلم. وجاءت الخامسة بعدم إشاعة الفتن والرذائل. مختتماً بالأخيرة أن لا ضرر ولا ضرار.

أولاً: مفهوم الضوابط المقاصدية للقائم بالاتصال

جاء في تعريف الضابط في اللغة العربية الفصحى هو: لزوم الشيء وحبسه، ضبط عليه وضبطه يضبط ضبطا وضباطة، والضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء، وضبط الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط أي حازم[٤٤٠]. أما المراد هنا بالضوابط المقاصدية للقائم بالاتصال: هي جميع ما يصدر من أفعال وسلوكيات للقائمين بالاتصال في المجال الإعلامي وفق مقاصد وأهداف الدين الإسلامي. فالإعلام الإسلامي المقاصدي: إعلام اخلاقي ملتزم بعدة ضوابط ومحددات شرعية وهذا ما سيتم مناقشته في هذا المطلب إن شاء الله.

لأن من المعلوم عرفاً وشرعاً أن كل عمل له محددات، وضوابط، واخلاقيات، وسلوكيات، والعمل الإعلامي كغيره من الأعمال الأخرى يخضع لضمن هذه الأعمال وله مثل هذه الضوابط والمحددات، وما يصطلح عليه الآن بقانون العمل الإعلامي، أو أخلاقيات مهنة الإعلام، أو قانون العمل الصحفي والإعلامي. بحسب تسميات كل دولة أو كل مجتمع بذاته. كذلك الإعلام الإسلامي له ضوابط، وله قانون، وله محددات، وله أخلاقيات تحكم هذه المهنة لكن المسؤول على تحديد هذه الضوابط والأخلاقيات هي الشريعة الإسلامية المستمدة من الأصول المعتبرة شرعاً من القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس، وغيرها من المصادر الأخرى. والتي تجتمع تحت مظلة مقاصد الشريعة الإسلامية.

---

[٤٤٠] ابن منظور. ١٤١٤. *لسان العرب*. ج٧. ٢٤٠.

ثانياً: التثبت من المعلومات

من العناصر الأساسية في العملية الإعلامية هي عنصر: الرسالة أو المضمون أو المعلومة وهي ركن من أركان العملية الإعلامية. والمعلومة هي مادة الإعلامي ومضمونه الاساسي. ولأهمية المعلومة واثارها ركز الإسلام على الاهتمام بالمعلومة. من خلال معرفة مصدر المعلومة، ودقة النقل، وضرورة التثبت، ومعرفة مألآت نشر هذه المعلومة وإرسالها إلى المستقبلين، وهو ما يصطلح عليه بالمفهوم الأصولي (بفقه مألآت الأمور). قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، وفي قراءة الإمام حمزة والإمام الكسائي وهم من القراءات السبعة المتواترة قرئت ﴿فتثبتوا﴾ بدلاً من ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾[٤٤١]، كل هذا للدلالة على أهمية الحصول على المعلومة، والتثبت من نشرها، ومعرفة مألآت نشر المعلومة.

وللكلمة في الدين الإسلامي قيمة عظيمة، وخلق عظيم من أخلاق الإسلام، فالكلمة في نظر الإسلام أمانة ولها تبعات إما يثاب الشخص على قولها، أو يحاسب ويعاقب عليها، والمتتبع للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية توجه الناس نحو إدراك خطورة مسؤولية الكلمة في الإسلام، وحض الدين الإسلامي على قول الكلمة الطيبة الحسنة، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[٤٤٢]. علاوة على ذلك فقد أكدت السنة النبوية على أهمية الكلمة وخطورتها، قال النَّبِيّ ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[٤٤٣]، فبين عليه الصلاة والسلام أن المسلم المتصف بأخلاق الإسلام هو الذي يسلم منه إخوانه من لسانه ويده.

---

[٤٤١] الداني، عثمان بن سعيد. ١٩٨٤. *التيسير في القراءات السبع*. لبنان: دار الكتاب العربي. ج١. ص٢٠٢.

[٤٤٢] القرآن. الإسراء ١٧:٥٣.

[٤٤٣] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب الإيمان. باب تفاضل الإسلام، وأي أموره خير. ج١. ص٦٥. #٤١.

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب"[٤٤٤]، فذكر عليه الصلاة والسلام أن الشخص قد يتكلم بالكلمة ما يتبين ومعنى ما يتبين–أي ما يفكر بتوابع ومآلات هذه الكلمة– فيدخل النار بهذه الكلمة.

فالكلمة في المنهج الإسلامي لها أمر عظيم، فالدخول في دين الإسلام يكون في كلمة التوحيد، والخروج من دين الإسلام قد يكون بنطق كلمة الكفر والعياذ بالله، والرجل يتزوج ويطلق ويبيع ويشتري بكلمة، ويمضي عقود ومواثيق وعهود بكلمة، ولهذا أكدت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على مسؤولية الكلمة وخطورة توابعها. فمعرفة مصدر المعلومة، والتثبت من المعلومة، وإدراك توابع ومألآت المعلومة مسؤولية شرعية ومقاصدية في الشريعة الإسلامية. فالرسالة المقاصدية تنطلق إلى هدف، فهي محددة المعاني، وتعيش في إطار متوازن حتى تحقق مرادها ومراميها.

ثالثاً: قول الصدق واجتناب الكذب

من المقاصد التي جاء بها الدين الحنيف هي قول الصدق واجتناب الكذب، وهذه الصفتان تدخل في صغير الأمور وكبيرها، وقول الصدق واجتناب الكذب يتأكد أكثر لدى الإعلامي وذلك بسبب أن مخاطر وضرر الكذب كبيرة، لأن رسالته تصل إلى أعداد ومجتمعات كثيرة، وبالتالي يكون الضرر أكبر، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٤٤٥]. والآية الكريمة واضحة تأمر المؤمنين بالصدق، وكذلك بأن يصاحبوا ويكونوا مع أهل الصدق.

تأسيساً على ذلك فقد جعل الله مكانة الصدقة تلي مكانة النبوة وذلك للدلالة على عظم الصدق قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ

---

[٤٤٤] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب الزهد والرقائق. باب التكلم بالكلمة يهوي بها إلى النار. ج٤. ص٢٢٩٠. #٢٩٨٨.

[٤٤٥] القرآن. التوبة ١١٩:٩.

وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[٤٤٦]. وأكدت السنة المطهرة على مقصد الصدق، وأنه يهدي إلى البر والبر جامع للخير كله. فعن النَّبيّ ﷺ قَالَ: "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذابا"[٤٤٧]. كما حذرت الشريعة الإسلامية من الكذب وخطر الكذب على المجتمع، وإذا كان الصدق شعار المؤمنين فإن الكذب من علامات المنافقين يقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[٤٤٨]، وقال ﷺ: "آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان"[٤٤٩].

وقد بينا سابقاً خطر كذب الإعلام على المجتمعات وكيف أن هناك دول دمرت بسبب الكذب، وتسويق الكذب على المجتمع الدولي. لذلك جاءت المقاصد الشريعة الإسلامية لترسخ هذا المبدأ الأخلاقي ولتثيب على (الصدق)، وتحذر من (الكذب) والمعاقبة على فعله، كل ذلك لأجل مصلحة البشر في الدنيا قبل الآخرة.

رابعاً: عدم إشاعة الفاحشة والرذائل

من الضوابط المقاصدية التي يجب على رجل الإعلام الإسلامي التقيد بها هي: عدم نشر الفواحش، وإشاعة الغرائز، وكشف العورات، وإشاعة المنكرات، وإثارة الشهوات. كل هذا حرمته الشريعة الإسلامية من الناحية المقاصدية وذلك لأجل حفظ الدين، والعقل، والنسل.

---

[٤٤٦] القرآن. مريم ١٩:٥٨.

[٤٤٧] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب البر والصلة والأداب. باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله. ج ٤. ص٢٠١٢. #٢٦٠٧.

[٤٤٨] القرآن. المنافقون ٦٣:١.

[٤٤٩] مسلم. دت. *صحيح مسلم*. كتاب الإيمان. باب بيان خصال المنافق. ج ١. ص٧٨. #٥٩.

بل ورتبت الشريعة الإسلامية عقوبة على الذين يشيع مثل هكذا أفعال قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤٥٠]. ولفظ الفاحشة مقصده عام ينضوي تحته الأقوال، والأفعال، وحتى الإشارات والإيحاءات. يقول سيد قطب رحمه الله: إن الذين يشيعون الفاحشة إنما يعملون على زعزعة ثقة الجماعة المؤمنة بالخير، والعفة، والنظافة، وعلى إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة، وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها. بذلك تشيع الفاحشة في النفوس، لتشيع بعد ذلك في الواقع[٤٥١].

واليوم في واقعنا المعاصر نرى مدى ضرر إشاعة الفاحشة على المجتمعات الذي سببته وسائل الاتصال المختلفة؛ من عزوف الشباب عن العلم وتحكم الغريزة في عقله وجسده مما أثر على فشل الكثير من الطلبة في حياتهم الدراسية، وزيادة نسبة الجرائم على مستوى العالم، وارتفاع معدلات الطلاق في العالم بسبب إطلاع الرجل على الشهوات والمحرمات وعدم القناعة والرضى بشكل زوجته وتصرفاتها، والمرأة كذلك مما أدى إلى البرود العاطفي والاجتماعي بين الأزواج.

كذلك زيادة حالات الزنى وعزوف الكثير من الشباب عن الزواج وتأسيس الحياة الزوجية المستقرة بسبب إشاعة الفواحش، والفتن التي تظهر يومياً وعلى مدار الساعة لتشبع المستقبلين برسائلها البائسة، لتؤثر سلبياً على مقصدي الدين والنسل، ولهذا يجب على رجل الإعلام الإسلامي الحذر من أن يقع في مثل هذه المستنقعات. لذلك بين الله سبحانه وتعالى أن إشاعة الفتنة والشهوة بين الناس هي من أمر الشيطان قال تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٤٥٢].

---

[٤٥٠] القرآن. النور ١٩:٢٤.

[٤٥١] سيد قطب. ١٤١٢. *في ظلال القرآن*. القاهرة: دار الشروق. ج٤. ص٢٥٠٣.

[٤٥٢] القرآن. البقرة ١٦٨:٢-١٦٩.

وبهذا يتأكد هذا الضابط المقاصدي في رجل الإعلام الإسلامي من العمل على نشر الفضيلة والتحلي بالأخلاق الإسلامية الكريمة، والابتعاد عن نشر وإذاعة كل ما يخدش الحياء، ويثير الشهوة، ويكشف العورة، ويقرب من الزنى، وذلك لأجل تحقيق مقصد الشريعة الإسلامية في حفظ الأعراض والأنساب، والحفاظ على الأمن الاجتماعي الذي ارتضاه الله تعالى لهذه البشرية بما يحقق لهم المصلحة في الدارين.

خامساً: العدل وتحريم الظلم

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤٥٣]، والعدل بمعناه العام يشمل كل أنواع العدل؛ عدل الإنسان مع نفسه، ومع غيره، مع العدو، ومع الصديق، مع القريب والبعيد، مع الأسرة، مع الحيوانات، مع الكون بأسره. ويتأكد هذا أكثر في حق الإعلامي المسلم ورسالته المرسلة إلى جمهور المستقبلين. لأنه شاهد، وناقل، ومعلم، وداعي، فيجب عليه قول الحق وإقامة العدل، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[٤٥٤]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال، على القريب والبعيد، والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد، في كل وقت، وفي كل حال"[٤٥٥]. وهذه هي وظيفة وصفة الإعلامي المسلم أن يكون عادلاً في كل زمان ومكان، لا يغتر بالأموال، ولا يضعف عند تسلط القوة عليه، ولا يميل إلى القريب على حساب العدل، وليكن شعاره قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾[٤٥٦].

---

[٤٥٣] القرآن. النحل ١٦:٩٠.

[٤٥٤] القرآن. الأنعام ٦:١٥٢.

[٤٥٥] ابن كثير. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج٣. ص٣٦٥.

[٤٥٦] القرآن. الشورى ٤٢:١٥.

فيتحتم على رجل الإعلام الإسلامي أن ينضبط بالعدل، والعدل من المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، والمقاصد العليا موجودة في كل الأديان السماوية. لذلك جعل الله تعالى العدل قرين التقوى، وأمرنا بالعدل حتى مع المخالف قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٤٥٧].

وعلى هذا الأساس يجب أن يكون صفة الإعلامي المسلم عادلاً بالله لا يخاف في الله لومة لائم، شهداء بالقسط: أي عادلين في نقل الحقيقة، أي حقيقة، وأن كانت على حساب نفسك ومن تحب، ولا يجرمنكم شنأن قوم على الا تعدلوا: أي حتى المخالف حتى الذي نكره، والمقصد (اعدلوا) وليس هذا فحسب (اعدلوا هو أقرب للتقوى) وهذه هي العدالة التي تقربك للتقوى، واتقوا الله في كل أموركم في كل زمان ومكان، وختمت الآية الكريمة بأن الله خبير بما تصنع، وتنقل، وتعمل. فأي رقي أخلاقي مقاصدي إعلامي في هذا الدين الحنيف.

سادساً: لا ضرر ولا ضرار

من القواعد المقاصدية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية هي حديث النبي ﷺ "لا ضرر ولا ضرار"[٤٥٨]، واللفظ عام يشمل أي ضرر لأن النكرة في سياق النفي تعم. وهذه القاعدة تشمل جميع جوانب ومجالات الشريعة، والإعلام الإسلامي ينضوي تحتها كونه أحد الجوانب المهمّة في الدين الإسلامي.

من هذا المنطلق ومن هذه القاعدة يتحتم على رجل الإعلام الإسلامي ألا يكون سبباً في ضرر

---

[٤٥٧] القرآن. المائدة ٥:٨.

[٤٥٨] الألباني. د ت. *صحيح وضعيف سنن ابن ماجة*. صحيح. ج٥. ص٣٤٠. #٢٣٤٠.

أحد من المسلمين والناس. باستثناء الحرب مع الإعداء فإنه مشروع، وللحرب ضوابطها وأخلاقياتها، والباحث لا يخوض في هذا المجال كونه خارج حدود الدراسة. لذلك حددت القاعدة المقاصدية: (أن لا ضرر ولا ضرار).

فلا يجوز للإعلامي المسلم التجسس على الناس، وإشاعة أسرارهم، والخوض في أعراضهم، أو الإشهار بهم، وذكرهم بما يكرهون، أو الظن بهم بالسوء، كل مما نهى الله عنه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[٤٥٩]. كما يجب على الإعلامي المسلم أن يصلح بين المسلمين وبين جماعاتهم، وأن لا يزرع الفتن، وأن لا يثير المشاكل والأحقاد بينهم، وأن يسعى جهاداً لجمع كلمة المسلمين، وعدم التفرقة بينهم. قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٤٦٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤٦١].

علاوة على ذلك ينبغي على رجل الإعلام الإسلامي أن يتجنب السخرية من الآخرين، أو الاستهزاء بهم، أو التنابز بالألقاب، أو الانتقاص منهم، أو التكبر عليهم. كل هذا وأكثر حثت عليه المقاصد الأخلاقية في الدين الإسلامي. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ

---

[٤٥٩] القرآن. الحجرات ٤٩:١٢.

[٤٦٠] القرآن. الحجرات ٤٩:٩.

[٤٦١] القرآن. الحجرات ٤٩:١٠.

بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٤٦٢]. والمتتبع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية سوف يتضح له جلياً المقاصد الأخلاقية والتربوية في حسن التعامل مع المسلمين ومع غيرهم، ورقي المقاصد الأخلاقية في الدين الإسلامي. في زمن صار الإعلام الآخر في غالب قضيته التشهير، والانتقاص، والكذب، والظلم، والاستهزاء، والتجسس، وإشاعة الفاحشة في المجتمعات. شعارهم: "Good news is no news" أي الأخبار الجيدة ليست بأخبار.

فكم خسر العالم جراء غياب أخلاقيات الإعلام الإسلامي المقاصدي، وكم يحتاج العالم اليوم إلى مثل هكذا إعلام؛ يحترم الآخرين، ويرتقي بهم، وينصفهم في قضاياهم، ويوجههم إلى ما فيه مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة. هذا ولا شك مسؤولية رجل الإعلام الإسلامي خاصة، والمسلمين عامة.

٢. ٥. ٣ ضوابط الرسالة الموجهة إلى المستقبلين

يناقش هذا المطلب إبراز ضوابط الرسالة الموجهة إلى المستقبلين وفق المنظور المقاصدي للشريعة الإسلامية وذلك من خلال؛ مناقشة هذه الضوابط لتكون المحددات الرئيسية لمضمون الرسالة الإعلامية لرجل الإعلام الإسلامي. لتكون هذه الضوابط بمثابة قانون العمل الإعلامي واخلاقياته. لكن سوف يناقش هذا المطلب من الزاوية الإسلامية، وبالتحديد ضمن النظرة المقاصدية للدين الإسلامي.

أولاً: الوضوح والسهولة

تعتبر الرسالة هي المنبه والرمز الذي يرسله المرسل إلى المستقبل، بقوالب، وأساليب، وكلمات، ومعاني مختلفة، بغرض التأثير وفقاً لأغراض وأهداف المرسل. وتكون الرسالة ناجحة إذا تمتعت بالوضوح والسهولة، وسارت ضمن الإطار المرسوم لها سلفاً من أجل تحقيق أهدافها. فالرسالة تخاطب المستقبل عقلاً وعاطفة، وينبغي صياغة الرسالة لتغذية العقل والعاطفة معاً لا تغذية أحدهما على حساب الآخر.

---

[٤٦٢] القرآن. الحجرات ٤٩:١١.

ولذلك ينبغي على رجل الإعلام الإسلامي أن يصوغ رسالته بيسر ووضوح يراعي فيها أفهام ومستويات المستقبلين من أجل تحقيق أهدافها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرآن لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٤٦٣]. فنزل القرآن الكريم على جميع العالمين بيسر ووضوح وسهولة على اللسان، لتكون الرسالة المرسلة لجميع العالمين واضحة وجليلة حتى تحقق أهدافها ومقاصدها.

ولهذا نزل القرآن مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة قال تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[٤٦٤]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: نزل القرآن مفرقا منجما على الوقائع إلى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة. وعن ابن عباس أنه قال (فرقناه) أي: أنزلناه آية آية، مبينا مفسرا؛ ولهذا قال: (لتقرأه على الناس) أي: لتبلغه الناس وتتلوه عليهم (على مكث) أي: مهل (ونزلناه تنزيلا) أي: شيئا بعد شيء[٤٦٥]. وبهذا ينبغي على رجل الإعلام الإسلامي أن يراعي جانب السهولة، واليسر، وأن تكون رسالته المرسلة مبنية على الوضوح، ليكون ذلك أبلغ لوصول الرسالة إلى المستقبلين.

ثانياً: مراعاة الجانب العقلي والعاطفي

من المعلوم أن الإنسان عقل وعاطفة، وأحياناً يكون جانب العاطفة أرجح وأحياناً يكون جانب العقل أرجح. فينبغي أن تكون مضمون الرسالة المرسلة تخاطب العقل بالحجج والبراهين والعلمية، فمن المعلوم في عصرنا الراهن؛ عصر العلم والمعلوماتية والتقدم التكنلوجي غالباً ما يأخذ الطرح منحاً علمياً حتى في الخطاب الإسلامي.

---

[٤٦٣] القرآن. القمر ١٧:٥٤.

[٤٦٤] القرآن. الإسراء ١٠٦:١٧.

[٤٦٥] ابن كثير. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج ٥. ص١٢٧.

ولهذا نرى نجاح بعض البرامج الإسلامية التي تعنى بالعلم، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والخطاب المقاصدي يتوافق مع التقدم العلمي والتكنلوجي الذي نعيش واقعه في هذه الأيام. فيكون ذلك أدعى لتحقيق أهداف الرسالة المرسلة إلى جمهور المستقبلين قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٤٦٦].

كما يتحتم على رجل الإعلام الإسلامي ألا يهمل الخطاب العاطفي الذي يعمل على دغدغة المشاعر، ومخاطبة الروح، فالإنسان مهما وصل إلى المادية العلمية إلا أنه مخلوق يحوي الجانب العاطفي الروحي، فينبغي على رجل الإعلام الإسلامي أن يراعي الجانبين، وأن يهتم بالطريقين من أجل تحقيق أهداف الرسالة. والمتتبع للآيات القرآنية والنصوص النبوية يجد هذا جلياً.

فنرى أحيانا يكون الخطاب علمي مبني على الملاحظة والتجربة مثل قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في قضية الطير وإحياء الموتى، وقصة النبي عزير عليه السلام وطعامه وحماره في نفس القضية، وأطوار خلق الإنسان، وغيرها من القصص التي تنحى جانباً علمياً مبني على الملاحظة والتجربة.

ونلاحظ جوانب أخرى في الآيات القرآنية والنصوص النبوية تحاكي جوانب العاطفة والمشاعر مثل قضايا الوعد بالجنة والوعيد بالنار، وأحاديث الشفاعة، وأهوال يوم القيامة، والجنة والنار، وبهذا الجانحين؛ جناح العقل وجناح العاطفة يصل المرسل إلى غايته لتحقيق اهدافه ومقاصده.

ثالثاً: المخاطبة بالحكمة والموعظة وحسن المجادلة

لقد جاء تحديد الخطاب المقاصدي في القرآن الكريم واضحاً جلياً في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إلى

[٤٦٦] القرآن. فصلت ٤١:٥٣.

سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤٦٧]. فالحكمة هي وضع الشيء في محله، والموعظة هي الأسلوب الذي يحرك المشاعر والدوافع، والمجادلة بالتي هي أحسن هو الحوار مع الآخر بالطرق المتنوعة من أجل الوصول للهدف المراد منه. فالرسالة المقاصدية تتحرك وفق هذه الأركان حسب حال المستقبل، فإذا كان المستقبل يطغى عليه جانب الحكمة والعلم فيكون مضمون الرسالة يطغى عليه جانب العلمي والعقلي. وإذا كان المستقبل يطغى عليه جانب العاطفة يصوغ الرسالة بلمسات عاطفية لتحرك المشاعر والدوافع بغية الوصول إلى تحقيق المقصد.

وإذا كان الحوار مع الآخر الذي يعارض قد يحتاج إلى المجادلة والحوار، وتحوي الرسالة الجانب العقلي والعاطفي لكن المجادلة والحوار تكون بالطرق المثلى، وبالأساليب الحسنة، لأنه ليست الغاية من الحوار النصر والتفوق عليه، وإنما من أجل تبصيره بالهدى والنور والوصول إلى الحق. والمتتبع للآيات القرآنية والنصوص النبوية يرى المثالية والحسن في الحوار مع الآخر. فسيدنا موسى وهارون عليهما السلام يأمرهم الله تعالى بالحوار اللين مع فرعون الذي عذب بني إسرائيل، وأدعى الألوهية، مع ذلك كان الخطاب مبني على الحكمة والموعظة الحسنة لأجل التذكرة والخشية والرجوع إلى طريق الحق وليس مجرد النصر عليه والتفوق عليه بالخطاب. قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[٤٦٨].

وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام وحياته خير دليل على حسن الدعوة بالحكمة والموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن، والقصص كثيرة في المجال كثيرة نذكر على سبيل المثال لا الحصر القصة التي

---

[٤٦٧] القرآن. النحل. ١٦:١٢٥.

[٤٦٨] القرآن. طه. ٢٠:٤٢-٤٣.

أوردها أصحاب السير: قصة عتبة بن ربيعة مع النبي عليه الصلاة والسلام[٤٦٩]. وظل النبي عليه الصلاة والسلام يسمع من عتبة بن ربيعة حتى انتهى، فقال له النبي أفرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم: فتكلم النبي عليه الصلاة والسلام وعرض عليه الحجج والبراهين، وقرأ عليه من سورة فصلت حتى انصرف عتبة بن ربيعة وعاد بغير الوجه الذي جاء به إلى النبي عليه الصلاة والسلام. يقول الدكتور البوطي رحمه الله في هذه القصة: يتبن لنا معنى الحكمة التي كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يتمسك ويتصف بها.

إن الشريعة الإسلامية تعبدتنا بالوسائل كما تعبّدتنا بالغايات. فليس لك أن تسلك إلى الغاية التي شرعها الله لك إلا الطريق المعينة التي جعلها الله وسيلة إليها. وللحكمة والسياسة الشرعية معان معتبرة، ولكن في حدود هذه الوسائل المشروعة فقط[٤٧٠].

والخلاصة أنه يجب على رجل الإعلام الإسلامي أن يصوغ رسائله وفق الخطاب المقاصدي الذي سطر في آيات القرآن الكريم وفي الحاديث وفعل النبي ﷺ مع أصحابه ومع أعدائه، ومع الآخرين. وأن يلتزم بالأساليب الشرعية للحوار مع المستقبلين. لأننا متعبدين بالوسائل والأساليب كما متعبدين بالمقاصد. طبقاً للقاعدة الاصولية: للوسائل أحكام المقاصد.

رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من المقاصد التي جاءت بها الشريعة الإسلامية والتي تميزت بها أمة النبي مُحَمَّد ﷺ عن غيرها من الأمم هي: وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

[٤٦٩] البوطي، مُحَمَّد رمضان. ١٤٢٦. *فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة*. سورية: دار الفكر. ج١. ص٨٢.

[٤٧٠] المصدر السابق. ج١. ص٨٤.

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[٤٧١]، فالله أعطى ميزة الخيرية لهذه الأمة وذلك لمقصد وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبهذا يكون الإعلام الإسلامي مسؤول عن هذه المهمّة العظيمة منذ بداياته وحتى يرث الله الارض ومن عليها. ويكون التبليغ والبيان والدعوة مهمّة المسلمين كافة، لكن هناك جماعة متخصصة لهذا الشأن، معنية بتفاصيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤٧٢]. قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أن تكون فرْقَة من الأمَّة متصدية لهذا الشأن[٤٧٣]، وإنْ كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه. لذلك حذر نبينا مُحَمَّد ﷺ من الابتعاد عن هذه الوظيفة فقال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"[٤٧٤].

وبهذا يتحمل الإعلام الإسلامي المعاصر ورجاله مسؤولية هذه المهمّة، مهمّة الأنبياء والمرسلين ومن بعدهم العلماء والدعاة العاملين، فواقعنا المعاصر يحتاج إلى جهود كبيرة في تحقيق هذه الوظيفة في زمن انتشر فيه المنكر وقل فيه المعروف، بل وأصبح ليس من السهولة إنكار المنكر، وقول الحق في خضم السيطرة الغربية على اتجاهات وأنماط الإعلام في العالم.

فالمسؤولية تقع على رجال الإعلام الإسلامي في الدرجة الأولى لكونهم يمتلكون وسائل توصل

---

[٤٧١] القرآن. ال عمران ٣:١١٠.

[٤٧٢] القرآن. ال عمران ٣:١٠٤.

[٤٧٣] ابن كثير. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج٢. ص٩١.

[٤٧٤] الترمذي. ١٩٩٩. *سنن الترمذي*. ج٣٨. ص٢١٦٩. #٤.

المعروف وتحارب المنكر، وكذلك المسؤولية تقع على جميع المسلمين للقيام بهذه الوظيفة وهذه المهمّة العظيمة كل بحسب علمه وقدرته واستطاعته.

خامساً: الحرية الإعلامية

إن مفهوم الحرية الإعلامية في الشريعة الإسلامية مكفولة، لكنها حرية منضبطة ومستمدة من نظرة الإسلام إلى الحرية، فليست الحرية هي ثمرة الغرب ونضاله ضد الكنيسة كما يدعى، بل هي فطرة إلهية أودعها الله في البشرية. لذلك جاءت كل الأديان السماوية لتخلص الأنسان من متعلقات العبودية التي صنعها من وساوس الشيطان ومن نسج خياله.

لذلك جاءت مقاصد الشريعة الإسلامية لتشيع الحرية في كافة مجالاتها في النفس البشرية، ولكن أي حرية!! هي الحرية التي أرادها الله للبشر. الحرية المنضبطة، المسؤولة، التي ترتقي بالإنسان في دنياه وآخرته. فخلصت الناس من رق العبودية والذل والهوان للبشر فيما بينهم، وأن البشر سواسية كأسنان المشط الكل يخضع لله تعالى.

بل جاءت الشريعة الإسلامية ومقاصدها لتشيع حرية العلم في وقت كانت الأديان المنحرفة تحرّم العلم بل وتقضي على حياة العلماء الخارجين على سياستها. بل وأشاعت الحرية المالية وللإنسان حرية ملك المال سواء كان ذكراً أم أنثى لكن بشرط إعطاء حق المال للضعفاء والفقراء. وبهذه الحرية المنفتحة المنضبطة تستقيم حياة الإنسان في المعمورة. وهكذا جاءت الشريعة الإسلامية لتفتح مجال الحريات أمام الجميع لكن كما قلنا حرية منضبطة ومسؤولة ليست مثل حرية الغرب التي أباحت للإنسان القضاء على نفسه، وزواج الذكر بالذكر والأنثى بالأنثى، وإباحة المنكر وإشاعة الفاحشة بحجة دعوى الحرية.

ومن تلك الحريات التي أقرتها الشريعة الإسلامية هي حرية التعبير والقول. يقول الدكتور الغرابية

في ملخص كلامه: إن الإسلام احترم حرية التعبير وأقرها وحث عليها، وهي ليست وليدة الفكر الإنساني وليست ثمرة من ثمرات نضاله بل هي منحة إلهية، وسمة بارزة من سمات الشريعة الإسلامية، وحق شرعي أصيل تدعمه النصوص الشرعية[٤٧٥]. يقول إبراهيم إمام: فالحرية أصل مقرر يرتفع به الإنسان فوق الإكراه الداخلي عن طريق الشهوات، والخارجي عن طريق الضغط والسيطرة، ولا يمكن أن تكون الحرية الاجتماعية بديلاً للحرية الفردية، على نحو ما يدعي الماركسيون، فالحرية الاجتماعية لاتنبع إلا من الإيمان بعقيدة التوحيد[٤٧٦].

ولذا فقد جعل رسول الله من شروط المواطنة الحقيقية للمسلم أن يقول الحق وأن يجاهر به سعياً لإحقاق الحق في المجتمع، فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: "بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم"[٤٧٧]، فيدل لنا هذا الحديث دلالة واضحة على حرية القول في الشريعة الإسلامية، وأن تقول الحق في مكان وزمان ولو كان ثقيلاً مراً، وهي مسؤولية شرعية تقع على عاتق الجميع. تأسيساً على هذا جعل النبي ﷺ قول كلمة الحق والعدل أمام الحكام من الجهاد، بل من أعلى مراتبه لقوله عليه الصلاة والسلام: "إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"[٤٧٨].

وقد اثبتت الوقائع والشواهد التاريخية الإسلامية، ممارسة الحرية الإعلامية، والدفاع عن هذا الحق في كافة العصور، والشواهد في هذا المجال كثيرة منها مع السلاطين الجائرين، ومنها حتى مع الخلفاء الراشدين. نذكر على سبيل المثال عندما خطب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ذات يوم فقال: لا تزيدوا

---

[٤٧٥] غرايبه، محمد رحيل. ١٩٨٤. *الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية*. أمريكا: معهد العالمي للفكر الإسلامي. ص٣٣٢.

[٤٧٦] إبراهيم إمام. ١٩٨٥. *اصول الإعلام الإسلامي*. مصر: دار الفكر العربي. ص٣٧.

[٤٧٧] البخاري. ١٩٨٧. *صحيح البخاري*. كتاب الأحكام. باب كيف يبايع الناس. ج٩. ص٧٧. #٧١٩٩.

[٤٧٨] الترمذي. ١٩٩٨. *سنن الترمذي*. ج٤. ص٤١. # ٢١٧٤. وقال عنه الترمذي رحمه الله: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

في مهر النساء على أربع مائة درهم، فمن زاد القيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة معترضة على ذلك: ما ذاك لك، قال لم؟ قالت لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾[٤٧٩]، فقال عمر ﷺ: امرأة اصابت واخطأ رجل، ثم قام وخطب وقال أيها الناس: إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على اربع مائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب وطابت به نفسه فليفعل[٤٨٠]، والشواهد في هذا المجال كثيرة ومتوافرة، وهذا يدل على مدى الحرية الإعلامية المنضبطة في الشريعة الإسلامية.

[٤٧٩] القرآن. النساء ٤:٢٠.

[٤٨٠] الصلابي، علي مُحَمَّد. ٢٠٠٦. *سيرة عمر بن الخطاب* ﷺ. دار المعرفة: لبنان. ص ١٠٦.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

٢. ٦ خلاصة

ناقش هذا الفصل الدراسات السابقة المتضمنة لمفهوم الإعلام الإسلامي ومقاصد الشريعة الإسلامية؛ حيث ناقش التعريف اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الإعلام الإسلامي، وماهية الإعلام الإسلامي، بالإضافة إلى مناقشة نشأته، والتعريف بقناة الرسالة الفضائية وأهدافها وسياستها وبرامجها. وناقش الفصل أيضاً التعريف اللغوي والاصطلاحي للمقاصد الشرعية، بالإضافة إلى مناقشة تاريخ المقاصد الشرعية، وأقسامها، وطرق معرفتها. بالإضافة إلى تحليل العلاقة بين الإعلام الإسلامي المعاصر ومقاصد الشريعة الإسلامية من خلال مناقشة مشروعية توظيف المقاصد في الإعلام الإسلامي، ومناقشة أهمية مقاصد الشريعة في الإعلام، وبيان خصائص الإعلام الإسلامي وفق المنظور المقاصدي، وتشخيص أهداف الإعلام الإسلامي وفق المنظور المقاصدي. بالإضافة إلى تحديد مقومات وضوابط الإعلام الإسلامي من منظور مقاصدي. بذلك جاء هذا الفصل ليحقق الهدف الأول والثاني من الدراسة وذلك من خلال "التعريف بقناة الرسالة الفضائية وعلاقتها بالمقاصد الشرعية"، بالإضافة إلى "تحليل العلاقة بين الإعلام الإسلامي المعاصر ومقاصد الشريعة الإسلامية" من خلال الإحاطة بهذه الجوانب كلها.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA